مشرف المطبوعات: صديق صالح

التسلسل: ١٥٨

الكتاب: القبور الجماعية ومآسيها في العراق

المؤلف: طه بابان

التنضيد: سَهَند

التصميم: لاس

تصميم الغلاف والخط: أحمد سعيد

رقم الإيداع: ١٣٦٠ لسنة ٢٠١٣ من المديرية العامة للمكتبات العامة

عدد المطبوع: ٢٠٠٠

سعر النسخة: ٦٠٠٠ دينار

مكان الطبع: مطبعة كەكۆن، السليمانية

سنة الطبع: ٢٠١٣

٣٦٤,١٥١٩١٥٩٧

ب ٢٢٢ بابان، طه

القبور الجماعية ومآسيها في العراق/ تاليف طه بابان.

د، م: د. ن، د، س

٢٨٤ص: ١٧,٥×٢٥ سم. التسلسل: ١٥٨.

١- السياسة. ٢- العنوان.

مؤسسة ژين

لإحياء التراث الوثائقي والصحفي الكُردي

العراق: إقليم كُردستان، السليمانية؛ الشارع ١١ بيرەمگرون، محلة ١٠٧ بَرانان،

(عمارة ژين) بجانب (مسجد الشيخ فريد) الأرضي: ١-٣١٩٤٧٣٢

آسياسيل: ٠٧٧٠١٤٨٤٦٣٣ أو ٠٧٧٠١٥٦٥٨٦٤ كورك ٠٧٥٠١١٢٨٣٠٩

العنوان: info@binkeyjin.com الموقع: www.binkeyjin.com

المديرية العامة لشؤون الشهداء والمؤنفلين في السليمانية

السليمانية: محلة كاريزەشك

٣٢٨٧٨٣٠ – ٣٢٨٧٨٣١ – ٣٢٨٧٨٣٢

www.shaheduanfal.com

مشروع مشترك

مؤسسة ژين

القبور الجماعية

ومآسيها في العراق

تأليف

القاضي طه بابان

نائب رئيس المحكمة الجنائية العراقية العليا سابقاً

إهداء

الى كل منَ يسعى جاهداً لخلق

مجتمعٍ خالٍ من العنفِ والاضطهاد

المؤلف

تحذيـر

الى الذيــن ((يعـانون مــن مــرض ارتفـاع ضـغط الـدم او الاضطرابات القلبية وكذلك النساء الحوامل ومن هم دون سن الخامسة عشرة)) ان يتجنبوا قراءة هذا الكتاب.

المؤلف

المحتويات

١) توطئة ١١
٢) مواصفات القبر الجماعي ١٣
٣) مراسيم دفن ضحايا القبور الجماعية ١٧
٤) اختيار أمكنة القبور الجماعية ١٩
٥) طرق التنفيذ ٥٩
٦) طريقة مماثلة اخرى في التنفيذ ولكن اكثر بربرية ٩٥
٧) نهج مغاير في التنفيذ هذه المرة (مأساة البرزانيين) ٩٩
٨) القبر الجماعي الذي حفره الكُرد لأنفسهم ١١١
٩) حل لغز مهم ١٣٥
١٠) نموذج آخر للقصف الكيمياوي للتدليل فقط ١٤١
١١) تعريف القبر الجماعي ١٤٩
١٢) الانتفاضة الشعبانية ١٥٣
١٣) اضاءة ١٨١
١٤) الانتفاضة في كُردستان ١٨٥
١٥) صدام حسين، واكذوبة التدين ١٩٣
١٦) صدام حسين في نظر غير العراقيين ٢٠٧
١٧) لو كنت مكان صدام– لاسمح الله ٢٢٣
١٨) الخلاف الكبير ٢٢٩
١٩) كلمة ختامية ٢٤٥
الملاحق ٢٤٩

(١)

توطئة

عندما تحرر العراق من ربقة النظام البعثي الصدامي على يد قوات التحالف وبدعم من أبناء الشعب العراقي في التاسع من نيسان (أبريل) عام (٢٠٠٣)، صُعق المجتمع البشري وأصابه الذهول عندما أُزيح التراب عن عدد من القبور الجماعية وظهور ذلك الكم الهائل من الهياكل العظمية الآدمية لضحايا ارهاب ذلك النظام طيلة ثلاثة عقود ونصف عقد من حكمه.

ومما يثير الهلع في النفوس ان هذه القبور، أي المكتشفة الى الآن، لا تُمثل الا جزءاً يسيراً من العدد الحقيقي لتلك القبور غير المألوفة، لذلك علينا توقع ظهور واكتشاف قبور اخرى مماثلة في الازمنة القادمة طالت أو قصرت. وقد لا تظهر بعضها الى يوم يَنفخ اسرافيل في صوره، مُعلناً قيام الساعة وخروج الموتى من اجداثهم، وذلك لعجز إهتداء الناس الى اماكنها لإندثار معالمها بفعل عوامل التعرية المناخية والتي لم تكن معلمة أصلاً حتى لا يتعرف عليها الناس.

لشعبنا الكُردي حصة الأسد من ذلك النوع من القبور، فالمدفونون في القبور التي تقع في وسط وجنوب العراق –أي المناطق العربية– لا يكونوا بالضرورة عرباً، فمن دراستي للقبور الجماعية، تأكد لي ان المجاميع الكبيرة من مفقودي الكُرد في حملات الانفال أو العشائر البرزانية أو غيرهما لم يُدفَنوا في كُردستان، وانما ابتلعتهم رمال وسط العراق أو صحارى البادية الجنوبية المترامية الاطراف عند حدود دولتي الكويت والمملكة العربية السعودية، والتي يصعب اكتشافها، وهكذا فالقبور الاكثر إتساعاً والاكبر عدداً من حيث الضحايا هناك، هي للكُرد.

على سبيل المثال لا الحصر، ان القبر الجماعي (مثنى/٢) أي القبر الجماعي الذي اكتشف في محافظة المثنى وجرى فيه التنقيب من قبل الخبير الدولي (كوفمان ترمبل)

تحت اشراف المحكمة الجنائية العليا والذي استخرج منه (١١٤) هيكلاً عظمياً منهم (٨٥) طفلاً و(٢٧)، امرأة ورجلين، كان جميعهم يرتدون الزّي الكُردي التقليدي[١]. وارجو ان لايفهم من كلامي هذا خلو كُردستان من القبور الجماعية كلا، فهي غاصة بهذه القبور، إلا انها قبور صغيرة نسبياً، فالقبور الكبيرة يصعب اخفاؤها عن الاعين، نظراً لكون كُردستان منطقة جبلية ضيقة ومكتظة بالسكان، مما يسهل معرفة ما يجري فيها، ولهذا فأن معظم القبور الجماعية عندنا، عثرت عليها في الأماكن المسيجة، كباحات الدوائر القمعية والمعسكرات، كما سنأتي عليها.

بنكەی ژین
www.zheen.org

[١] الصفحة (٦١٩) من قرار محكمة الجنايات الثانية في قضية الانفال، المرقم ١/ ج ثانية/ ٢٠٠٦ والمؤرخ في ٩جمادي الآخرة ١٤٢٨هـ المصادف ٢٠٠٧/٦/٢٤م.

(٢)

مواصفات القبر الجماعي

لكل شئ تعريف حتى يتسنى للمرء الاحاطة بماهيته، سواء أكان هذا الشي مادياً ام معنوياً، إلا انني احجم عن ايراد تعريف للقبر الجماعي حالياً واحاول بدلاً من ذلك رسم صورة دقيقة عنه ومواصفاته التي تجمعه، عندئذ يكون في مقدوري ومقدورك أو حتى في مقدور غيرنا ان يصوغ التعريف الذي يروق له ويجده أكثر انطباقاً عليه من غيرها من التعاريف واليكم تلك المواصفات:

نحن الكُرد المسلمون وعلى قدر علمي جميع المسلمين في اقطارهم المختلفة وحتى غير المسلمين، لا ندفن في القبر الواحد أكثر من جثة واحدة، أو بعبارة اخرى لكل ميت قبره الخاص به، لا يشاركه فيه غيره. ولكن الوضع بالنسبة للقبر الجماعي، كما يدل على ذلك اسمه، يختلف فالقبر الواحد يضم عادة أكثر من جثة وإلا لما سُميَّ بالقبر الجماعي[٢].

www.zheen.org

ويختلف عدد الجثث من قبر جماعي الى آخر قلة وكثرة، ففيه ما يضم جثتين أو ربما عشر جثث، وقد يصل العدد الى مئات بحسب حجم المحكومين بالفناء من قبل الحكومة البعثية في كل وجبة. ذكر النظام البعثي هنا أمر ضروري، لان اية حكومة عراقية منذ تأسيسها في عشرينيات القرن الماضي، لم تُدفن ضحاياها في

---

[٢] إن الاعلام العراقي وحتى بعض الكتاب المهتمين بهذه الظاهرة قد اخطأوا في استعمال هذا المصطلح حيث ابدلوه بـ(المقبرة الجماعية) ويجمعونها بـ(المقابر الجماعية) ووصل الأمر بهذا الخطأ حداً بحيث دخل حتى في القانون الذي ينظم بموجبه التعامل مع هذا النوع من القبور، واقصد قانون (حماية المقابر الجماعية رقم (٥) لسنة ٢٠٠٦) والمنشور في جريدة الوقائع العراقية بعدد (٤٠٢١) وتاريخ ١٦ نيسان ٢٠٠٦ السنة السابعة والاربعون.

قبور جماعية كهذه القبور، باستثناء النظام البعثي في مرحلتيه الاولى عام ١٩٦٣ والثانية عام ١٩٦٨.

القبر الجماعي يختلف اختلافاً كلياً عن القبر التقليدي الاسلامي، بسبب كثرة الجثث بالدرجة الاولى، وبالتالي سعته والاستعجال في إخفاء معالم الجريمة. القبر الاعتيادي الاسلامي أو غير الاسلامي ذو نمط هندسي معين لا يحيدون عنه، أما القبر الجماعي وللأسباب التي ذكرناها آنفاً –بعد معاينة آحاده– فأنه يأتي باشكال متعددة: فقد يكون على شكل حفرة غير محددة المعالم والابعاد، أو له شكل هندسي معين كأن يكون دائرياً أو مربعاً أو مستطيلاً، وهذا الاخير قد يأتي على شكل خندق يحدد طوله أو قصره عدد الضحايا قلة وكثرة، ومن هذا النوع القبر الجماعي للبرزانيين في (أبو صخير)، بمحافظة الديوانية كما سنأتي على ذكره فيما بعد.

أما من حيث السعة، فأن القبر التقليدي ولان آحاده لا يحتوي إلا على جثة واحدة، فان احجامه لا يختلف إلا قليلاً، وهو في أكثر تقدير لايتجاوز مترين مكعبين، أما القبر الجماعي، فأنه يتراوح بين بضعة أمتار مكعبة، إذا كان عدد الضحايا قليلاً، وبعكسه أي اذا كان كثيراً فقد يتجاوز سعة ملعب لكرة السلة.

أما من حيث عمق القبر الجماعي، فكثيراً ما اكتشف الناس مثل هذه القبور جراء ظهور بعض أعضاء الجثث فوق سطح الارض، أو قيام الكلاب السائبة أو الحيوانات الضارية بنبش هذه القبور واخراج جثثها لأكل لحومها، لان القائمين بالدفن، إما عن لا مبالاة أو العجالة لم يقوموا بحفر القبر بما فيه الكفاية، وهذه الظاهرة تقتصر على القبور الصغيرة التي لا تحتوي إلا على عدد قليل من الجثث واستعمال ادوات حفر يدوية. أما القبور الواسعة ذات الاعداد الهائلة من الضحايا، فقد كانوا يستخدمون مكائن الحفر والردم العملاقة بحيث لا يمكن الوصول الى الهياكل العظمية عند التنقيب إلا بعد حفر ما لا يقل عن المتر الواحد، وقد بلغ عمق القبرين (نينوى/٢ ونينوى/٩) ثلاثة أمتار ونصف المتر ويقول السيد (مايكل

ترمبل) الخبير في القبور الجماعية –والذي جرى التنقيب باشرافه– انه لم يشاهد قبراً بهذا العمق.. وسوف نأتي على ذكر هذين القبرين فيما بعد بالتفصيل[٣].

[٣] الصفحة (٦١٩) من قرار محكمة الجنايات الثانية المشار اليه في الهامش رقم (١).

بنکەی ژین
www.zheen.org

(٣)

مراسيم دفن ضحايا القبور الجماعية

لسنا نحن الاكراد وعرب العراق وحدنا نكن الاحترام والتبجيل لموتانا، بل يشاركنا في ذلك جميع شعوب الارض دون استثناء، لانه واجب تفرضه الاديان السماوية والتقاليد والعواطف الانسانية على الاحياء، فنقوم أول ما نقوم بغسل المتوفى حسب التعاليم الاسلامية، ثم نكفنه وبعد ان يُصلى عليه صلاة الميت يُشيع الى مثواه الاخير في احدى المقابر.

عندما يصل النعش الى المقبرة، يكون قبره جاهزاً لاحتضانه، وهو بدوره محفور على شكل هندسي موحد لا نحيد عنه، وعند وضع الجثة في القبر نتعمد ان يكون وجه الميت باتجاه القبلة أي الكعبة المشرفة. بعد ذلك يُهال عليه التراب، وبعد ان يتم الردم يشرع رجل الدين (الملا) بتلقينه، أي كيف يجيب على اسئلة الملكين الكريمين اللذين يشرعان بأستجوابه بعد مغادرة المشيعين للمقبرة. وهنا ينتهي مراسيم الدفن. بعد ذلك يقيم ذوو المتوفى مجلساً للفاتحة في احدى المساجد يستقبلون فيه المعزين لمدة يومين وربما أكثر في بعض المناطق.

هذه باختصار المراسيم المتبعة عند الوفاة، عندنا نحن الكُرد وعند عرب العراق ايضاً، وربما عند بقية الشعوب الاسلامية مع بعض الاختلاف في المراسيم وكما رأيتم هي مراسيم مفعمة بالوفاء والتقديس والاحترام للميت.

غير ان موتى القبور الجماعية لن يحظوا بهذا التكريم الروحي والاجتماعي، مع الأسف الشديد فبعد تنفيذ حكم الاعدام فيهم، تُلقى جثثهم في القبر الجماعي وهم بملابسهم الملطخة بالدم دون غسل او تكفين أو أية مراسيم اخرى كما تُلقى اكياس القمامة، هذا إن لم يُنفذ فيهم حكم الاعدام وهم في داخل القبر.

www.zheen.org

هذا وسوف نأتي على ذكر طرق تنفيذ حكم الاعدام بالضحايا فيما بعد، ولكن الذي يهمنا هنا ان هذه الاجراءات من حفر القبر وتنفيذ الاعدام والدفن يتم بسرّية تامة بعيداً عن الانظار وبدون ترك أي أثر يُستدل منه على انه مدفن، وهو الذي دفعني الى القول: ان عدداً كبيراً من هذه القبور ستظل مختفية الى حين أو ربما الى الابد.

بنکەی ژین
www.zheen.org

(٤)

اختيار أمكنة القبور الجماعية

هناك اكثر من عامل يلعب دوره في اختيار أماكن القبور الجماعية ولكن من اهم تلك العوامل في نظري هو عدد الضحايا من حيث القلة والكثرة، فاذا كان العدد قليلاً فلن تكون هناك صعوبة في ايجاد قبر جماعي لهم، من تلك الاماكن:

اولاً: باحات مقرات الاجهزة القمعية:

١. على سبيل المثال مقر سرية طوارئ الامن في السليمانية، والذي كان في الاصل عبارة عن مدرستين ابتدائيتين تحولتا بعد دمجهما في عام (١٩٨١) على يد الضابط الملازم الاول (محسن) السئ الصيت الى مقر سرية طوارئ أمن السليمانية.

بعد استيلاء (البيشمرگه)[٤] والمنتفضين على هذا المقر في انتفاضة عام ١٩٩١، وجدوا في باحته الواسعة ساحة رمى لاعدام المعتقلين مكونة من صف من الاعمدة الحديدية الاسطوانية الشكل بقطر اربعة انجات عددها أربعة لربط المعدوم، يفصل بين عمود وآخر متراً ونصف المتر وأمام كل عمود وعلى بعد عشرة أمتار

[٤] الجناح المسلح للثورة الكُردية الرامية الى نيل الحقوق القومية للكُرد في عراق فدرالي موحد يحمل افراده اسم (پيشمەرگه)، وهي كلمة كُردية مركبة من كلمتين (پيش) وتعني: قبل او مقدمة و(مەرگه) معناها الموت، أي من يموتون قبل غيرهم، وهذا احتمال وارد جداً، لأنهم يقاتلون جيشاً مزوداً بأحدث أسلحة عصره طيارات، دبابات، مدافع، راجمات، رشاشات بعيدة المدى، سلاح كيمياوي، ولايتوانى عن استخدامها اشنع استخدام. أما (پيشمەرگه)، فلم يكونوا مزوّدين الا بالبنادق والرشاشات الخفيفة وقاذفة R.P.G الخارق للدروع. اما كيف بقينا نقاتل طيلة ثلاثين عاماً (١٩٦١-١٩٩١)، فإننا كنا نعوض ذلك الفارق الحاد بين التسليحين بالشجاعة الفائقة النابعة من ايماننا العميق بعدالة قضيتنا التي لاتتزعزع.

هناك مربع كونكريتي لوقوف الرامي وخلف الاعمدة هناك ساتر ترابي بعلو مترين لإمتصاص الرصاصات الطائشة.

وبعد التنقيب تبين لهم ايضاً انهم اتخذوا من باحة المقر وقطعة الارض التي تجاوره من الجهة الجنوبية والخالية من الابنية لوقوعها في ضواحي المدينة قبوراً جماعية لدفن المعدومين او الذين يموتون تحت وطأة التعذيب. في شباط من عام ١٩٩٢ قدم الى اربيل والسليمانية بعثة من منظمة مراقبة حقوق الأنسان في الشرق الأوسط ومنظمة اطباء من أجل حقوق الانسان مكونة من اطباء شرعيين ومهندسين ومصورين للبحث عن المفقودين في كُردستان وقد تركوا لنا نشرة مصورة بنتائج تنقيباتها بعنوان (قبور غير هادئة).

وقد أجرت البعثة تنقيبات في هذا الموقع وتنعته بـ (مركز بوليس الطوارئ في السليمانية)، ومن ضمن المعلومات التي وردت تحت هذا العنوان: ((وقام الأكراد بإخراج أكثر من (٢٨) جثة من المنطقة المجاورة لموقع الأعدام...)). ثم تضيف النشرة: كما تم إخراج (٩) جثث من قبر جماعي ولعدم تمكنهم من التعرف عليها، فقد قاموا بدفنهم مجدداً في قبور فردية في مقبرة المدينة، أما البعثة نفسها فقد أكتشفت قبرين قرب موقع الأعدام بيد أنه لم تتمكن من نقل الجثث بسبب الأمطار الغزيرة..).

وآخيراً تقول النشرة بخصوص (مركز بوليس الطوارئ): يقدر مسؤولون من الأتحاد الوطني الكُردستاني (حزب كُردي قومي) والذين يقومون بالتحقيق محلياً في القبور غير المعلمة بأن (١٧٠٠) شخص معظمهم من المعتقلين قد اعدموا في ذلك الموقع بين عامي ١٩٨٨ و١٩٨٩ (الصفحة ١١، من النشرة).

وقد عثر المنقبون (والكلام لي) من ضمن ما عثروا عليها في هذه القبور على جثث لستة أشخاص ثلاثة منها للرجال أما الثلاثة الاخريات فقد كانت للنساء. وتبين من ملابسهم ومشخصاتهم الاخرى ان هذه الجثث تعود الى آباء وامهات أُعدموا، لأن ثلاثة من ابنائهم، قاموا بنصب كمين في شارع (اورزدي باك) في مدينة السليمانية

لضابطين سفاحين من ضباط هذه السرية الدموية، وتمكنوا من قتل احدهما وجرح الآخر ، ولأن جرحه لم يقعده عن الحركة، فقد تمكن من الافلات بجلده.

جرت العملية في يوم ١٩٨٧/٣/٧ وتمكنت الاجهزة الامنية من التعرف على الفاعلين وإعتقالهم يوم ١٩٨٧/٣/٩ أي بعد يومين فقط من العملية، أما كيف تمكنت الاجهزة الامنية من اعتقال المجموعة بهذه السرعة القياسية؟ لقد قيل الشئ الكثير عن اسباب ذلك، ولكن الذي يهمنا هنا أن المجموعة قد أُحيلوا الى محكمة الثورة وصدر بحقهم حكم الاعدام يوم ١٩٨٧/٥/٤، وهذا يعني قرب أجل آباء وامهات المجموعة الذين وجدت جثثهم في القبر الجماعي المذكور.

قد يستغرب غير الكُرد وبالاخص غير العراقي ويتساءل وما دخل الآباء والامهات بالموضوع؟ ولهؤلاء نقول: إن تعليمات علي حسن المجيد [الذي نأتي على ذكر هذه الشخصية فيما بعد كثيراً –المؤلف] تقضي بوجوب اعدام آباء وامهات المعدوم السياسي دون قيد أو شرط، أي حتى ولو لم يكن لهم علم أو علاقة بما فعله اولادهم[٥]!!

بنكەی ژین
www.zheen.org

[٥] (علي حسين المجيد)، المعروف عنه الى وقت قريب انه ابن عم صدام حسين. ولكن سرت مؤخراً اشاعة تنسب اليه –أي الى علي– أن (ابن العم) هذا هو خطأ شائع والأصح هو (أخ لأم) صدام من الأم! حيث ان السيدة (صبيحة) وهذا اسم والدة صدام حسين، اقترن بعد وفاة والد صدام بأكثر من زوج كان احدهم –حسب ادعاء علي– والده حسن المجيد وكان هو حصيلة هذا الزواج، ولانعلم مدى صحة روايته. في معترك الحياة وفي منافسة حرة توقفت مواهب وقدرات علي حسن المجيد عن الارتقاء به اكثر من رتبة (العريف) في الجيش العراقي أي جندي ذو ثلاثة خيوط ولو لم يتبوأ ابن عمه او أخيه من الأم لصدام سدة الحكم في العراق، لبقى علي حسن المجيد في تلك الرتبة المتواضعة او ارفع منها قليلاً اما ان يصل الى رتبة فريق اول ركن ولايعلو على رتبته العسكرية هذه سوى رتبة سيده صدام حسين اي المهيب الركن وهو يعادل رتبة (فيلد مارشال) فقصتهما هذه تشبه الى حد كبير قصص الف ليلة وليلة اللامعقولة.

منح صدام حسين في بداية عام ١٩٨٧ علي حسن المجيد عندما كان يشغل منصب امانة سر مكتب تنظيم الشمال لحزب البعث العربي الاشتراكي وبهدف قمع المقاومة الكُردية المسلحة

صلاحيات واسعة بقرار مجلس قيادة الثورة المرقم (١٦٠) والمؤرخ في ١٩٨٧/٢/٢٩ واليكم نص هذه الصلاحيات كما ورد في القرار المذكور:

استناداً الى احكام الفقرة (أ) من المادة الثانية والاربعين والفقرة (أ) من المادة الثالثة والاربعين من الدستور وتنفيذاً لما تقرر في الاجتماع المشترك لمجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي المنعقد في ١٩٨٧/٢/٢٩، قرر مجلس قيادة الثورة في ١٩٨٧/٣/٢٩ مايلي:

اولاً: يقوم الرفيق علي حسن المجيد عضو القيادة القطرية وحزب البعث العربي الاشتراكي بتمثيل القيادة القطرية للحزب ومجلس قيادة الثورة في تنفيذ سياستهما في عموم المنطقة الشمالية وبضمنها منطقة كُردستان للحكم الذاتي بهدف حماية الامن والنظام وكفالة الاستقرار فيها وتطبيق قانون الحكم الذاتي في المنطقة.

ثانياً: يقوم الرفيق عضو القيادة القطرية لتحقيق اهداف هذا القرار، صلاحية التقرير الملزم لجميع اجهزة الدولة المدنية والعسكرية والأمنية بوجه خاص الصلاحيات المنوطة بمجلس الامن القومي ولجنة شؤون الشمال.

ثالثاً: ترتبط الجهات التالية في عموم المنطقة الشمالية، بالرفيق عضو القيادة القطرية، وتلتزم بالقرارات والتوجيهات الصادرة عنه التي تكون واجبة التنفيذ بموجب هذا القرار.

١. المجلس التنفيذي لمنطقة كُردستان للحكم الذاتي.

٢. محافظو المحافظات ورؤساء الوحدات الادارية التابعة لوزارة الحكم المحلي.

٣. اجهزة المخابرات وقوى الامن الداخلي والاستخبارات العسكرية.

٤. قيادات الجيش الشعبي.

رابعاً: تلتزم القيادات العسكرية في المنطقة بأوامر الرفيق عضو القيادة القطرية بكل مايتصل بـ (اولاً) من هذا القرار.

خامساً: يعمل بهذا القرار من تاريخ صدوره وحتى اشعار آخر ويتوقف العمل بالاحكام القانونية التي تتعارض واحكام هذا القرار.

صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثورة

واستناداً الى هذه الصلاحيات التي لاتحدها الحدود قرر علي حسن المجيد، اعدام الوالدين مع المعدوم وفي حالة وفاتهما، فأقرباء المعدوم الى حد الدرجة الرابعة!! واعدامات خارج نطاق القضاء وجرائم لاتعد ولاتحصى.

أنا أعلم ان هذا أمر صعب التصديق، وخاصة بالنسبة لغير العراقي، ولكن سواء أصدقوا أم لم يُصدقوا، فهذا لن يُغير من هذه الحقيقة المأساوية شئ. انني استميح عذراً من بقية الآباء والامهات المغدورين، إذا ركزت على أبوين منهم فقط، لما فيه من دلالات عن معدن النظام الذي ابتُلى به الشعب العراقي بكافة قومياته وأديانه ومذاهبه وشرائحه. الابوين هما: (ملا گورون) وزوجته (نعيمة عبدالرحمن). كان للمذكورين ابن يُدعى (هوشيار)، ويعني بالعربية (النابه)، كان طالباً في ثانوية الصناعة، يدرس التكنولوجيا وكانا يجهلان ان ابنهما يدرس ويتعلم ويطبق درساً آخر غير مدرج في المناهج الرسمية يُسمى (كوردايەتى)، –أي النضال من أجل القضية الكُردية–، ويعمل في صفوف المقاومة المسلحة السرية داخل مدينة السليمانية واسمه الحركي (هەڵۆ) أي الصقر، وأثبت فيما بعد انه صقر بحق وحقيقة.

سمع (ملا گورون) وزوجته كبقية الناس بعملية شارع (اورزدي باك)، أما ان يكون احد المشتركين فيها، هو ابنهما (هوشيار)، فهذا آخر ما كان يتوقعانه وعندما القي القبض عليه، اعتقد ان هناك التباساً في المسألة، وان ابنهما أبعد مايكون عن هذه المسائل.

والآن، لماذا القاء الضوء على (ملا گورون) دون غيره من آباء مجموعته؟ لسبب مهم جداً، لأن ملا گورون لم ير الضوء في حياته، أي انه كان أعمى بالولادة! وأمثاله في كُردستان يصبحون –كما أصبح هو– من حفظة القرآن الكريم، ويعتاشون من فيض تلاوة القرآن في بيوت المؤمنين وعلى قبور الموتى واقامة المنقبة النبوية وشعائر دينية اخرى.

لم يتصور أحد ان تسري قاعدة إعدام الاباء والأمهات بحق ملا گورون الضرير والبالغ من العمر ثلاثة وسبعين سنة أو زوجته الهرمة القابعة في دارها. ولكن بعد أقل من اسبوع من صدور حكم الاعدام من محكمة الثورة، وبالتحديد في ١٩٨٧/٥/١٠، أُلقي القبض على ملا گورون وزوجته وبقية اباء وامهات المجموعة!

أن محاسبة البصير عن تصرفات الضرير فيها شئ من الوجاهة، أما العكس، فهذا ما لم نعهده من قبل، وبأية عقوبة؟ ليست بالغرامة أو الحبس، بل بالموت! لم يعلم مدير أمن السليمانية بواقع (ملا گورون)، بكونه أعمى وطاعناً في السن إلا بعد القاء القبض عليه. وأدرك عندئذٍ شناعة اعدام رجل من هذا القبيل وبدون جريرة. ومن الجانب الآخر قدر مخاطر إبداء العطف على الاعداء ورئيسه هو (علي حسن المجيد) المرهوب الجانب.

لذلك أحجم –أي مدير أمن السليمانية– عن طلب أية رأفة بحال (الملا) يشتم منه رائحة المشاركة الوجدانية معه، فأختار حلاً وسطاً وهي الاشارة من طرف خفي الى عوق (الملا) عند رفع تقريره بعملية الاعتقال الى (علي حسن المجيد)، الذي كان مسؤول مكتب تنظيم الشمال لحزب البعث العربي الاشتراكي ايامئذٍ، علَّ ذلك يستدر عطفه ويفرج عنه أو على الاقل يُخفف من عقوبته.

فأشار في الفقرة الخاصة به بمايأتي: ان والد المجرم (هوشيار)، مجرم على الرغم من كونه ضريراً وطاعناً في السن، ومع كل ذلك عندما جاء قرار (علي حسن المجيد) باعدامهم لم يُفرق بين الاعمى منهم والبصير! فالذي يعدم آباء وامهات يعرف انهم ابرياء، ولن يُتوقع منه ان يُثير عوق احدهم شفقته.

وهكذا نفذوا حكم الاعدام في المجموعة في ١٩٨٧/٥/١٩رمياً بالرصاص. أي بعد تسعة أيام فقط من تاريخ اعتقالهم. وهذا أمر طبيعي، فالاجراءات في هذه القضايا غير معقدة، كما هو الحال في المحاكم، فبمجرد التأكد من كون الشخص والد أو والدة المعدوم يكفي لاعدامهما. وهذا النوع من الاعدامات –كما ورد في الوثائق– يسمونه (تصفيات بقضايا عامة) أو بالقتل الاداري. كما صادف يوم اعدامهم الخامس والعشرين من شهر رمضان المبارك، وكانوا صياماً بالتأكيد وعندما أُعدم صدام حسين في يوم عرفة اقاموا الدنيا ولم يقعدوها، وانني آليت على

نفسي أن اطلب من الخالق الاعظم يوم القيامة أن ينتقم من قتلة ملا گورون شرّ إنتقام للظلم الشنيع الذي لحق به وببقية الآباء والامهات الابرياء[٦].

٢. نموذج آخـر:

في الحادي والثلاثين من آب ١٩٩٧ وبينما كان العمال يحفرون خندقاً في حديقة بناية مديرية أمن السليمانية المعروفة عند العامة بـ (ئەمه سوورەكه –أي الامن الأحمر)، لأن جدرانها الخارجية كانت مطلية باللون الاحمر القاني كلون الدم، لغرض تصريف المياه الثقيلة، لانها كانت مشغولة بأسر بعض المهجرين البؤساء من مدينة كركوك وما جاورها، صادفوا عظاماً بشرية، وبعد التنقيب عثروا على مزيد من العظام. وظهر لهم أخيراً انهم أمام قبر جماعي، بعد تجميع العظام وترتيبها تبين انها تعود الى أحد عشر شخصاً، إلا انهم لم يعثروا إلا على ستة جماجم؟ ومن الثقوب المختلفة على قطع ملابس الضحايا ثبت انهم اعدموا رمياً بالرصاص كما لوحظ ان بعض العظام والجماجم كانت سوداء متفحمة مما يدل على حرق الجثث قبل دفنها أو ربما عندما كانوا احياءاً، من يدري؟ كما بقيت على أرجل بعضهم الاسلاك الكهربائية التي ربطوا بها ولم يكلفوا انفسهم حتى مشقة رفعها. ان الاسلام من أكثر الاديان إحتراماً للموتى ولكن أكان هؤلاء حقاً مسلمون أو حتى من أولاد آدم؟ حتى يراعوا مثل هذه المقدسات[٧]؟ ولكن كانت هناك ظاهرة اخرى في هذا القبر، أجد أنها اكثر اهمية من كل ما سبق. لاأدري هل استرعت هذه الظاهرة انتباهكم ايضاً؟ وهي: ان عدد الهياكل العظمية بعد ترتيب عظامها كانت لإحدى عشرة ضحية بينما لم يعثروا الا على ستة جماجم! حسناً

[٦] للوقوف على تفاصيل اكثر حول هذه الجريمة بحق (ملا گورون) والاطلاع على الوثائق المتعلقة بهذه القضية يراجع كتاب (عالم الكُرد المرعب) للمؤلف، ص١٠٠ ومابعدها.

[٧] المصدر السابق، ص١٦٨.

ماذا حلت بالجماجم الخمسة الاخرى؟! ما هو تفسيركم لهذه الظاهرة ؟ دعوني ازودكم ببعض المعلومات حتى امكنكم للتوصل الى التفسير الصحيح قدر الامكان:

في بداية الثمانينيات ظهر على مسرح الاحداث خائن خطير يدعى(أ. ق) تكافئه مديرية امن السليمانية بمبلغ الف دينار عن كل رأس مقطوع لشخص معادي للسلطة البعثية يجلبه لها. بلغ الجشع بذلك الخائن حداً بحيث يوقع في حبائله، كلما خانه الحظ في الحصول على صيد معادٍ، اول من يضعه حظه العاثر في طريقه من السابلة والرعاة وحتى المجانين الهائمين على وجوههم في الاماكن النائية، ولاينسى ان يضع في جيب الضحية مسدساً او منشوراً سياسياً ضد السلطة او عدداً من اصابع (T.N.T) وكانت اجهزة الامن تعلم علم اليقين بما يتصنعه ذلك الخائن، الاّ انها كانت تغض النظر عنه طالما يزودها بمزيد من الرؤوس الكُردية المقطوعة ولاتهمها بعد ذلك أهي لأناس ابرياء أم مذنبين في شرعهم.

اخيراً قدر لهذا القاتل المأجور ان يقع في قبضة احدى مفارز (البيشمرگه) الداخلية، فكان في ذلك نهايته ونهاية معظم طاقمه الآثم وكان ذلك في بداية شهر حزيران من عام ١٩٨٦.

من الصعب على غير العراقي تصديق هذه الوقائع، لأنه يعتبرها ضرباً من الخيال، الى هؤلاء اقدم وثيقة تتضمن واقعة مماثلة سبق وان عرضتها محكمة الجنايات الثانية في المحكمة الجنائية العراقية العليا في القضية المرقمة (١/ ج ثانية/ ٢٠٠٦). وقد وردت ذكر هذه الوثيقة في الصفحتين (٢٦٣ و٢٦٤) من قرارها في القضية المذكورة (الانفال) المؤرخ في ٢٠٠٧/٦/٢٤، بخصوص هذه الوثيقة تقول المحكمة في قرارها مايأتي: كذلك فقد اطلعت المحكمة على الوثيقة الصادرة عن منظومة استخبارات المنطقة الشرقية بالعدد (٧٩٨٠ في ١٩٨٨/٦/٢٩) والمعنونة الى مديرية الاستخبارات العسكرية العامة.

بنگەی ژین
www.zheen.org

١. في بداية شهر حزيران الحالي خرجت مفرزة من طوارئ الامن العامة بإمرة المقاتل (ص. ب) بـواجب تفتيش قرية (شيخ طويل) المزالة والتابعة الى ناحية (بيبان) الملغاة.

٢. القت المفرزة اعلاه القبض على المدعو (فتاح محمد رسول) من اهالي القرية المذكورة، علماً بان الموما اليه متخلف عقلياً، وقاموا بقتله وقطع رأسه، واخذه معهم الى مديرية الامن العامة وتركوا جثته مدعين انه من زمرة عملاء ايران، وقام ذوو القتيل بدفن جثته في ناحية (بيبان). وهذه الوثيقة موقعة من قبل العقيد الركن ومدير منظومة استخبارات المنطقة الشرقية، وهو في ذلك الوقت المتهم (فرحان مطلك الجبوري).

والآن وبعد سرد هذه المعلومات ألستم معي في: ان هذا الرأس قد اخذ الى مديرية الامن العامة لتلقي المكافئات المالية والترقيات الوظيفية!! على انه رأس مُعادٍ للنظام، وأن مديرية الأمن العامة متورطة ايضاً كمديرية أمن السليمانية في هذه الموبقة. ان ارسال هذه الرؤوس المقطوعة الى العاصمة بغداد، يذكرني بولاة الاتراك في الدولة العثمانية، عندما كانوا يرسلون رؤوس معارضي السلطان المحشوة بالتبن الى الاستانة العلية في (اسطنبول).

في اربعينيات القرن الماضي كانت الخنازير، لكثرتها، تفتك بالمزرعات فتكاً ذريعاً وكاجراء للحد من هذه الآفة كانت الحكومة تعطي (٢٥٠) فلساً، وكان ذلك مبلغاً كبيراً بمعيار ذلك الزمان، لكل من يأتيه بأذني خنزير والآن بدلاً من آذان الخنازير، يقدم الى المسؤولين رؤوس مقطوعة، وحصراً رؤوس آدمية، فتأملوا هذا التقدم الحضاري ولكن الى الوراء!

ثانياً: المعسكرات:

قلت من قبل، ان حجم الضحايا يتحكم في أمكنة القبر الجماعي واضفت: إذا كان العدد قليلاً ولايشغل القبر الا حيزاً ضيقاً فيمكن عندئذٍ استغلال حدائق

وباحات أبنية الأجهزة القمعية لهذا الغرض وقد اوردت نموذجين من هذا الصنف من القبور آنفاً.

اما اذا كان العدد كبيراً –اي عدد الضحايا– وتعجز الأدوات اليدوية عن حفر القبر ،ولم يكن هناك مناص من استخدام مكائن الحفر كالشفلات والبلدوزرات والحفارات، فأن القبر يحتاج الى مكان اوسع حتى يتحرك فيه هذه المكائن العملاقة بحرية، وتكون اقل تعرضاً للإنكشاف، بحيث يمكن إعدام الضحايا ودفنهم بعيداً عن أعين الناس، فليس هناك مكان أنسب لهذه العمليات من المعسكرات وخاصةً في كُردستان.

كُردستان كانت مغطاة بشبكة من المعسكرات بحيث لايكاد ينتهي معسكر حتى يبدأ آخر، وكانوا يبالغون في كُبر مساحاتها والمُحرمات المحيطة بها وتكون عادةً في أراضي زراعية سهلية بهدف طرد الفلاحين وإفقارهم، فعلى سبيل المثال، المعسكر المعروف لدى عامة مدينة أربيل بمعسكر طريق الموصل – وهذا المعسكر يبدأ من حدود بلدية مدينة أربيل ويمتد بمحاذاة طريق أربيل– موصل الى أن يصل الى مدينة (آسكي كلك) على نهر الزاب الكبير أي بطول (٥٩) كيلومتراً وعرض عشرين كيلومتراً، أي بمساحة الف وأربعين كيلومتراً مربعاً.

فتأملوا السعة الكبيرة لهذا المعسكر. وهكذا يمكن عمل أي شي دون الخوف من إفتضاح أمره. انشأت حكومة إقليم كُردستان على الجزء الواقع ضمن حدود بلدية أربيل متنزهاً رائعاً يعرف بـ (بارك الشهيد سامي عبدالرحمن) ولهذا دلالته. لهذه المزايا التي يوفرها المعسكر للأنشطة البالغة السرية فلا عجب إذاً أن يكون المعسكر محلاً لأول قبر جماعي في كُردستان والعراق أيضاً وإليكم حكايته:

إننا الكُرد كنا في نزاع مسلح مع عبدالكريم قاسم منذ ١١ أيلول ١٩٦١، وعندما قام حزب البعث بقيادة العقيد عبدالسلام عارف بإنقلابه ضد عبدالكريم قاسم، في ٨ شباط ١٩٦٣، لم يكن في مقدورهم كحكومة فتية محاربة الكُرد ولهذا فأنهم كانوا بحاجة الى فترة ليثبتوا فيها أركان حكمهم، فأصدروا بياناً تضليلياً

لتخدير الكُرد، يتضمن حل المسألة الكُردية في العراق على أساس اللامركزية الأدارية، لذلك دخلنا معهم في هدنة غير معلنة.

لم تمض سوى بضعة أشهر على صدور البيان الذي لم يتجاوز حدود الورقة التي كتب عليها، حتى شن الجيش العراقي وميليشيات حزب البعث المعروف بالحرس القومي أشرس هجمة لم تعهدها كُردستان في كل معاركها السابقة مع عبدالكريم قاسم. ولانني أتحدث عن أول قبر جماعي لذلك أحصر معلوماتي في مدينة السليمانية وثكنتها (أي معسكرها) المسمى بـ(صلاح‌الدين) محل أول قبر جماعي.

١. في الليلة التي تسبق يوم ٩حزيران/١٩٦٣، بدأت مكبرات الصوت المنصوبة على السيارات العسكرية تجوب شوارع المدينة معلنة حالة منع التجوال لأجل غير محدود طالبة من الأهالي ملازمة منازلهم، وعدم مغادرتها، وحذر البيان المخالفين بأطلاق الرصاص عليهم دون قيد أو شرط، وهذه النداءات كانت تختلط بهدير محركات الدبابات وصليل سلاسلها وأصوات الأطلاقات النارية بكثافة تتخللها أصوات المدافع بين حين وآخر.

أستمر المنع لمدة ثلاثة أيام بلياليها دون إنقطاع وما حدث خلال هذه الأيام الثلاثة من مآسي وفجائع أمور يطول شرحها. أما الصورة في معسكر صلاح‌الدين الواقعة في الضاحية الشمالية للمدينة فقد كانت أكثر عتمة، فخلال الأيام الثلاثة، إعتقلوا ما مجموعهم (٣٧٥٤) ثلاثة آلاف وسبعمائة وأربعة وخمسون فرداً، وأودعوهم في أصطبلات وقاعات المعسكر، وهم في اسوأ حال، وعلى رأسهم معظم مرموقي المدينة، من روؤساء الدوائر، مدراء المدارس ومعلميها، والتجار والأطباء والمهندسين والقضاة والمحامين والمتقاعدين ومن سواد الناس.

وفي ركن قصي من المعسكر كان هناك محكمة مشكلة من ثلاثة أعضاء، ضباط شباب من ذوي الرتب الصغيرة يحملون الفكر القومي كما يفهمه البعث تعقد جلساتها تحت خيمة. حماس الشباب عامة والضباط منهم خاصةً يجعلهم مندفعين إندفاعاً أعمى لتحقيق ما يعتقدون أنه الصواب لذلك فقد كانوا مهيئين نفسياً

لإرتكاب أفضع الجرائم في سبيله دون تردد أو تأنيب ضمير مما يسهل إستغلالهم لإداء أكثر المهام بربرية كمهام هذه المحكمة.

إن جهل أعضاء المحكمة، إذا صح تسميتها بالمحكمة بالقانون وأصول التحقيق وتقييم الأدلة والتقاليد القضائية العريقة المتبعة وعدم تحليهم بسجايا القضاة المحترفين من علم ورزانة وتجرد، وفوق كل ذلك تعصبهم الأعمى الذي أنساهم حتى آدميتهم، كل ذلك أسبغ طابعاً غريباً على أحكام المحكمة والذي كان يعبر أصدق تعبير عن العقلية الشوفينية غير المتحضرة التي كانت تقف وراءها.

احكام المحكمة كانت على نوعين لا ثالث لهما: إما البراءة واما الأعدام رمياً بالرصاص، والأنكى من ذلك أن احكامها كانت قطعية لا تعرف الطعن وأن التنفيذ كان فورياً، أي بعد صدور الحكم يساق المحكوم الى ساحة الأعدام والتي لم تكن تبعد كثيراً عن الخيمة التي كانت المحكمة تعقد جلساتها تحتها، حيث تنتظر هناك، مفرزة مدججة بالسلاح لتترجم قرار المحكمة الى حقيقة واقعة خلال دقائق معدودات. وفي مكان آخر من المعسكر كان القبر الجماعي فاغراً فاه لأبتلاع جثث المعدومين.

في شهر تشرين الثاني من نفس العام قلب العقيد عبدالسلام محمد عارف ظهر المجن للبعثيين وطهر الجهاز الحكومي من أرجاسهم وفي فترة اللاسلم واللاحرب التي أعقبت ذلك سمح لأهل الضحايا لنبش القبر وعثروا فيه على رفاة (١٧٥) مغدوراً وكان من بينهم المعلمين الأربعة (حمه‌بور، أنور سعيد دارتاش، أسماعيل إبراهيم، ياسين صالح) وإستاذ الرياضيات حاجي باقي لوجود ناظور في داره! وملاك الأراضي نامق آغا، ومصطفى آغا وكمال محمد الحاج فرج أفندي، من أسرة تتعامل بالنقل وعبدالمجيد رشيد أحمد، لعثورهم على ظرف فارغ لخرطوشة صيد! وبابا علي معروف بابا شيخ وشيخ عبدول بابا گورون وعمر حاج يونس والأخوان محمود عبدالرحمن وكمال عبدالرحمن وأصيب أخوهما الثالث عبدالله بجنون مطبق جراء الحادثة لازمه الى القبر وكمال علي ثروت، لأنه أمتنع عن شتم مصطفى البرزاني، قائد ثورتنا لذلك أستحق الموت)، وغيرهم وغيرهم اما نحن فقد سلمنا

جميع المحتجزين لدينا من المسؤولين والعسكريين والشرطة ضباطاً ومراتب سالمين معافى الى محافظ السليمانية.. فتأملوا الفرق[٨]!

وأريد أن أحيطكم علماً بأن هذا (المنع) لم يكن المنع الأول ولا الاخير من نوعه خلال حكم البعث الأول والثاني، بالنسبة لمدينة السليمانية، كما لم تختص مدينة السليمانية وحدها بهذا النمط من الارهاب، فقد شاركتها مدن اخرى في كُردستان مثل: أربيل وراوندوز وكويسنجق وغيرها.

وأنني في هذا البحث، أكتفي بمنع تجوال آخر حدث في السليمانية لأن ضحاياه دفنوا أيضاً في معسكر. اعلن عن هذا المنع في الفترة الثانية من حكم البعث وبالتحديد في ١٩٨٥/١٠/١٧، اي بعد المنع الاول بـ(٢٢) سنة تقريباً. لم يستمر هذا المنع لايام كالمنع السابق وانما بدأ في فجر ذلك اليوم وانتهى بغروبه.

المسرح هو نفسه مدينة السليمانية ومعسكرها، الفرق الكبير بينهما هو: إنني أستقيت معلوماتي عن المنع الاول من مشاهداتي الشخصية او التي رواها لي شهود عيان آخرون او ذوو الضحايا، اما المعلومات المتعلقة بهذا المنع، فانني استقيتها خاصة بالنسبة لعدد الضحايا واسمائهم وغيرها من المعلومات، من وثيقة رسمية وضعت اليد عليها في مديرية امن محافظة السليمانية في اثناء انتفاضتنا العارمة في آذار عام ١٩٩١، والوثيقة عبارة عن كتاب صادر من مديرية أمن محافظة السليمانية بالرقم/ش.ت/١٥٤٨٦ في ١٩٨٩/٦/١٤ المصادف ١٠ ذي القعدة ١٤٠٩هـ معنون الى مديرية الامن العامة/ ش٣ الموضوع/ قوائم وعددها اربعة قوائم واليكم نص الكتاب ومحتويات القوائم:

---

[٨] عاصر المؤلف هذا المنع ومعلوماتي عنه هي حصيلة مشاهداتي كشاهد عيان مع التحقيقات التي اجريتها مع آخرين وبالأخص مع ذوي الضحايا ومن يريد الاستزادة يراجع كتابنا: (عالم الكُرد المرعب، ص١٠-٢٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

رئاسة الجمهورية
السكرتير
مديرية الامن العامة
مديرية امن محافظة السليمانية

العدد: ش.ت/١٥٤٨٦
التاريخ: ١٩٨٩/٦/١٤
١٠ ذي القعدة/١٤٠٩هـ

صورة الصقر

(سرّي)

الى/ مديرية الامن العامة ـ ش٣

نرسل اليكم بصحبة مأمورنا ملازم الامن عبد الحكيم محمود حمادة قوائم مفصلة تتضمن اسماء مجرمين وعددهم (٤٤) من الذين تم تنفيذ حكم الاعدام بحقهم ومنهم من توفى اثناء التحقيق في الحملة التفتيشية لعام ١٩٨٥ لمحافظة السليمانية، والتي حصلت الموافقة على تنظيم قضايا خاصة بهم ولم تصدر لهم شهادات وفاة راجين استلامها وعرض الموضوع على انظار السيد المدير العام المحترم لغرض الموافقة على اصدار شهادات وفاة والتنسيق مع مستوصف الامن العامة علماً بانهم مدرجين في القوائم المرسلة اليكم بموجب كتابنا سري وشخصي المرقم ١٩٨٢٠ في ١٩٨٧/٦/٢ واعلامنا ... مع التقدير.

المرفقات: قوائم.

توقيع
مدير امن محافظة السليمانية

اكتفى الكتاب بذكر عدد الضحايا وهو اربعة واربعون معدوماً وترك تفصيل ذلك الى القوائم، كما يسمى منع التجوال بالحملة التفتيشية، اما عن حجم الضحايا في داخل مدينة السليمانية فلم يتوفر عندنا في هذا المنع ولكن هذه الوثيقة تعطينا على الاقل

عدد الذين القي عليهم القبض ووصلوا وهم احياء الى المعسكر، بعد ذلك خضعوا لتحقيق قاس حيث يعترف الكتاب دون مواربة اذ يقول: ((ومنهم من توفي اثناء التحقيق))، وهذا تعبير مُقَنَع لمن يموتون تحت وطأة التعذيب.

اما القوائم فانها اضافة الى العدد فانها تعطينا الاسم الثلاثي لكل معدوم وتاريخ ولادته ومهنته والزمرة التخريبية –على حد قول الكتاب– التي ينتمي اليها وجهة الامر اي الامر، بالاعدام وهي كما وردت في القوائم (السيد العام) ويعني بذلك السيد مدير الامن العام. كما تذكر القوائم ايضاً تاريخ القبض ومكانه وفي حقل الملاحظات وهو اخر حقل ذكر فيه سبب اعدام الضحية وتأريخ الاعدام واليكم مندرجات القوائم:

ت	الاسم الثلاثي	المواليد	المهنة	الزمرة التخريبية	جهة الأمر	تاريخ القبض	مكان القبض	الملاحظات
١	ابـــــوبكر حســـــين محمـــــد صالح	١٩٦٢	ج. م. هارب		السيد العام	/١٠/١٧ ١٩٨٥	السليما نية	تم القبض عليه اثناء الحملة التفتيشية لمدينة السليمانية عام ١٩٨٥ لهروبه من الخدمة العسكرية، وتم تنفيذ حكم الاعـــدام بـــه في الموقـــع العســـــكري بتـــــاريخ ١٩٨٥/١٠/١٧
٢	ريبـــــوار عثمان ميرزا	١٩٦٥	متخلف		=	=	=	تم القبض عليه اثناء الحملة التفتيشية لمدينة السليمانية عام ١٩٨٥ لتخلفه من الخدمة العسكرية وتم تنفيذ حكم الاعـــدام بـــه في الموقـــع العســـــكري بتـــــاريخ ١٩٨٥/١٠/١٧
٣	كمال احمد عبدالرحمن	١٩٦٥	ج.م. هارب		=	=	=	تم القبض عليه اثناء الحملة التفتيشية لمدينة السليمانية عام ١٩٨٥ لهروبه من الخدمة العسكرية وتم تنفيذ حكم الاعـــدام بـــه في الموقـــع العســـــكري بتـــــاريخ ١٩٨٥/١٠/١٧

بنکەی ژین
www.zheen.org

ت	الاسم الثلاثي	المواليد	المهنة	الزمرة التخريبية	جهة الأمر	تاريخ القبض	مكان القبض	الملاحظات
٤	ابراهيم عمر معروف	١٩٦١	=		=	=	=	=
٥	جزا حمه امين كريم	١٩٦٤	=		=	=	=	=
٦	كريم محمود علي رحيم	١٩٦٤	=		=	=	=	=
٧	محمد علي احمد محي الدين	١٩٥٣	=		=	=	=	=
٨	جبار محمد شريف	١٩٦٢	=		=	=	=	=
٩	اراس كريم ميره	١٩٦٢	=		=	=	=	=
١٠	محمد ابراهيم محمد	١٩٥٧	=		=	=	=	=
١١	كاروان اسماعيل محمد	١٩٦٥	=		=	=	=	=
١٢	هوشيار	١٩٦٥	=		=	=	=	=

بنکەی ژین
www.zheen.org

ت	الاسم الثلاثي	المواليد	المهنة	الزمرة التخريبية	جهة الأمر	تاريخ القبض	مكان القبض	الملاحظات
	فتاح كريم							
١٣	شـــــوان محمود علي	١٩٦٣	=		=	=	=	=
١٤	حمه رؤوف ســـــعيد زوراب	١٩٤٧	=		=	=	=	=
١٥	عزيـــــز ابـــراهيم عزيز	١٩٥٤	=		=	=	=	=
١٦	ســـــامان محمد كوره	١٩٦٠	=		=	=	=	=
١٧	سرســـنگ محمد كوره	١٩٦٤	=		=	=	=	=
١٨	ابـــراهيم عبدالله عولا	١٩٤٨	=		=	=	=	=
١٩	فرهاد احمد عثمان	١٩٦٣	=		=	=	==	=
٢٠	خالـد حمـه كريم رسول	١٩٦٣	=		=	=	=	=
٢١	هيـوا فـائق فارس	١٩٦٧	طالب	زمرة عملاء	=	=	=	تم القـبض عليـه لارتباطـه بالتنظيمـات الداخليـة لزمـرة

بنکەی ژین
www.zheen.org

ت	الاسم الثلاثي	المواليد	المهنة	الزمرة التخريبية	جهة الأمر	تاريخ القبض	مكان القبض	الملاحظات
				ايران				عملاء ايران/ جناح الكوملة وتم تنفيذ حكم الاعدام به في ١٩٨٥/١٢/١٧
٢٢	سردار عثمان فرج	١٩٦٨	=	=	=	=	=	=
٢٣	ارام محمد كريم	١٩٥٧	خريج كلية قانون والسياسة	=	=	=	=	=
٢٤	كاوه نامق حمه سور	١٩٧٠	مقاتل في فوج ٦١ دفاع وطني	زمرة عملاء ايران جناح اتحاد ثوار كُردستان	=	=	=	تم القبض عليه لارتباطه بالتنظيمات الداخلية لزمرة عملاء ايران جناح اتحاد ثوار كُردستان حيث اعترف بارتباطه بالزمرة المذكورة وتم تنفيذ حكم الاعدام به في ١٩٨٥/١٢/١٩
٢٥	سوران رضا معين	١٩٦٧	عامل اهلي	=	=	=	=	=
٢٦	ازاد شريف امين	١٩٦٨	=	=	=	=	=	=
٢٧	نوزاد	١٩٦٩	طالب	زمرة	=	=	=	تم القبض عليه لارتباطه

بنكەی ژین
www.zheen.org

ت	الاسم الثلاثي	المواليد	المهنة	الزمرة التخريبية	جهة الأمر	تاريخ القبض	مكان القبض	الملاحظات
	حسين عارف			عملاء ايران				بالتنظيمات الداخلية لزمرة عملاء ايران جناح الكوملة، حيث اعترف بارتباطه بالزمرة المذكورة. تم تنفيذ حكم الاعدام به في ١٩٨٥/١٠/١٧
٢٨	خالد عبدالله مير حسن	١٩٧٠	عامل اهلي	زمرة عملاء ايران جناح الكوملة	=	=	=	تم القبض عليه لارتباطه بالتنظيمات الداخلية لزمرة عملاء ايران/ جناح كوملة، حيث اعترف بارتباطه بالزمرة المذكورة. تم تنفيذ حكم الاعدام به ١٩٨٥/١٠/١٩
٢٩	محمد عمر محمد مارف	١٩٧١	=	=	=	=	=	=
٣٠	بهروز سردار عبدالرحمن	١٩٦١	طالب	=	=	=	=	توفي اثناء التحقيق في ١٩٨٥/١٠/١٨
٣١	دلير فائق علي	١٩٦٦	=	=	=	=	=	==
٣٢	ياسين	١٩٣٦	عامل	=	=	=	=	تم القبض عليه لكون شقيقه

بنكەی ژین
www.zheen.org

ت	الاسم الثلاثي	المواليد	المهنة	الزمرة التخريبية	جهة الأمر	تاريخ القبض	مكان القبض	الملاحظات
	مارف قادر							الهارب عبدالله مارف من زمرة عملاء ايران توفي اثناء التحقيق في ١٩٨٥/١٠/١٨
٣٣	حسين شريف محمد	١٩٣٣	معلم	=	=	=	=	تم القبض عليه وذلك لعثوره على لافتات في داره تعود الى زمرة عملاء ايران وتم تنفيذ حكم الاعدام به في ١٩٨٥/١٠/١٨
٣٤	سردشت حسين شريف	١٩٦٦	طالب	=	=	=	=	=
٣٥	اوات محمد شريف	١٩٦٧	=	=	=	=	=	=
٣٦	طاهر محمد عمر	١٩٣٥	موظف	=	=	=	=	تم القبض عليه للعثور على صورتين للمجرمين جلال الطالباني ونجم الدين عمر الملقب (ابو ريشه). تم تنفيذ حكم الاعدام به في ١٩٨٥/١٠/١٨
٣٧	اسو طاهر محمد عمر	١٩٦٤	طالب	=	=	=	=	=
٣٨	امانج طاهر	١٩٦٣	=	=	=	=	=	=

بنکەی ژین
www.zheen.org

ت	الاسم الثلاثي	المواليد	المهنة	الزمرة التخريبية	جهة الأمر	تاريخ القبض	مكان القبض	الملاحظات
	محمد عمر							
٣٩	امانج احمد غفور	١٩٦٣	خريج جامعة	=	=	=	=	عثر بحوزه على صورة فوتوغرافية لبعض المخربين، تم تنفيذ حكم الاعدام به في ١٩٨٥/١٠/١٨
٤٠	خبات محمد غريب	١٩٦٠	مدير متوسطة	=	=	=	=	عثور على منشورات معادية في داره تعود الى الحزب الشيوعي العميل وبعض المطبوعات تعود الى زمرة عملاء ايران، تم تنفيذ حكم الاعدام به في ١٩٨٥/١٠/١٨
٤١	دلير عبدالله عزيز	١٩٦٧	عامل اهلي	=	=	=	=	ضبط بحوزته على صورة فوتوغرافية مع المخربين ومن ضمنهم المخرب مصطفى چاوەرەش، تم تنفيذ حكم الاعدام به في ١٩٨٥/١٠/١٨

بنکەی ژین
www.zheen.org

ت	الاسم الثلاثي	المواليد	المهنة	الزمرة التخريبية	جهة الأمر	تاريخ القبض	مكان القبض	الملاحظات
٤٢	شورش محمد سعيد	١٩٦١	طالب جامعي	=	=	=	=	تم القبض عليه لارتباطه بالتنظيمات الداخلية لزمرة عملاء ايران/ جناح الكوملة، حيث اعترف بارتباطه بالزمرة المذكورة، تم تنفيذ حكم الاعدام به في ١٩٨٥/١٢/١٩
٤٣	فريق محمد كريم	١٩٦٧	عامل اهلي		=	=	=	=
٤٤	بهروز عثمان رحيم	١٩٦٧	=		=	=	=	=

بنكەی ژین
www.zheen.org

والآن علينا الاجابة على سؤال لابد وان يثار عند القارئ والسامع والسؤال هو: هل ان هؤلاء الضحايا كانوا يستحقون الموت؟ وفق قانون عادل أم لا؟ اذا كان الجواب بنعم، فليس هناك ضير، اما اذا كان الجواب بلا، فهنا تكمن شناعة الجريمة.

عند الصاق أية تهمة بشخص ما يجرى التحقيق معه وتجمع ضده ادلة، فاذا كانت الادلة مقنعة يحال الى المحكمة. والمحكمة يجب ان تكون عادلة ونزيهة ومحايدة ويعطى للمتهم ضمانات الدفاع عن نفسه، كما وتنتدب المحكمة محامياً للدفاع عنه على حسابها، اذا كان المتهم معوزاً، اما ضحايانا هذه، فلم يروا وجه قضاتهم، فالذي امر باعدامهم، هو مدير الامن العام القابع في غرفته المكيفة في بغداد، على بعد مئات الكيلومترات عن محل الحادث.

كل الادلة المتوفرة ضد بعضهم هي تخلفهم عن الخدمة العسكرية او الهروب منها او عثور المفتشين على صور لاحد المناضلين او على كتاب اما الذين لم يعثروا لديهم على شئ، فانهم كانوا يمرّون بعملية تعذيب لايطاق، فإما يخرج وهو معترف بذنب لم يرتكبه او يخرج وهو محمول على نقالة، وهو جثة هامدة لاروح فيها، فاصحاب التسلسل من (٣٠-٣٢)، حيث ورد في حقل الملاحظات، انهم توفوا اثناء التحقيق! اي ماتوا تحت التعذيب.

والآن اليكم بعض الغرائب التي حدثت في هذا المنع والذي لانجد له مثيلاً في اي بلد غير عراق البعث الا ماندر:

١. نفذ حكم الاعدام في معظم المعتقلين الاربعة والاربعين في نفس يوم المنع اي في ١٩٨٥/١٠/١٧ او بعده بيوم او أقصاه يومين! كما يدل على ذلك تاريخ تنفيذ حكم الاعدام الذي ورد في حقل الملاحظات.

٢. التسلسل (٣٢) ياسين مارف قادر، عذب حتى الموت لأن شقيقه الهارب عبدالله مارف من زمرة عملاء إيران. إذاً، والكلام لي، لماذا يعذب حتى الموت؟! وماذا كان ذنبه.

٣. أغتيل نائب ضابط في فلكة نالي في مدينة السليمانية في ١٩٨٧/١٠/١٨، وقد درجت الحكومة عند كل إغتيال إعدام عدد من الموقوفين في مكان الأغتيال رمياُ بالرصاص، فأختارت الأجهزة الأمنية من معتقلي هذا المنع (٩) أشخاص هم كل من: خبات محمد غريب (تسلسل ٤٠) طاهر محمد عمر (ت ٣٦) وولديه آمانج وآسو على التوالي (ت٣٨ و٣٧) ودلير عبدالله عزيز (ت٤١) والطالب الجامعي آمانج أحمد غفور (ت٣٩) والموظف المتقاعد حسين شريف محمد وولده سردشت وإبن أخيه آوات محمد شريف الذي كان ضيفاً عند عمه في ذلك اليوم المشؤوم، وهم أصحاب التسلسلات على التوالي (٣٣-٣٥)، وأعدموا فعلاً يوم ١٩٨٧/١٠/١٨، رمياً بالرصاص في المكان الذي اغتيل فيه النائب الضابط، وتبين فيما بعد ان هذا النائب الضابط قتله جندي عربي لوجود ثارات عائلية بينهما. غير أننا دفعنا نحن الثمن وكما رأيتم كان الثمن باهظاً.

٤. لنتوقف عند الموظف المتقاعد **حسين شريف محمد** وولده **سردشت** وأبنأخيه **آوات محمد شريف** وما الذي تسبب في أعدامهم في فلكة (نالي) المارة ذكرها؟ في حقل الملاحظات ذكر السبب وهو عثور المفتشين على لافتة في داره تعود الى زمرة عملاء إيران والتعرف على ماهية هذه اللافتة ترينا بجلاء تفاهة الاسباب التي اعدم بسببها هذه المجموعة:

كان للمعدوم حسين شريف محمد أبن في مرحلة الصبا يدعى(كاروان) توفي قبل بضع سنوات في نهر (دوكان) غرقاً عندما كان هناك مع بعض أقرانه في نزهة مدرسية. في الزيارة الاولى للأهل والاقارب الى مثواه الآخير، ويكون عادة بعد مراسيم الفاتحة، أي في اليوم الثالث بعد الوفاة، وجدوا لافتة لاتحاد طلبة كُردستان وهي منظمة طلابية محظورة طبعاً، فكل تنظيم حزبي او غير حزبي محظور عند البعثيين ماعدا حزب البعث وتنظيماته الجماهيرية! تنعى اللافته الفقيد وتعزى أهله وذويه بالمصاب بالعبارات المتداولة في مثل هذه المناسبات المحزنة ولا شئ آخر. والاحتفاظ في ظل حكم البعث بمثل هذه الأشياء، هو كوضع قنبلة مسحوبة المسمار

تحت مخدتك، فأنها قد تنفجر في أية لحظة وتنهي حياتك وربما حياة من حولك أيضاً، وهو ما حدث للمرحوم حسين شريف محمد بالتمام والكمال عندما عثر المفتشون بين طيات الافرشة على هذه اللافتة (الخطيرة) وكلف ذلك التذكار حياة حسين شريف محمد وولده سردشت وإبن أخيه آوات محمد شريف الذي شاء حظه العاثر أن يكون في دار عمه عندما أعلن المنع.

٥. في اثناء تنفيذ حكم الاعدام رمياً بالرصاص للوجبة الاولى من هذه المجموعة، أي الجنود المتخلفين والهاربين، حدث أمر آخر أكثر غرابة من أغتيال النائب الضابط واليكم شرح ذلك: ألقي القبض على (سامان محمد گەورە) مع اربعة من أشقائه سامال وسولاڤ و سەرسەنگ وسواره، في الساعة الثامنة من صباح يوم المنع وفي الساعة الخامسة من ظهر نفس اليوم وجدوا انفسهم مع (١٧) شخصاً آخر من امثالهم معصوبي الاعين مشدودين الى الاعمدة يواجهون حكم الموت رمياً بالرصاص.

بينما كانت فرقة التنفيذ على أهبة الاستعداد لاداء مهمتها، يحضر آمر انضباط الفيلق الاول والمكلف بالاشراف على التنفيذ وكان برتبة مقدم يدعى (قصي) يشرع بتفحص المحكومين، ولما كانت الاعمدة عبارة عن (٢٠) عموداً فأن كل من (سواره وسولاڤ) كانا ينتظران خلو الاعمدة بعد تنفيذ حكم الموت بتلك الوجبة.

لحسن حظ (سامان) كان الحبل الذي شدّ به الى العمود لم يكن شداً محكماً، مما حدى بالضابط المذكور الى تنبيه مساعده لاصلاح ذلك الخلل، بذلك علم سامان بوجود ذلك الضابط، فأنتهز هذه الفرصة فقال له: سيدي.. انا وأشقائي ابرياء، انني جندي مستمر بالخدمة ومجاز أصولياً واجازتي سارية المفعول وهي الآن في جيب سترتي، فلماذا تعدمونني؟ بعد دقائق خالها (سامان) دهراً سمع الضابط يقول موجهاً كلامه هذه المرة الى ضابط إستخبارات الفرقة الرابعة وكان برتبة نقيب أسمه غانم: شنو هاي الهوسة (أي ماهذه الفوضى باللهجة العامية العراقية) ان عدد المحكومين أكثر من عدد الاعمدة؟ فعدد الاعمدة (٢٠) بينما عدد

المحكومين هم (٢٢)، وهذا يعني ان هناك من بينهم أثنان غير محكومين بالاعدام وأغلب الظن انه انتبه لهذا الخطأ عندما شاهد سولاڤ وسواره جالسين قبالة المحكومين على الارض ينتظران دورهما.

يأمر الضابط بجلب قائمة المحكومين وبعد تدقيقها يتبين له انها لاتحتوي على أسم سامان ولا أسم شقيقيه الجالسين سواره وسولاڤ، عندئذ يأمر الضابط برفع الكيس عن رأس سامان وحل وثاقه وعن شقيقيه المذكورين. ولكن بالأفراج عن هولاء الثلاثة، يظهر خطأ من نوع آخر وهو خلو عمود! وهذا يعني ان هناك محكوم غائب أو هارب، فيتفرق الجنود كل في أتجاه للعثور عليه، وآخيراً يعثرون عليه وهو قابع في سيارة اللوري التي جلبتهم وهو معصوب العينين، فيقتادونه الى ساحة الاعدام وهم يجرونه جراً. ولم نبتعد كثيراً والقول لسامان: عندما سمعنا صوت الرّمي، وهكذا تحققت نبوءة شقيقينا المعدومين (سامال وسرسنگ) ونحن نقبلهم قبلة الوداع حيث قالا وأسفاه ايها الاخوة لقد فرقوا بيننا الى الابد ظلماً وعدواناً، ثم أجهش سامان بالبكاء ... نعم ان جراحات كهذه ستظل تنزف دماً مابقي في الجسد رمق من الحياة.

بنكەی ژین
www.zheen.org

والآن وبعد أن وقفتم على تفاصيل إعتقال سامان وأشقائه العجيبة وكيف ان رخاوة الحبل الذي شدّ به حال دون إعدامه وإعدام أثنين من أشقائه، انني على ثقة بأنكم تنصفونني اذا قلت: ان حياة الفرد الكُردي ومماته كانتا معلقتين بخيط أوهى من بيت العنكبوت، ولم لا؟ أفرض ان الحبل كان مشدود شداً محكماً، او ان الضابط لم يأتِ نهائياً الى ساحة الاعدام، او جاء ولكن رخاوة الحبل لم تجلب نظره او جلبته، ولكن لم يعرها أهتماماً، أو كان على شفاه سامان أشرطة لاصقة أو شلّ الرعب قدرة النطق عنده، أو أعتقد لسبب ما، أن لاجدوى فيما يقول، أو لم يعر الضابط لكلامه اية أهمية، –أقول– لو تحقق اي من تلك الاحتمالات، لكان سامان وشقيقيه الآخرين في عداد الاموات!!

٦. كان من بين المعتقلين الأربعة والاربعين عدداً كبيراً ممن لايمكن إعدامهم قانوناً، لأنهم دون سن الثامنة عشرة (سن الرشد) في القانون العراقي. في البلدان التي لم تبتل بأنظمة دكتاتورية كالعراق، تتمتع الدساتير والقوانين بقدسية خاصة وبالأخص ماتتعلق منها بحقوق وضمانات المواطنين، بحيث لايمكن المساس بها من قبل السلطة إطلاقاً، أما في العراق وخاصة في الفترة الاخيرة –أي في زمن حكم البعث–، فليس ما هو أسهل للحكومة من خرق الدستور وإنتهاك القوانين وتعطيلها كلياً بحيث يشعر الفرد وكأنه يعيش في حالة اللاقانون، وليكن الله بعد ذلك في عون المواطن وخاصة الاكراد منهم من بطش الحكومة!

ولكي يكون بحثنا هذا استقرائياً ومدعّماً بالشواهد، أقرأوا معي منطوق المادة (٧٩) من قانون العقوبات العراقي النافذ المرقم (١١١) والصادر سنة ١٩٦٩ والذي يقول: ((لا يحكم بالاعدام على من يكون وقت إرتكاب الجريمة قد أتم الثامنة عشرة من العمر ولم يتم العشرين من العمر ويحل السجن المؤبد محل عقوبة الاعدام في هذه الحالة)).

والآن لنلقي نظرة على أعمار المعدومين كما وردت في القائمة ولنر، كم منهم لم يكمل العشرين من عمره ومع ذلك أعدموا!

- ت (٢١) هيوا فائق فارس، تولد ١٩٦٧، بالكاد أكمل الثامنة عشرة أو لم يكملها، لاننا لانعلم بالتحديد يوم تولده، علماً أن سن الرشد في القانون العراقي هو (١٨) سنة كما نوهنا قبل قليل.
- ت (٢٢) سردار عثمان فرج، تولد ١٩٦٨، أي عمره وقت الأعدام كان (١٧) سنة.
- ت (٢٤) كاوه نامق حمەسوور، ١٩٧٠، خمس عشر عاماً.
- ت (٢٥) سوران رضا معين، تولد ١٩٦٧، بالكاد أكمل الثامنة عشرة أو لم يكملها.
- ت (٢٦) آزاد شريف أمين، تولد ١٩٦٨ سبع عشرة سنة.

- ت (٢٧) نوزاد حسين عارف، تولد ١٩٦٩ ست عشرة سنة.
- ت (٢٨) خالد عبدالله مير حسن، تولد ١٩٧٠ خمس عشرة سنة.
- ت (٢٩) محمد عمر محمد مارف، تولد ١٩٧١ اربعة عشر سنة.
- ت (٤١) دلير عبد الله عزيز، تولد ١٩٦٧ بالكاد أكمل الثامنة عشرة أو لم يكملها.
- ت (٤٣) فريق محمد كريم، تولد ١٩٦٧ بالكاد ثماني عشرة سنة أو لم يكملها.
- ت (٤٤) بهروز عثمان رحيم، تولد ١٩٦٧ بالكاد ثماني عشرة او لم يكملها.

كما يوجد أيضاً بين المعدومين من اكمل سن الرشد، الا انهم لم يكملوا سن العشرين، وكان المفروض ان لايعدموا لو طبقت بحقهم المادة (٧٩) الآنفة الذكر، من هؤلاء أصحاب التسلسلات (٢، ٣، ١١، ١٢)، أي ريبوار عثمان ميرزا وكمال أحمد عبدالرحمن وكاروان إسماعيل محمد وهوشيار فتاح كريم، فقد كانوا من مواليد ١٩٦٥ والتسلسلين (٣١، ٣٤)، أي دلير فائق علي وسردشت حسين شريف، فهما من مواليد عام ١٩٦٦، اللهم إذا كان تولدهما يصادفان الايام التي تلت يوم المنع.

كما يجب ان لاننسى ان المادة (٧٩) تحتسب العمر من وقت إرتكاب الجريمة وجريمة هؤلاء، ان كانوا قد أرتكبوها، لم يرتكبوها يوم المنع، إذ ربما تُهم بعضهم ترجع الى ما قبل يوم المنع بسنة او سنتين وربما أكثر وهكذا لو طبقت المادة (٧٩) بحقهم لكان ثلاثة أرباع هؤلاء الآن على قيد الحياة على أقل تقدير! ولكن القانون في العراق لا يحمي الا المجرم العادي، أي القتلة واللصوص والمحتالين واللواطين.

وعلى الرغم من تنفيذ عملية الإعدام في معسكر (ثكنة صلاح الدين)، إلا أن جثث الضحايا لم تدفن فيه، كما كان الحال في المنع الأول، وربما لأن هذا المعسكر

بنتيجة التوسع العمراني الحاصل في مدينة السليمانية خلال (٢٢) سنة الماضية أصبح في وسط المدينة، ولم يعد يصلح لاستغلاله للقبور الجماعية[٩].

٧. لذلك إختاروا معسكر آخر لهذا الغرض يقع خارج المدينة يسمى معسكر (سارداو).

وقد عثر الأهالي على هذا القبر الجماعي بعد الانتفاضة واقرار الملاذ الآمن عام ١٩٩١، وبالأضافة الى هذا القبر عثر الأهالي ايضاً على قبور اخرى في نفس هذا المعسكر، تعرفوا على بعض المجاميع المدفونة فيها، ولم يتعرفوا على آخريات ومن بين تلك المجاميع الجنود الأيرانيين الأسرى في الحرب العراقية الأيرانية.

تعطينا نشرة (قبور غير هادئة) الآنفة الذكر معلومات إضافية في الصفحة (١٣) منها عن هذا المعسكر تحت عنوان (قاعدة سارداو العسكرية في السليمانية)، فتقول: انشأت هذه القاعدة عام ١٩٨٨، بينما كانت الحرب العراقية الأيرانية تدنو من نهايتها. تحولت قاعدة سارداو الى كبرى المنشآت العسكرية في شمال شرق العراق، ولم تكن هذه القاعدة بالنسبة للأكراد، بجدرانها ذات الابراج والاسلاك الشائكة والمشرفة على المدينة سوى رمزاً للأضطهاد العراقي. وقد سيطر السكان على هذه القاعدة خلال

www.zheen.org

[٩] إذا حط العسكري البعثي رجاله في مكان ما واتخذه كمعسكر، فليس هناك قوة او منطق يقنعهم بالتخلي عن شبر منه، لأنه يعتبر ذلك عاراً يلحق بشرفه العسكري؛ فعلى الرغم من وقوع هذا المعسكر في قلب المدينة كورم سرطاني، الا أن أي مسؤول بعثي –عسكرياً كان ام مدنياً– لم يفكر في أن يجعل ارض المعسكر في خدمة سكان المدينة بشكل من الأشكال.

بعد سحب الحكومة لاداراتها العسكرية والحزبية حول حكومة الاقليم ارض المعسكر الى متنزه يعتبر الآن معلمة سياحية تفتخر بها المدينة أنها اصبحت غابة تتخللها مدينة العاب وأندية عائلية وملاعب رياضية وغيرها كنظيره منتزه الشهيد (سامي عبدالرحمن) في اربيل المار الذكر. لم يكن بقاء النظام البعثي يعتمد على رضا الشعب كما في الدول الديمقراطية انه ككل الأنظمة الديكتاتورية تتعمد على مايقطعه سيفه المسلول من رقاب الناس.

إنتفاضة آذار عام ١٩٩١ وحولوها الى أنقاض بمطارقهم ومعاولهم. وفي تموز من ذلك العام اكتشفت عائلة عدة قبور غير معلمة في اثناء بحثها عن قطع انابيب في تلك القاعدة.

وفي شهر كانون الاول من عام ١٩٩١ كشف الاكراد النقاب عن ١٤٥ قبراً في السليمانية (٤٥) منها في معسكر سَرداو، وقد تم التوصل الى ان (١٩) هيكلاً عظمياً تعود للايرانيين من خلال بزاتهم العسكريه و(٢٦) تعود للاكراد.

وكان من بين المتوفين الاكراد في (سَرداو) شخص يدعي خبات محمد غريب، وعمره (٢٣) سنه وقد سبق وان القي القبض عليه في منزله من قبل البوليس السري العراقي في ١٩٨٥/١٠/١٧ وهو في فراشه وقد لبس بنطاله على عجل، وبقى مرتدياً قميص بيجامته، اخذ بعدها الى مقر جهاز الامن، ذلك استناداً الي وثيقة تم العثور عليها هناك بعد الانتفاضة، وقد سبق وان تم القاء القبض عليه لاحتفاظه بكمية من المنشورات العائدة لاحزاب معادية*، وقد تم اعدامه بعد يوم واحد لاعتقاله مع عشرة معتقلين آخرين من قبل فرقة اعدام. وقد مات سجين آخر يدعى **ياسين عارف نادر**. والذي تم اعتقاله في الوقت نفسه في اثناء التحقيق استناداً الى وثيقة مديرية امن محافظة السليمانية.

ويعتبر شقيق خبات الاكبر سناً. ويدعي آراز، احد المسؤولين الذين يقومون حالياً بفتح القبور غير المعلمة في السليمانية/ وقد ذكر اراز في مقابلة اجريت معه، فيما يخص قضية شقيقه الاصغر سناً، بذلت العائلة كل الوسائل الممكنة لمعرفة ماحصل له واضاف: لقد بعثنا برسائل الي السلطات المحلية والى الرئيس. وقد قمنا ايضاً بتقديم الهدايا الي جهاز الامن. وقد قالوا لنا بانه لاداعي للقلق وانه حي وهو محجوز في

---

* هذه الوثيقة مؤرخة في ١٩٨٩/٧/١٤ وهي تذكر أسماء المجرمين.. أمر السيد المدير العام المحترم بإعدامهم. وتذكر الوثيقة بأنه لم تصدر لهم شهادات وفاة وتذكر الوثيقة بأنه تم إعدام الأشخاص المذكورين أدناه إضافة الى كل من خبات محمد غريب وياسين عارف نادر في ١٩٨٥/١٠/١٨– دلير عبدالله عزيز، طاهر محمد عمر، امانج طاهر محمد عمر، آسو طاهر محمد عمر، حسين شريف محمد، زردشت حسين شريف، آوات محمد شريف، بهروز سردار عبدالرحمن، دلير فائق علي).

مكان آخر، وعثر آراز على رفات أخيه في شهر تشرين الاول عام ١٩٩١ في القاعدة، حيث ظل القسم العلوي من بيجامته المصنوعة جزئياً من النايلون سليماً، وقد عثر على جثته بجوار قبور الرجال العشرة الاخرين، والذين تم التعرف عليهم لاحقاً، من خلال ملابسهم وتبين بانهم كانوا من الذين اعدموا قبل سته اعوام مضت.

قال اراز: الان وبعد التعرف على شقيقي فان اهلي هم في حال افضل واضاف انه كان من المهم بالنسبه لنا ان تقوم بدفنه بالشكل الصحيح، وقد فعلنا نفس الشئ للتسعة الاخرين وان الآلاف من الناس قد حضروا مراسيم اعادة دفنهم، وهذا مهم للمجتمع على نحو خاص، لان ذلك يعني بأننا مادمنا قد عثرنا على هؤلاء الرجال، فأن بالامكان العثور على آخرين ايضاً. وفيما يخص الجنود الايرانيين، فأن الاكراد يعتقدون بأن العراقيين قد اعدموهم بعد اسرهم. فاذا كان ذلك صحيحاً فأنه يعتبر انتهاكاً جسيماً لميثاق جنيف تعتبر جريمة حرب.

خلال مكوثنا في السليمانية قمنا بفتح اربعة قبور في سارداو وعثرنا بداخلها على رفات تعود لاربعة طيارين ايرانيين مازالوا في بزاتهم العسكرية وقد عثرنا على قنينة زجاجية بين ساقي كل منهما بداخلهما بطاقات هوية ايرانية وكان اثنان منهما يحملان اثار اطلاقة نارية في الرأس. وقد توصلنا فيما بعد ومن خلال لقاءات اجريناها مع السكان المحليين الى معرفة كيفية دفن هؤلاء الجنود الايرانيين في القاعدة، فقد قال كل من (فرهاد محمد وجمال رسول) بأنهما كانا طالبين في المدرسة الثانوية ربيع عام ١٩٨٥، وقبل انشاء المعسكر بعامين وان طلاب صفه غالباً ماكانوا يذهبون للتنزه في (تل سيوان). وفي احدى المرات، شاهد الطلاب، جُثث عدد من الجنود الايرانيين بعد وصولهم المكان مازال البعض منهم في بزاتهم العسكرية وبعدها اعلموا السكان المحليين الذين قاموا بدعوة البلدية والتي قامت بدورها بارسال حفار القبور **صادق عيسى** الى الموقع.

وجد **صادق عيسى** بعد تفحصه الجثث ابراً طبية في سواعدهم وتوصل الى انهم كانوا جنوداً ايرانيين ادخلوا المستشفى واعدموا فيما بعد انتقاماً لهجوم

ايراني، وقال: رأيت بأن البعض منهم قد أصيب في رأسه ووجدت مع بعضهم بطاقات هوية وصوراً لافراد العائلة. وقد وضعت هذه الاشياء في قناني زجاجية ووضعت هذه القناني بين ارجلهم في اثناء دفنهم.

لدينا جملة تعقيبات على المعلومات التي وردت في نشرة (قبور غير هادئة) بشأن القبور الجماعية في معسكر قاعدة (سارداو) وهي كالآتي:

أ. الوثيقة التي تشير اليها النشرة وهي كتاب مديرية أمن محافظة السليمانية المرقم ١٥٤٨٦، والذي تحدثنا عن محتوياته ومحتويات قوائمه بأسهاب، إلا أن تأريخ الكتاب ورد سهواً في النشرة، فهو ١٩٨٩/٦/١٤ وليس ٧/١٤.

ب. تحدثت النشرة عن (خبات محمد غريب) واسمه يحمل رقم (٤٠) في القائمة وهو الذي قلنا انه اعدم مع ثمانية اخرين في فلكة (نالي). كما التقت البعثة شقيق (خبات) الاكبر (آراز) المنقب في القبور الجماعية. التقيت انا بدوري اراز وبحثت معه طويلاً عن القبور الجماعية حول مدينة السليمانية ونشرت حصيلة هذه المعلومات مع صورة له وللقبر الذي عثر فيه على رفاة شقيقه (خبات) في كتابي (عالم الكُرد المرعب، ص١٢٣ ومابعدها).

ج. تتحدث النشرة ايضاً عن (ياسين عارف نادر) والاصح ياسين مارف قادر وليس عارف نادر رقم (٣٢) من القوائم ومارف هو ترخيم كُردي لأسم (معروف) وورد في النشرة انه مات تحت التعذيب وهذا صحيح ولكن تكرر اسمه بنفس الخطأ في الاسم في الهامش باضافة خطأ اخر عليه وهو كان من ضمن المعدومين مع (خبات) وهذا غير صحيح طبعاً، وقد ذكرت بالاسم والارقام الثمانية الذين قتلوا في فلكة نالي رمياً بالرصاص مع (خبات).

د. ان القبور التي اجرت البعثة فيها التنقيبات في قاعدة (سارداو) ووجدت فيها الضباط الايرانيين في بزاتهم الرسمية هي غير الجنود الايرانيين الذين شاهدهم الطلاب في تل (سيوان) وهي مقبرة تقع في شرق مدينة السليمانية بينما قاعدة سارداو تقع في غربها وبينهما مسافة بضعة كليومترات وهناك بجوار قاعدة سارداو تل فوقه مقبرة

تسمى (شيخ احمد الهندي)، اقول رُبما التبس الأمر على البعثة، فذكرت سيوان بدلاً من شيخ احمد بدليل عندما تاتي البعثة على ذكر مقبرة (سيوان) لاتذكر ان هناك ضباطاً او جنوداً ايرانيين. وبهذه المناسبة ان المؤلف قد التقى عدداً من هؤلاء الجنود أتوا بهم الى المستشفى العام لأخذ صور شعاعية لهم لتحديد اماكن الشظايا والرصاص المتبقية في اجسادهم، قال احد حراس المفرزة التي أتت بهم: انا استغرب لماذا ابقوا على حياة هؤلاء الجنود؟ قلت في سري: لو كان هذا الجندي اسيراً لدى الايرانيين لأختلف رأيه حتماً في قتل الاسرى أو الابقاء على حياتهم؟!

هـ. اخيراً ان قاعدة سارداو لم تنشأ في عام ١٩٨٨، وانما يعود تأريخ انشائها الى اواخر السبعينيات بدليل ان النشرة، تقول: ان القبر الجماعي الذي وجد فيه رفاة (خبات) وزملائه كان في معسكر (سارداو) وهذا صحيح، ولكن يجب ان لا ننسى ان (خبات) اعدم في عام ١٩٨٥؟ حتى بحسب النشرة وهذا صحيح ايضاً، فكيف يكون ذلك والقاعدة لم تنشأ بعد.

ولكن هذه الهنات لا يقلل من أهمية البعثة، فهي أول بعثة وصلت الى كُردستان وأوصلت مظالم الشعب الكُردي الى العالم الخارجي. لمزيد من التفاصيل حول هذه النشرة وما وردت فيها من قبور اخرى يراجع الملحق الأول من هذا الكتاب.

لقد رأينا كيف ان السلطة البعثية تعدم الناس الابرياء من الجنسين ومن كل الاعمار دون رحمة، فكيف يكون حال أولئك الذين يقعون في أسر السلطة وهم يحملون السلاح ويقاتلونها؟ انه مصير رهيب بدون ادنى شك. اي انهم هالكون لامحالة طالت المدة ام قصرت، اي يختفي عن الانظار واذا قدر لهم ان يطفوا الى السطح، وهذا امر نادر الحدوث، فتنحصر امرهم في الحالات الآتية: مواجهة بدون جثة او جثة بدون مواجهة او لا مواجهة ولاجثة، وهي الاغلب اي الاختفاء الى الابد. ولكن قد يصادف ان يعثر اهل الاسير على جثته، على الرغم من ارادة الحكومة كهذه الحالة: في الساعة ١٠:٣٠ من صباح الاربعاء المصادف ١٩٨٧/٤/١٤ اشتبكت مفرزة من البيشمەرگه مع وحدة عسكرية قرب قرية (ئالأسياو) خلف

سلسلة جبال (ازمر) شرق مدينة السليمانية بثلاثين كيلومتراً، ولم تمض سوى دقائق معدودة حتى وصلت الطائرات المروحية المقاتلة (سمتيات) الى ساحة المعركة لنجدة الجنود.

وهذا النوع من الطائرات من اخطر انواع الاسلحة ضد الانصار، بحيث لايمكن الخلاص من براثنها، اللهم الا بمعجزة، فهي تصطاد أعدائها من الجو، بكل تأن وبرودة دم، وتتعقبك اينما ذهبت وانك مكشوف لديها اينما أختفيت، وهي مزودة برشاشات (دوشكا) بعيدة المدى وصواريخ جو أرض. ولا يحميك من شرّها الا صواريخ أرض جو المحمولة على الاكتاف كـ(ستينجر) أو غيرها وهذا ما لم تكن المفرزة تمتلكها.

بعد معركة دامت ساعة ونصف ساعة، نفذت الأعتدة عند المفرزة، كما قتل معظم أفرادها أو جرحوا، وهكذا حطت المروحيات على الأرض في شكل دائرة محيطين بمن بقي منهم على قيد الحياة وكانوا (١١) مقاتلاً معظمهم جرحى.. فأركبوهم في الطائرات أما الجثث فقد تركوها في ساحة المعركة فلم يكونوا بحاجة اليها.

٣. لنعد الى مصير مفرزتنا، لقد نقلوا الى معسكر (سيتەك) مقر الفرقة (٣٤) القريبة من ساحة المعركة. وكان آمر المعسكر، هو قائد الفرقة (نزار الخزجي). لقد تسربت بعد ذلك الأخبار الى ذوي الأسرى، من أنهم قتلوا في مقر الفرقة، بعد إستجواب مختصر إلا إن أحداً لم يقطع الشك باليقين الا في يوم ١٩٩٤/٣/٢٣ أي بعد سبع سنوات من الأسر وبعد أربع سنوات من اعلان الملاذ الامن.

ففي اليوم المذكور أخبر أحد الفلاحين الجهات الرسمية: بأنه بينما كان يحرث أرض معسكر (سيتەك) تعلق بسن محراثه قطع ثياب رجالية لذلك لا يستبعد أن يكون في أرضه قبر جماعي. وفعلاً تحقق ظنه إذ بعد التنقيب في الأرض عثروا على هياكل عظمية وقطع من الملابس والهويات تبين أنها تعود الى أفراد المفرزة وهم:
١. شيخ جميل شيخ أحمد، ٢. آراس محمد أحمد، ٣. هوشيار سعدون سعيد، ٤. محمد أحمد ماهر، ٥. بيستون إبراهيم سعيد، ٦. خسرو رؤوف رحيم، ٧.

مصطفى قادر مصطفى، ٨. شيركو محمد عبد الله، ٩. رزگار عثمان فرج، ١٠. نوري محمود قادر، ١١. ستار أحمد قادر.

أغلب الظن أنهم أعدموا في اليوم التالي لأسرهم، أي في يوم ١٩٨٧/٤/١٥ بدليل أن ساعة (هوشيار سعدون سعيد) قد توقفت عند الساعة ١٠:٢٠ من يوم ١٩٨٧/٤/١٦ وكانت ساعته من النوع الذي يُعَبأ بالحركات الاعتيادية ليد حاملها ولو تركت دون حركة، فأنها لا تتوقف فجأة بل تستمر في عملها مدة (١٢) ساعة على الأقل. والغريب في الأمر أن الساعة بدأت تعمل من جديد بمجرد تحريكها على الرغم من بقائها كل تلك السنوات تحت التراب وفي مكان رطب ومكشوف للتقلبات الجوية، وهي الآن تزين معصم والدته كذكرى عزيزة من فلذة كبدها. ماذا لو علمت الشركة المنتجة للساعة بهذا الأمتحان العسير لساعتها ونجاحها في إجتيازه، أغلب الظن أنها تستغلها كدعاية لإثبات جودة ساعتها! وبالتالي زيادة مبيعاتها! والآن اليس من سخريات القدر أن تعاد الحياة الى ساعة رخيصة عديمة الأحساس ولا تعاد الحياة الى أحد عشر شاباً في مقتبل العمر، فيهم من لم يكمل الثالثة عشرة، كان كل ذنبهم هو أن ينال شعبهم قليلاً من الحرية وشيئاً من الأستقلال، هذا الحق الذي يتمتع به كل الشعوب دون إستثناء عدا الشعب الكُردي فهل هناك تفسير معقول لهذه اللعنة الأبدية يا أولي الألباب!

ومن تواريخ تولد المعدومين والمثبتة على شواهد قبورهم يتبين أن أكثرهم لم يكملوا الثامنة عشرة من عمرهم، أي سن الرشد في التشريعات العقابية العراقية، في الوقت الذي لاتبيح تلك التشريعات إعدام الأحداث، أي من هم دون سن الرشد ولو بيوم واحد مطلقاً ومع ذلك أعدم هؤلاء لأن الفرد الكُردي طالما يناضل من أجل الانعتاق فلن يستفيد من تلك الإمتيازات.

فكل من محمد وشيركو، كانا من مواليد ١٩٦٩ لا يعرف هل أكملا سن الرشد أم لا؟ مصطفى ونوري كانا بالتأكيد لم يكملا فهما من مواليد ١٩٧٠، أي (١٧) سنة وكل من خسرو وستار كانا من مواليد ١٩٧١، أي (١٦) سنة أما رزگار، فكان

أصغر الجميع، فقد كان عمره (١٣) سنة لأنه كان من مواليد ١٩٧٤ أما آمر المفرزة شيخ جميل شيخ أحمد فكان أكبرهم سناً لانه من مواليد ١٩٥٦ أي كان عمره (٣١) سنة عند استشهاده[١٠].

٤. إحتجاجاً على ترحيل القرى المحيطة بمدينة حلبجة وسوق أهاليها الى المجمعات السكنية وسريان إشاعة بين سكانها من أن الخطوة التالية تستهدف حلبجة نفسها، إجتاحت في صبيحة يوم ١٩٨٧/٥/١٣ مظاهرة عارمة مدينة حلبجة منددين بالترحيل ومطالبين بعودة الفلاحين الى قراهم. تقدمت المظاهرة نحو قلب المدينة الى السراي الحكومي. فتحركت مدرعتان عسكريتان لايقاف المتظاهرين ومنعهم من الوصول الى السراي وهناك حدث شيء لم يكن في الحسبان، فبدلاً من رشق المدرعتين بالحجارة نثروا على رؤوس طاقميها الورود البرية حيث كان الفصل ربيعاً. وكان هدف المتظاهرين في ذلك هو إستمالة الجنود وكانوا يهتفون البعث عدونا والجنود أخواننا، وفعلاً تحقق للمتظاهرين ما أرادوا فوعدهم الجنود بالأمتناع عن إطلاق النار عليهم وقد بروا بوعدهم.

أزاء إمتناع الجنود تحرك أفراد مديرية أمن المدينة للتصدي للمظاهرة وقتلوا صبياً في الثامنة من عمره يدعى (مريوان)، فكان ذلك بمثابة صب الزيت على النار، فهبت المدينة عن بكرة أبيها، وتحولت شوارع وساحاتها الى بحر متلاطم من المتظاهرين الغاضبين. أضطرت إدارة القضاء وأجهزتها القمعية أزاء هذا الوضع المتأزم للغاية الى طلب النجدة من المعسكر القريب من المدينة للسيطرة على الوضع والقضاء على المظاهرة.

وصلت القوة على جناح السرعة الى مدينة حلبجة، ويظهر أن القوة كانت تحمل تعليمات مشددة في كيفية التعامل مع المتظاهرين، فقد كان جنود القوة يطلقون النار

---

[١٠] يدين المؤلف بهذه المعلومات الى شقيق الشهيد آمر المفرزة شيخ جميل شيخ احمد، المحامي شيخ محمد شيخ احمد.

على كل شخص يعترض أو لايعترض طريقهم بدون قيد أو شرط، ليس هذا فقط، بل كان أيضاً هناك مروحيتان سمتيتان تجوبان سماء المدينة وتطلقان الصواريخ على أي تجمع من المتظاهرين، حتى بات الأستمرار في التظاهر يشكل خطراً جدياً لايستهان به على حياة المتظاهرين، فأختفوا في بيوت المدينة وأنتهت بذلك المظاهرة.

كانت حصيلة الخسائر البشرية في صفوف المتظاهرين على الرغم من كثافة النار التي أستخدمت في تفريقهم متواضعة الى حد كبير ثمانية قتلى وسبعة عشر جريحاً، وقد ورد أسماء القتلى بإستثناء الصبي (مريوان) وجميع الجرحى في برقية معاونية أمن حلبجة المؤرخة في ١٩٨٧/٥/١٣ وأعمارهم ومحلات سكناهم. أخفى أهالي المدينة جثث القتلى في البيوت أما الجرحى فأن مكانهم الطبيعي هو المستشفى، لذلك فقد نقلوا فعلاً الى هناك للمعالجة والآن لنر ما الذي حدث بعد ذلك؟!

لقد أحاط الجنود بالمستشفى وأعتقلوا الجرحى ومرافقيهم من ذويهم طبعاً وكانوا اثنين وخمسين شخصاً (١٧ جريحاً و٣٥ مرافقاً) من الرجال والنساء أقتيدوا الى مكان مجهول، ظل مجهولاً الى ساعة كتابة هذا الموضوع.

لم تنته المأساة عند ذلك الحد، ففي مساء يوم المظاهرة عاد (٤٢) عاملاً من عمال دائرة الزراعة الى مدينتهم حلبجة قادمين من قصبة خورمال على بعد عشرة كيلو مترات شمال مدينة حلبجة بعد عمل يوم شاق في غرس شتلات الأشجار، ولم يجدوا أنفسهم، إلا وقد حوصروا من قبل الجنود ورجال الأمن، متهمين إيّاهم بالأشتراك في المظاهرة، وهم لم يسمعوا حتى بوقوعها ومع ذلك أختفوا هم أيضاً عن الأنظار، ولكن الى حين فبعد خمس سنوات تقريباً من يوم إختفائهم، وبالتحديد في يوم ١٩٩٢/٣/١٦ أي بعد تطهير أرضنا من أدران هؤلاء القتلة، ففي ذلك اليوم تعلق قطع من الملابس الرجالية بمحراث أحد الفلاحين قرب معسكر (شانەدەرى) الواقعة على بعد عشرين كيلومتراً شمال غرب حلبجة وبعد البحث والتنقيب في البقعة التي عثر فيها الفلاح على الملابس تبين لهم أنه قبر جماعي، وتمكنوا من التعرف على بعض الجثث من بينهم (٢٤) جثة كانت تعود لهؤلاء

العمال المساكين الأبرياء! والسؤال الآن الم تنته بعد الأجراءات الأنتقامية البعثية للقائمين وغير القائمين بتلك المظاهرة؟ أقول كلا. هناك إجراء آخر هو هدم (٣٥٠) داراً سكنياً من الحي الذي إنطلقت منه المظاهرة!

والآن هناك سؤال اخر يفرض نفسه، وهو: هل أن قائد الفيلق الأول المسؤول عن قاطع حلبجة والذي قام بقمع المظاهرة، قد أعدم الجرحى والمرافقين وعمال دائرة الزراعة، وكذلك قام بهدم هذا العدد الكبير من دور المواطنين بمبادرة منه؟ أم تلقى أوامر من جهة أعلى منه؟ أن كتاب مديرية أمن حلبجة الموجه الى مديرية أمن السليمانية يحل لنا هذا اللغز والذي حمل الرقم ٣٣٢٤ في ١٩٨٧/٥/١٤ يقول الكتاب:

أعلمتنا معاونية أمن حلبجة ببرقيتها: ٢٨٥٨ في ١٩٨٧/٥/١٤ أعلمتهم آمرية الجحفل الوطني الخامس ببرقيتها ٦٤٥ في ١٩٨٧/٥/١٣ مايأتي:

بأن أمر السيد قائد الفيلق الأول بإيعاز من الرفيق علي حسن المجيد أعدام الجرحى المدنيين بعد التأكد من المنظمة الحزبية ودائرة الأمن والشرطة ومركز الأستخبارات مناوئتهم للسلطة. إذاً هو علي حسن المجيد الذي يقف بأستمرار وراء معظم الجرائم التي أرتكبت بحق الشعب العراقي واليكم الآن نص البرقية:

www.zheen.org

أمر جحفل الدفاع الوطني الخامس

من/ آمرية جحفل الدفاع الوطني الخامس

الى/ أعضاء اللجنة الأمنية في حلبجة

و/ ق. ق جح د وطني /٧

رقم المنشأ / أ س /٩١٥

أمر السيد قائد الفيلق الأول وبإيعاز من السيد الرفيق علي حسن المجيد مايأتي:

(٠) ١ (٠) إعدام الجرحى المدنيين بعد التأكد من المنظمة الحزبية ودائرة الأمن والشرطة ومركز إستخبارات حلبجة بمناوئتهم للسلطة (٠) ٢ (٠) الأستفادة من الشفلات والبلدوزرات، لقلع محلة كاني اشقان (٠)٣(٠) يعالج أي تجمع من قبل

جهاز الشرطة والجيش والأمن (٠)٤(٠) يقطع التجوال من الآن وحتى إشعار آخر من مقرنا (٠)٥(٠) تدمير أي دا ر –بالدبابات والبلدوزرات– يصدر أو صدرت منها نار ومؤشرة لدى القوة (٠) أنتهت.

(التوقيع)

العميد

آمر جحفل الدفاع الوطني الخامس

البرقية –كما رأينا– تخص الجرحى فقط، اما كيف تطور الامر الى المرافقين وكذلك العمال الزراعيين؟ العلم عندهم او ربما هناك برقيات اخرى لم نعثر عليها. وختاماً هل قمتم بتعداد ضحايا هذه المظاهرة ؟ لنجمع معاً: ٩ قتلى+ ١٧ جريح + ٣٥ مرافقاً+ ٤٢ عاملاً زراعياً=١٠٣ قتيل ومفقود كانت حصيلة المظاهرة. فعراق البعث لم يكن يقوم بتفريق المتظاهرين بالعصي والهراوات او بخراطيم المياه او بغازات المسيلة للدموع، وانما بالذخائر الحية وحتى بالصواريخ كما رأينا، وهو سرّ احجام الجماهير في العراق عن التظاهر طيلة حكم البعث، لانه ببساطة يعني الانتحار أي الموت المحقق[١١].

يكفينا ذكر هذا العدد من القبور الجماعية في المعسكرات في الوقت الذي اقول باطمئنان ان معظم المعسكرات في كُردستان في زمن البعث كان له قبوره الجماعية، اكتشفت منها هذا العدد في محافظة السليمانية وحدها وسوف تكتشف قبوراً اخرى ان لم يكن اليوم فغداً وان غداً لناظره قريب. والان احدثكم عن مكان آخر للقبر الجماعي الاكثر ملائمة من كل الاماكن الاخرى وهي البراري.

ثالثاً: **البراري**: هي مناطق خلوية بعيدة عن الحواضر العمرانية (المدن، القصبات، القرى) وخاصة المناطق السهلية الشاسعة وهي تبدأ من محافظة

[١١] لمزيد من التفاصيل والاطلاع على الوثائق المتعلقه بهذه المظاهرة يراجع كتابنا: (عالم الكُرد المرعب، ص٥١١ ومابعدها).

كركوك، فنازلاً الى وسط وجنوب العراق، وبالاخص البادية الجنوبية، وهي مناطق صحراوية قاحلة وشاسعة تتاخم حدود دولتي الكويت والمملكة العربية السعودية. وككل الصحارى تقل فيها الحواضر او تنعدم كلياً في معظمها باستثناء قبائل الرحل العربية الذين يجوبون مع قطعانهم وراء الكلأ والماء في بعض المواسم.

القبر الجماعي والذي يجب ان يتم في اعلى درجات السرية يجد ضالته المنشودة في هذه المناطق المعزولة النائية لذلك يكون امراً طبيعياً ان تكون البادية الجنوبية مستقراً لمعظم القبور الجماعية الكُردية والعربية كما سنرى. وقد ارتأينا ان نتطرق الى البراري –كمكان مثالي للقبر الجماعي في ثنايا طرق تنفيذ الاعدام بالضحايا، ففي مواضيع كهذه من الطبيعي ان نشير الى اماكن تلك القبور واليكم فيما يأتي كيفية تنفيذ الاعدام بالضحايا وانواعها:

بنكەی ژین
www.zheen.org

(٥)

طرق التنفيذ

مثلما لعب كثرة عدد الضحايا أو قلتها دورها في اختيار أمكنة القبور الجماعية، تلعب دورها ايضاً في الطريقة التي تقضي بها على الضحايا، فاذا كان العدد صغيراً نسبياً فانهم يُشدون الى الاعمدة وتُنفذ فيهم حكم الاعدام رمياً بالرصاص أو شنقاً بالحبال وينقلون بعد ذلك جثثهم الى قبر جماعي. أما إذا كان العدد كبيراً واحياناً هائلاً كضحايا الانفال والبرزانيين مثلاً، فانهم يتبعون ما ادعوه بالاعدامات الكتلوية، إذا صح هذا التعبير، والآن لنتتبع ذلك ميدانياً:

أ) ما استنتجه الخبراء عن طرق تنفيذ الاعدامات الكتلوية بعد اجرائهم التنقيب في القبور الجماعية.

ب) ما نقله لنا شهود عيان قدر لهم معاينة تلك الطرق.

وبخصوص ما استنتجه الخبراء عن طرق التنفيذ، فانني استشهد بما أفاد به الخبير الدولي (مايكل ترمبل) عند اجرائه التنقيب في القبر الجماعي (نينوى/٢) و(نينوى/٩) الواقعان في سهول قضاء الحضر التابعة لمحافظة نينوى وكذلك (المثنى/٢) والواقعة كما يتبين من اسمه في صحاري محافظة المثنى. وقد أدلى هذا الخبير بشهادته أمام المحكمة الجنائية العليا (الهيئة الثانية) بالقضية المرقمة (١/ج ثانية/٢٠٠٦) أي قضية الانفال.

أرى من الضروري التحدث اولاً عن (الانفال) وما يقصد بها، فاذا علمنا ذلك عندئذٍ يمكن فهم هذه القبور الجماعية وبالتالي السيناريوهات التي اتبعت في القضاء على المدفونين فيها. توصل صدام حسين الى قناعة راسخة وهي: إستحالة القضاء على الثورة الكُردية، طالما بقيت قرية كُردية قائمة، لأن هذه القرى هي

التي تؤمن المأوى والطعام لمقاتلي الكُرد، فهي بمثابة الجذور التي تمد النبتة بمقومات الحياة، فأذا أريد للنبتة أن تموت فعليك بقطع جذورها.

تنفيذاً لهذه الفكرة الجهنمية شرعت الحكومة بحلول عام ١٩٧٨ بحملة محمومة لتهديم القرى الكُردية في المحافظات (ديالى والسليمانية وكركوك وصلاح الدين وأربيل ودهوك ونينوى) وتعليب سكانها في مجمعات سكنية قسرية دون أي مورد يعتاشون هم وعوائلهم عليه، بأمل أن يدفعهم الفقر والفاقة الى حمل السلاح لمقاتلة بني جلدتهم (البيشمرگه) وهكذا يقتل صدام عصفورين بحجر واحد. وقد لاقت خطته نجاحاً منقطع النظير!!

ومع ذلك بقيت مئات القرى قائمة لسبب أو لآخر، لذلك قام الجيش العراقي بتنظيم حملة عسكرية أسمتها الحكومة بحملات الأنفال وحشدت لها قوات ضخمة: فيالق من المشاة، طائرات مقاتلة، سمتيات (اي المروحيات المقاتلة)، دبابات، مدافع، راجمات. كما أستعملت السلاح الكيمياوي كسلاح ساند في بعض المواقع، لأنه كان يتوقع مقاومة عنيفة من (البيشمرگه).

قسمت الحملة الى ثمانية حملات فرعية، بدأت الحملة الأولى يوم ٢٣/شباط/١٩٨٨ وأنتهت الثامنة في ٦/أيلول/١٩٨٨ غطت الحملة جميع القرى المتبقية في المحافظات المشار اليها قبل قليل.

لم تبق بعد هذه الحملة ليست فقط قرى قائمة وأنما المدن الصغيرة أيضاً كمراكز النواحي والأقضية والتي تعد بالعشرات أما عدد القرى المهدمة قبلاً أو في اثناء حملات الأنفال فقد بلغت خمسة آلاف قرية، وهكذا لم تبق سوى مراكز المحافظات (السليمانية، أربيل، دهوك). وأعتبرت خارج حدود بلدياتها مناطق محرمة يقتل فيها كل أنسان أو حيوان أو يعدم فيما بعد إذا ألقي القبض عليه حياً في مقرات مديريات الأمن بدون محاكمة من الأعمار (١٥) سنة داخل صعوداً الى (٧٠) سنة داخل!! تنفيذاً لتوجيهات مكتب تنظيم الشمال التي وردت في البرقية المرقمة (٤٠٠٨) والمؤرخة في ١٩٨٧/٦/٢٠ وتحمل هذه البرقية كالعادة اسم **علي حسن المجيد**.

في حملات الأنفال العسكرية كانت هناك شاحنات ترافق القطعات العسكرية وبعد تهديم القرية يجبر سكانها الذين بقوا على قيد الحياة على ركوب تلك الشاحنات الى مراكز التجميع المعدة سلفاً لأيوائهم وليست الى مجمعات، كما كان حال المرحلين قبل حملات الأنفال.

وبعد مكوثهم هناك لأيام أو أسبوع أو أكثر قليلاً ينقلون مرة أخرى ولكن هذه المرة الى مصائر مجهولة علم فيما بعد وبعد تحرير العراق (٩ شباط/٢٠٠٣) أن معظمهم ارسلوا الى القبور الجماعية. هذه المقدمة المختصرة كانت ضرورية للتعرف على حملات الأنفال، طبيعتها وأهدافها ومن كانوا ضحاياها ؟ لأننا نأتي على ذكرها فيما بعد أكثر من مرة، عند تحدثنا عن هوية المدفونين في بعض القبور الجماعية.

إن حملات الأنفال العسكرية قد اصبحت موضوعاً لدعوى تحمل رقم ١/ج ثانية/ ٢٠٠٦ نظرت فيها محكمة الجنايات الثانية في المحكمة الجنائية العراقية العليا، كان المتهمون فيها كل من:

١. صدام حسين المجيد، رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة.

٢. علي حسن المجيد، أمين سر مكتب تنظيم الشمال لحزب البعث العربي الاشتراكي والمسؤول الأول عن تنفيذ حملات الأنفال بموجب الصلاحيات المخولة له استناداً الى قرار مجلس قيادة الثورة المرقم (١٦٠) والمؤرخ في ١٩٨٧/٢/٢٩.

٣. سلطان هاشم احمد، قائد الفيلق الاول والمكلف بتنفيذ حملات الانفال مع غيرها من الفيالق الاخرى وينعت نفسه دوماً في المراسلات بقائد عمليات الانفال وسَمَّى ابنته بالانفال، تيمناً بهذه الحملات المغرقة في الوحشية!

٤. فرحان مطلق الجبوري، مدير منظمة الاستخبارات للمنطقة الشمالية.

٥. صابر عبد العزيز حسين الدوري، مدير الاستخبارات العسكرية العامة.

وتبين من الوثائق التي عرضتها المحكمة ان مسؤولية استعمال الاسلحة الكيمياوية كان يتقاسمها صدام حسين مع هذا المتهم وكان يقوم بدور العين المبصرة، اما القرار باستخدامها فأمر يعود حصراً الى صدام حسين.

٦. حسين رشيد محمد، معاون رئيس اركان الجيش لشؤون العمليات.

٧. طاهر توفيق العاني، سكرتير لجنة شؤون الشمال ومحافظ نينوى في اثناء دفن ضحايا الانفال في قبور (حضر) الجماعية والتابعة لمحافظة نينوى، المار ذكرها. فاصدرت المحكمة قراراً في الدعوى مؤرخ في ٢٠٠٧/٦/٢٤.

بعد هذه المقدمة، ارجو ان الامر قد توضح لديكم وهو ان هذه القبور الجماعية، اي (نينوى/٢) و(نينوى/٩) و (المثنى/٢) ما هي الا مجموعة صغيرة من القبور التي دفن فيها اهالي القرى الذين قلت أنهم جمعوا واقتيدوا الى جهة مجهولة. وسوف نأتي على ذكر قبور اخرى للمؤنفلين مع التنويه الى ان هذه القبور قليلة نسبياً، بحيث لاتقارن بالاعداد الهائلة من مفقودي حملات الانفال (١٨٢٠٠٠) الفاً لذلك فمن المتوقع ظهور قبور كثيرة اخرى للمؤنفلين في المستقبل، والآن حان اوان اطلاعكم على تقارير الخبراء المنقبون وماعثروا عليها في هذه القبور من ادلة جرمية ساعدتهم كثيراً في كيفية القضاء على الضحايا والسيناريوهات التي اتبعوها.

والآن اترككم مع الخبير يحدثكم بنفسه مباشرة:

إن عملي هذا هو جهد سنتين من العمل وتحت إشراف المحكمة الجنائية العراقية العليا وبمساعدة خبراء من الولايات المتحدة واستراليا وكوستريكا وكندا وانه أشرف على نبش (٣) قبور جماعية هي: (نينوى/٢) و(نينوى/٩) و(مثنى/٢)، وقد حدثتكم –والكلام لي– عن القبر الجماعي (مثنى/٢) قبلاً بشكل مقتضب، عند تحدثي عن عمق القبر الجماعي.

بعد ذلك يستمر الخبير في افادته، فيقول إن القبرين (نينوى/٢) و(نينوى/٩)، يقعان في منحدر ووديان صغيرة تلتقي بوادي كبير، بحيث ان الاشخاص الذين يسيرون الى الجنوب لا يستطيعون مشاهدة الاشخاص والمعدات التي تعمل في هذه القبور لأنهم في المنحدر وأضاف بأنه ينبش القبر الجماعي (نينوى/٢) تم إنتشال (١٢٣) ضحية وان جميعهم أُعدموا وهذا القبر يحتوي على الاطفال والنساء فقط، حيث كان هناك (٢٥) امرأة بالغة و(٩٨) طفل وان ٩٠٪ منهم كان دون سن الـ(١٣).

ويُضيف الخبير بأن هؤلاء الضحايا كانت لديهم حياة، كانت لديهم مخاوف، كانت لديهم أفراح ومشاعر. سيدة كانت لديها قلادة لديها بعض المجوهرات هناك حلقة وخاتم.

لنذهب الى حالة اخرى جنين في بطن أمه (٦-٧) أشهر، ثم يُضيف الخبير بأنه خلال فترة عمله لم يُشاهد قبراً بهذا العمق (٣,٥م) صُنع بهذا الشكل لعدم امكانية كشفه، ويُضيف الخبير بأنه عثر على حاجيات شخصية وهويات تم تسليمها الى المحكمة، وان هيئة المحكمة تريد ان توضح ان افادات ذوي الضحايا جاءت متطابقة بشكل لا يقبل التأويل وان الضحايا من سكنة القرى الكُردية تم سوقهم الى المقابر الجماعية من خلال عمليات الانفال.

ثم يُضيف الخبير بأنه قام بانتشال (٦٤) شخصاً من القبر الجماعي (نينوى/٩) وان جميع الضحايا في هذا القبر هم من الذكور ومن البالغين وهؤلاء الضحايا اعدموا بالسلاح الاوتوماتيكي، أما القبر الجماعي (مثنى/٢) -أضاف الخبير- تم انتشال (١١٤) شخصاً من هذا القبر، منهم (٢٧) امرأة بالغة و(٢) من رجال بالغين و (٨٥) طفلاً، ويُضيف الخبير أن جميع الضحايا اعدموا وهم في حالة وقوف -ويُضيف الخبير- بأن جميع الضحايا الذين، تم انتشالهم في المقابر الجماعية في نينوى/٢ ونينوى/٩ ومثنى/٢ كانوا يرتدون الزي الكوردي التقليدي ويُضيف الخبير بأن جميع القبور الجماعية كانت مهيئة وبشكل منظم وعلى نفس النمط.

ويعطينا التقرير بعض المعلومات المذهلة حول الجثث التي عثرت عليها في القبور الثلاثة:

١. القبر الجماعي (مثنى/٢) يقول الخبير الدولي السيد (كوفمان ترمبل) تم انتشال (١١٤) شخصاً على مدار (٩) ايام. كلهم قتلوا أو اعدموا بالرصاص من اسلحة اتوماتيكية وهم في حالة وقوف منهم (٨٥) طفلاً و(٢٧) امرأة و (٢) من رجال بالغين ويقول الخبير ٩٥٪ من الاطفال في عمر أقل من (١٣) سنة. جميع الضحايا كانوا يرتدون الزي الكُردي التقليدي. ويقول الخبير تم استرجاع (٥٠) نوعاً مختلفاً من

الوثائق كانت مع بقايا الجثث، كانت معظم الوثائق من العملة العراقية. بعضها بطاقات شخصية ومواد مطبوعة تم ضبط (١٦) بطاقة شخصية، (٦) منها بحالة جيدة، تم انتشال وثيقة مكتوبة بخط اليد من عدة صفحات. ويقول الخبير كانت الملابس التي تم استرجاعها تعود الى (٧٣) انثى و (٢٦) ذكراً. من اشارات ملابس النساء تبين أن (٢٨) منهن بالغات و(١٢) منهن تحت سن البلوغ (١٣–١٧) سنة، (٢٨) طفلاً (٣–٧) سنوات، (٥) أطفال رضع. واشارت ملابس الذكور الى ان منهم (٤) بالغين و(١٣) تحت سن البلوغ و (٢٧) طفلاً ورضيعاً واحداً.

ويقول الخبير من الحاجيات الشخصية التي تم العثور عليها في القبور مع الرفاة، المجوهرات والمساحيق والاكسسوارات ومواد منزلية وقد تم ضبطها واسترجاعها من (٩٣) شخصاً منها (٧) قلادات (١٤) علبة تجميل و(١٤) كيس عطر، وتشير الملابس والمواد الثقافية بصورتها الجماعية الى ان افراد مقبرة المثنى/٢ كانوا من العرق الكُردي. ويقول الخبير انه تم استرجاع طلقات كانت مع الذكور والاناث من جميع الاعمار (اي استخرجت من جثثهم) كما استخرجت رصاصات من (٧١) شخصاً واغلفة رصاصات من (٣٧) شخصاً و(٧٩) رصاصة و(٤) اغلفة للرصاص من بين الملابس وبقايا العظام. وكان (٨٣) رصاصة و (٢٨) غلاف رصاص ملتصقة بملابس الموتى أو المواد الشخصية لهم. تم جمع (٤٨) رصاصة و(٩٣) غلاف رصاصة من القبر. ولوحظ وجود ثقوب الرصاص في جميع ملابس الموتى وكانت الثقوب أكثر وضوحاً في الملابس التي غطت الجذع مثل القمصان والفساتين والسترات واستخرجت الحبال التي كانوا يقيدون فيها الايدي، كما استخرجت عصابات العيون وهي قطع من القماش.

ومن تحليل الادلة يظهر ان الضحايا أُدخلوا الى المقبرة وتم قتلهم مرة واحدة. تم اجراء تحاليل الاثار الجنائية الشرعية على بقايا هياكل عظمية تعود الى (١١٤) شخص تم انتشالهم من مقبرة المثنى/٢، تمثل هذه البقايا المحتويات الكلية للقبر. ظهر من الفحص على الهياكل الكلية البالغة (١١٤) هيكل ان (١٠٩) منهم تعرضوا

الى اصابات في الجمجمة او خارجها، ثبت ان الـ (١١٤) هيكل عظمي الذين تم تحليلهم تعرضوا الى اصابات مقذوفية بحدود (٦) مقذوفات لكل منهم غالبيتها في منطقة الجذع، و(نينوى/٢) و(نينوى/٩) هما الاسمان للمقابر الجماعية في منطقة الحضر والتي تم اكتشافها في المقبرة الجماعية نينوى/٢، يقول الخبير الدولي السيد (مايكل ترمبل) تم انتشال (١٢٣) رفاة، منهم (٢٥) امرأة بالغة و(٩٨) طفلاً، (٩٠٪) منهم دون سن (١٣) سنة جميعهم أُعدموا. تم اكتشاف (١٤٥) وثيقة بين الرفاة في المقبرة الجماعية في (نينوى/٢) و(نينوى/٩) تتوزع بين هويات شخصية وشهادات اخراج عسكرية (دفاتر خدمة عسكرية) وشهادات راتب وصور ورسائل ومواد شخصية اخرى، من هذه الوثائق (٦٣) هوية شخصية، (١٠) منها لها علاقة بأفراد من منطقة السليمانية.

يقول الخبير من تحليل اجزاء من ملابس استخرجت من المقبرتين (نينوى/٢) و (نينوى/٩) بهدف تحليل الاصل والعمر والنوع الاجتماعي. كانت التحاليل لـ (١٢٣) حالة توحي انها من أصول كُردية طبقاً لعمر وتفصيل الملابس المسترجعة من موقع المقبرة نينوى/٢. وكانت النتائج تتلائم مع (٧٦) انثى و(٢٧) من الذكور. ودلت الملابس على (٣٦) انثى بالغة و(٣٠) فتاة. ودلّت ملابس الرجال على (٢٧) شاب دون وجود ذكور بالغين في القبر الجماعي (نينوى/٩)، دلّت الملابس جميعها على بالغين. وتميزت بغياب واضح للاناث في هذه المقبرة، ارتدى الاشخاص مزيجاً من الملابس العربية والكُردية التقليدية للذكور. وكان الملبس الاكثر وضوحاً هو السروال الكوردي. وجد (٩) اشخاص يرتدون الحزام التقليدي الكُردي الذي يلتف حول الخصر. كانت كل هذه المميزات تدل على ان الرفاة في موقع المقبرة نينوى/٩ تعود لذكور بالغين من الاصول الكُردية.

في المقبرة الجماعية (نينوى/٢) تم استرجاع (١١٦١) مادة من (٥٣) جثة من مجموع (١٢٣) جثة من الرفاة معظم المواد تتناسب مع الاناث البالغة، مثل المواد المنزلية.. والملاعق والشوك وعدد الخياطة ولوازمها ومواد نظافة شخصية وادوية. تم

اكتشاف مجوهرات لـ (٥٧) حالة، وفي عدد من الحالات وجدت طبقات من الملابس الزائدة مربوطة داخل اكياس بلاستيكية. وفي موقع (نينوى/٩) لبس الرجال طبقات متعددة من الملابس، حمل (٩) اشخاص هويات شخصية، والمجوهرات عبارة عن ساعات عدد (١١)، (٥) خواتم، (٥٠) شخصاً كانوا يحملون العملة العراقية، حمل أحد الاشخاص محفظة، وحمل شخصان مفاتيح و (٥) أشخاص حملوا الادوية، وجدت مع الرفاة في المقبرتين (نينوى/٢) و(نينوى/٩) حبال للقيود مع كثير من الرفاة، وعصابات للعيون عدد (٨) في المقبرة (نينوى/٢)، لكن في (نينوى/٩) وجد (٤٧) قيداً، حيث مدفن الرجال البالغين وعددهم (٦٤) شخصاً عليهم عصابات عيون أو كمامات والقيود كانت بصيغة حبال على الرسغ لـ(٤٨) شخصاً.

والآن وبعد أن عاين الخبير (مايكل ترمبل) القبور وسعتها وعمقها، وكذلك رفاة الضحايا واوضاعها ومواقع الاطلاقات النارية من الآثار التي تركتها تلك الاطلاقات على ملابس وعظام الضحايا، استنتج الخبير المذكور من كل ذلك بخصوص كيفية تنفيذ عملية الاعدام والطرق التي اتبعوها، حيث يقول:

هناك عدة سيناريوهات لاعدام الضحايا:

١. مجموعات صغيرة اقتيدوا من منحدر الحفرة الى داخل القبر واُطلق عليهم الرصاص في الرأس ومن الخلف بطلقة واحدة من مسدس وهم في حالة وقوف.

٢. وبنفس الطريقة السابقة كان الضحايا يركعون على ركبهم واُطلق النار عليهم من الخلف.

٣. اُقتيد مجاميع من الضحايا على حافة القبر واطلق النار عليهم وسقطوا في القبر أو في القبر جعلهم ينحنون واطلق النار عليهم[١٢].

---

[١٢] الصفحة (٦١٨-٦٢٢) من قرار محكمة الجنايات الثانية في المحكمة الجنائية العراقية العليا المرقم ١/ج ثانية/٢٠٠٦ والمؤرخ في ٢٠٠٧/٦/٢٤.

تعقيب من جانبنا:

اذا القينا نظرة على محتويات القبور الثلاثة (نينوى/٢) و(مثنى/٢) و(نينوى/٩)، بعد ان تعرف الخبراء المنقبون على اجناسهم وهل كانوا ذكراً أم انثى واعمارهم التقريبية، اي هل هم كانوا بالغين أم اطفالاً، واذا كانوا اطفالاً فهل هم احداث ام رضع او كانوا أجنة في بطون أمهاتهن، نستنتج ان القائمين على مصائر هؤلاء الضحايا قاموا اولاً بتصنيفهم قبل جلبهم الى القبر، فضحايا القبر الجماعي (نينوى/٩) البالغ عددهم (٦٤) ضحية كانوا جميعاً من الذكور البالغين ولم يكن بينهم نساء او اطفال بينما ضحايا القبر الجماعي (نينوى/٢) والبالغ عددهم (١٢٣) ضحية كانوا جميعاً من النساء والأطفال بينهم (٢٥) امرأة و(٩٨) طفلاً، ٩٠٪ منهم تقل اعمارهم عن (١٣) سنة بينهم جنين في بطن أمه بين (٦-٧) أشهر.

أما القبر الجماعي (مثنى/٢)، فكان عددهم (١١٤) ضحية مكون من (٢٧) امرأة و(٨٥) طفلاً ورجلين. لااعلم كيف الحقا بهذا الركب؟ أما بخصوص اعمار الأطفال فأن نسبة ٩٥٪ منهم دون سن الثالثة عشرة وأن اعمار (٢٨) منهم تتراوح بين (٣-٧) سنوات مع خمسة اطفال رضع... وبعملية جمع بسيطة يكون عدد النساء في القبرين (مثنى/٢) و(نينوى/٢) عبارة عن (٥٢) امرأة، أما عدد الأطفال، فقد كان أضخم حيث بلغ (١٨٣) طفلاً!!

والآن الم تسألوا انفسكم عن العلاقة التي تربط تلك النسوة بهؤلاء الاطفال؟ أن الاجابة على هذا السؤال لايحتاج الى ذكاء غير اعتيادي، أنه امر بديهي أن تكون تلك النسوة أمهات هؤلاء الاطفال!! ولكم تصور محنة هؤلاء الأمهات والأطفال معاً!

بعد رحلة شاقة من كُردستان استمرت لساعات وساعات دون توقف في شاحنات مسدلة الستائر باحكام الى حد الاختناق، لكي يصلوا مرهقين الى محافظتي نينوى وصحارى البادية الجنوبية بمحافظة المثنى. وقياساً على الرحلات المماثلة التي تحدث عنها من قدر لهم النجاة بأعجوبة كـ(تيمور) والذي نأتي على ذكر تجربته الفريدة فيما بعد -كانت الضحايا يتبولون ويتبرزون- وخاصة الاطفال منهم- داخل

الشاحنات ولايستبعد حصول وفيات في صفوفهم جراء ارتجاج الشاحنة والجوع والعطش والضعف البدني والطفولة والحرارة او البرودة.

واخيراً وصل الركب وانزلوا من الشاحنات من بقى منهم على قيد الحياة، فوجدوا أنفسهم أمام حفرة كبيرة يحيط بها الجنود فوق حافاتها مدججين بالبنادق الاوتوماتيكية، عندئذٍ ادرك الكبار منهم اي مصير اسود ينتظرهم، بعد ذلك يصعب على الكاتب –أي كاتب لم يمرّ بتجربة كهذه او حتي لو مرّ بها– وصف ما اعتراهم من رعب ومشاعر، او عندما ادخلوا في الحفرة وشرع الجنود بفتح النار عليهم كيف كانت ردود أفعالهم، هذه أمور تصعب وصفها، لأن قدرة الانسان على التخيل محدودة، فاذا اراد احدهم ان يتخيل ماحدث عليه، ان يرفع قدرة التخيل عنده الى مستويات اعلى، وهذا تحميل للدماغ ما لايحتمله، وقد يصيبه جراء ذلك بعطب يعاني منه بقية حياته لهذا، فأنني اترك هذه التركة الثقيلة الى آخرين أو الاجيال القادمة، قد يكون فيهم مؤلفين وسيناريستين ومخرجين سينمائيين في مقدورهم ان يصوروا لنا ماحدث على ارض الواقع، اما انا فكل العاجزين عن فعل شئ، فقد اعتراني وجوم شديد.

بنكەی ژین
www.zheen.org

القبر الرابع:

ورد في قرار الانفال المشار اليه آنفاً وفي الصفحة (١١٦) معلومات حول هذا القبر الجماعي تحت عنوان: (تقارير الخبراء) مايلي:

حرصت المحكمة منذ البداية على الاعتماد على خبراء اكفاء دوليين لهم خبرات واسعة في مجال اختصاصهم وقد أدوا أعمالهم تحت القسم وبأشراف المحكمة. كما أن المحكمة استدعت قسم من هؤلاء الخبراء للحضور أمام المحكمة والادلاء بشهاداتهم، حيث ورد بأقوال الخبير (سنو) بتاريخ ٢٠٠٦/١١/٢٨ امام هذه المحكمة بأنه قام بفتح القبر الجماعي في قرية (كورمى) في محافظة (دهوك) وقام بانتشال (٢٧) شخصاً اعدموا من قبل الجيش، واكد بأن جميع الضحايا كانوا بوضع الجلوس، وهذا مايتطابق مع اقوال الناجين من عملية الاعدام، كما ذكر

الضحية (قهار خليل) الناجي من الموت. كما اكد بأن هناك (٨٤) اصابة رصاص و(٧) اصابة في الرأس و(٢٤) اصابة في الجزء الاعلى من الصدر و(٦٥) في عظم الحوض وعدد اقل في الأطراف. حيث أمر الضحايا بالجلوس امام فرق الاعدام.

ولمزيد من المعلومات ارتأينا تثبيت افادة الضحية (قهار) ايضاً والذي ادلى بها امام المحكمة في الدعوى المذكورة (ص٢٠٧ و٢٠٨) من القرار. ويتبين من افادته ان اسمه الكامل (قهار خليل محمد) تولد عام ١٩٥٤، محل اقامته: قرية (كورمى) ناحية (مانگيش) في محافظة (دهوك) افاد محلفاً مايأتي: اني من سكنة قرية (كورمى) وفي ليلة ٢٥-١٩٨٨/٨/٢٦ علمنا من القرية القريبة بأن القوات العراقية سوف تقوم بعمليات الانفال، فهربنا ووصلنا الى الشارع المؤدي الى (كاني ماسي)، ولم نستطع عبوره ورجع الأهالي، واختبئوا في المزارع والكهوف التي كنا نعيش فيها. وفي صباح يوم ١٩٨٨/٨/٢٨ وفي الساعة الخامسة فجراً تعرضنا للقصف وحوصرنا من قبل الجيش من كل جانب، فقمنا بتسليم أنفسنا الى الجيش، فأخذونا الى قريتنا وقاموا بفصل الرجال عن النساء والاطفال، واخذوا النساء والأطفال باتجاه طريق مانگيش، وبقينا نحن (٣٣) رجل، فطلب الضابط منا الاصطفاف صفاً واحداً، وأخذونا الى اسفل القرية، فشاهدت (١٦) جندياً، فأصدر الضابط امراً بالبروك على الارض، وأمر باطلاق النار، وقاموا الجنود باطلاق النار علينا، سقطنا جميعاً على الارض، وبعدها امر الضابط اطلاق النار بطلقة واحدة على كل واحد منا، فقام باطلاق النار على رأسي، فأصابني بجبيني واظهر للمحكمة جبهته (ولاحظت المحكمة الاثر واضح على جبهته)، وبعد انسحاب الجنود حاولت النهوض، فشاهدت والدي قد فارق الحياة، وكذلك اشقائي (سلام وعدنان) وايضاً (١٨) من اقاربي قد فارقوا الحياة، وشاهدت ابن عمي (هاشم محمد رشيد) مصاب بساقيه ووضعته في حفرة كبيرة وشاهدت كريم نايف حسن يخرج من بين الجثث وابرز للمحكمة قائمة بأسماء الذين قتلوا في عملية الاعدام، وقد شاهدت خالي المدعو (ابوبكر علي) وقد كسرت ساقه.

وبعدها توجهت الى الكهوف للاختباء انا والمدعو (كريم) ووصل (هاشم وصدقي) الى الكهوف ايضاً وبقينا هناك حتى ١٩٨٨/٩/٧، بدون طعام او ماء، وبعدها توجهنا الى قرية (نعلافا)، وكان هناك افواج الدفاع الوطني، فأخبرونا بأن هناك عفو، فذهبنا اليهم وأخذونا الى مقر حزب البعث في منطقة (مانگيش) ونقلونا الى مقر اللواء، وقاموا بضربنا واهانتنا وبعدها نقلونا الى معسكر نزاركي في دهوك، وشاهدت الاف من الرجال والنساء في القلعة، وبعد ان نقلونا الى منطقة (بَحْركه)، وهي عبارة عن صحراء، وقد توفي الاطفال فيها، وقد ساهمت بدفن العديد منهم، وكانت السيارات تأتي وتقوم بأخذ المسيحيين واليزيديين الى جهة مجهولة، ولانعرف مصيرهم لحد الآن، وبعد صدور العفو أخذت عائلتي وتوجهت الى دهوك واطلب الشكوى ضد صدام حسين.

القبر الخامس:

ليس في واقعه قبراً واحداً وإنما عبارة عن أكثر من قبر جماعي لا نعرف عدده، تقع هذه القبور جنوب مدينة كركوك ماراً بقضاء طوزخورماتوا منتهياً بشعاب جبل حمرين:

عند تحدثي عن حملات الانفال قلت: بعد ارغام اهالي القرى التي اجتاحتها هذه الحملات على ركوب الشاحنات المرافقة للحملة لم يكونوا يرسلونهم الى المجمعات السكنية القسرية، كما كان الحال مع من سبقهم من أهالي القرى، وأنما كانوا يرسلونهم الى مراكز تجميع مؤقتة قبل تقرير مصائرهم ومعتقل (طوبزاوا) كان احد اكبر هذه المراكز.

حسناً موقعنا الآن معتقل (طوبزاوا) الواقعة في شرق مدينة كركوك الذي آوى آلوف المؤنفلين ردحاً من الزمن، قبل أرسالهم الى الموت. الصبي (تيمور) الذي نجا من أحدى مجازر الأنفال، والذي نأتي على قصته فيما بعد، كان من ضمن الذين تواجدوا في هذا المعتقل يقول: هناك تم فصل الرجال الأصحاء عن النساء

والأطفال ما دون الثامنة من العمر وأرغموا على نزع جميع ملابسهم، بإستثناء الداخلية، ثم ضربوهم وقيدوا أيديهم وأخذوهم في قوافل الى جهة ومصير مجهولين وبهذه الطريقة أختفى والد تيمور ومجموعة من الرجال[١٣]. أضاف آخرون ممن كانوا مع تيمور في هذا المعتقل: إن الحافلات كانت تذهب بالمعتقلين وتغيب ساعة أو أقل أو أكثر، ثم تعود لكي تأخذ وجبة آخرى وهكذا.

فأستنتجت من أقوال هؤلاء: لابد وأن يكون هناك قبر جماعي قرب هذا المعتقل دفنوا فيه هذه المجاميع، أما كيف يمكن قطع هذا الشك باليقين؟ لم يكن ذلك ممكناً، لأن مدينة كركوك كانت في ذلك الوقت ترزح تحت سيطرة الحكومة، ولكن بعد ان تحرر العراق في عام ٢٠٠٣، تبين أنني كنت مصيباً في إستنتاجي ويتبين من الشهادة التي نأتي الى ذكرها بعد قليل، انه لم يكن قبراً واحداً بل عدة قبور، ولكن لانعلم عددها على وجه اليقين، وهذه القبور تمتد من طوبزاوا مارّاً بطوزخورماتو و منتهياً بجبل حمرين.

والآن الى الشهادة: شاهدنا كان يدعى (عبدالحسن موحان مراد) من مواليد قرية (أم ريعان) لعام ١٩٦١ وهي من قرى قضاء (الحي) التابعة لمحافظة واسط.

كانت أسرته تمتهن الزراعة وتربية الأغنام، ترك الدراسة في المرحلة المتوسطة، بسبب الفقر، وبتاريخ ١٩٧٨/٣/٣١ تطوع في دائرة (الجنسية والسفر) لمحافظة واسط كسائق شفل وحفارة، وبعد عدة تنقلات بين عَرْعَرْ والأنبار ومديرية الأمن العامة والكوت، نقل من هناك الى مدينة كركوك، حيث وصلها يوم ١٩٨٨/٧/٢١، وأصبح بأمرة مكتب تنظيم الشمال لحزب البعث العربي الأشتراكي الذي مسؤوله علي حسن المجيد.

لم يكن أحد من الكُرد يعرف سره الخطير وهو مساهمته في حفر عدة قبور جماعية في كركوك، حتى تقدم هو بمبادرة منه وطواعية للأدلاء بشهادته ليتخلص – كما قال– من تأنيب الضمير الذي ظل يطارده ليل نهار، وهو يتحمل عواقب

---

[١٣] أمة في شقاق، تأليف جوناثان رندل، ص١٥٧ ومابعدها.

عمله هذا كيفما يكون. فأجرى معه لقاء صحفي مصور تحدث فيه كما ترون بعد قليل بدقة وأمانة، وانني في هذا اللقاء أركز فقط على الحوارات التي تتعلق مباشرة بالقبور الجماعية واليكم تلك المقابلة الصحفية:

– بعد مكوثنا في كركوك، لمدة عشرين يوماً جاءنا الرائد (ن) في يوم ١٩٨٨/٨/١١ بسيارة لاندكروز وتكلم مع الرائد (ع)، وبعد ذهابه تم أستدعائنا انا وزميلي (ف) وذهبنا بالحفارات مع شخص من سرية (علي حسن المجيد)، وجئنا الى هذا المكان الذي نجري فيه المقابلة (مكان مقبرة جماعية في طوبزاوا قرب كركوك) وحين وصلنا كانت هناك سيارة لاندكروز، واقفة وبجانبها الرائد (ن) والرائد (ع).

– ألم تسألوا شيئاً؟

– أبداً لم نكن نجرؤ على توجيه أي سؤال، لكن كنا في قرارة أنفسنا نعرف أن جريمة بشعة سوف تحدث ونحن شهود مشاركين فيها.

– ماذا حدث بعد ذلك؟

– أمرونا أن نحفر بشكل مربع، ثم غيروا رأيهم، وطلبوا أن يكون الحفر بشكل صندوقي.

بنكەی ژین
www.zheen.org

– من كان هناك أيضاً؟

– العشرات من الحرس الخاص في سرية علي حسن المجيد.

– متى كان الوقت؟

– بدأنا الحفر في الساعة التاسعة صباحاً وأنتهينا في الساعة الثامنة مساءاً.

– من حدد المكان والمسافات ؟

– الرائد (ن) حدد المكان. كان المكان مقفراً خالياً تماماً ولم تكن هذه القرى العربية الحالية موجودة كما الآن.

– ماهي أبعاد الحفر ؟

– لقد حفرنا أربعة أو خمسة حفر طول كل منها (٢٠–٢٥) متر وعمقها (٢،٣٠) الى (٣) أمتار، الرائد (ن) هو الذي أشرف على الحفر، وكنا ننفذ آوامره.

– ماذا فعلتم بعد الساعة الثامنة مساءً.

– حين أنتهى الحفر أعادونا الى كركوك ومكاننا نفسه.

– ومتى غطيتم المؤنفلين ؟

– في الليلة التالية حوالي الساعة العاشرة ليلة ١٩٨٨/٨/١٢.

– ماذا حدث ذلك اليوم ؟

– في الساعة العاشرة ليلاً جاء الرائد (ن) وطلب منا الذهاب معه.

– كيف تحركتم ؟

– كان مع الرائد (ن) أربع سيارات طراز مرسيدس بيضاء اللون وفي كل سيارة أربعة من رجال الحماية وأنطلقنا عبر طريق (كيوان – عرفة) نحو طريق بغداد كانت الحماية في الأمام ونحن وراءهم حتى وصلنا مكان الحفر بين يايچى وطوبزاوا.. في البداية أعتقدت اننا سنحفر حفراً جديدة. ولكن شعوري هذا تغير عندما وصلنا.

– لماذا تغير؟

– لأن الحفر التي حفرناها في الليلة السابقة، كانت مطوقة بقوات خاصة. كانت الطرق الرئيسية والتلال والمنطقة مليئة بالقوات الخاصة عكس الليلة السابقة التي لم يتواجد خلالها سوى الرائد (ن) والرائد (ع) وحراسهما.

– من كان المسؤول هناك هذه المرة ؟

– حين وصلنا مع الرائد (ن) كان هناك (ط) واقفاً والذي كان يشغل موقع مدير مكتب تنظيمات الشمال قبل أن يصير محافظاً للأنبار، ثم مديراً للمخابرات العامة.

– ماذا فعلتم أنتم وماذا حدث ؟ أقصد ماذا رأيت ؟

– نحن وقفنا إنتظاراً للأوامر. جاءوا بفرقة الأعدام. كنا جميعاً منتشرين معاً في المكان حول الحفر. كان أعضاء فرقة الأعدام يرتدون الملابس الزيتونية وفي أيديهم مسدساتهم.

– هل كانوا ملثمين؟ ماذا كان وصفهم؟

– أبداً كانوا عاديين جداً ولا يحملون سوى المسدسات، بل أني أعرف بعضهم، فقد كانوا جميعاً يتواجدون في المكان الذي كنا فيه طوال العشرين يوماً السابقة وما بعدها أيضاً.

– حدثني عن فرقة الأعدام ؟

– كانوا أحد عشر شخصاً، كان فيهم الملازم (ص) مرافق علي حسن المجيد من أهل الأنبار، والملازم الأول (م) والرائد (ع) وعدد آخر وكانوا جميعاً يحملون نوعاً واحداً من المسدسات. كاتمة الصوت.

– وبعد ذلك ؟

– بعد ذلك، جاءوا بالضحايا في سيارات مقفلة تشبه سيارات الأسعاف ولكن أكبر وأطول. كانت بحدود ست سيارات أقتربت من حافات الحفر.

– ثم ؟!

– حين جاءوا بالضحايا أمر (ط) تشغيل جميع السيارات ورفع أصواتها حتى الشفلات. كانت السيارات التي تضم الأكراد، تقترب من حافات الحفر، وهي جميعاً مطوقة بالجنود. يفتح جنديان باب السيارة وينزل الأشخاص واحداً واحداً ويسلمون الى أعضاء فرقة الأعدام واحداً واحداً، وكل جندي يأخذ ضحيته الى حافة الحفر، ثم يطلق على رأسه رصاصة واحدة ويدفعه الى عمق الحفرة.

– لا تتعجل. حدثني ببطء. حدثني عن أحوالهم؟

– كانت الضحايا مقيدي الأيدي من الخلف ومعصوبي الأعين. كانوا مقيدين بأحزمتهم الشخصية من القماش أو يشماغهم [يشماغ كلمة عامية عربية عراقية يقصد بها قطعة القماش الذي يلف به الكُردي رأسه فوق الطاقية– المؤلف].. كانوا مهيئين سابقاً لذلك.

– حدثنا بالتفصيل؟

– كان الليل معتدل الظلام. كل عضو من أعضاء فرقة الأعدام الأحد عشر يتسلم كُردياً، ثم يصطفون جميعاً مع الضحايا قرب الحفرة، وينتظرون الأوامر، ثم يطلقون النار معاً، والضحايا يسقطون في الحفرة معاً.

– من كان يصدر الأوامر؟

– لا أدري. فقد كنا جالسين في الشفلات التي شغلناها ورفعنا صوتها. كل السيارات تشتغل. لهذا لم نكن نسمع أي صوت. لا أوامر. ولا صراخ.

– كيف كانت وضعية الأعدام ؟

– يجلس الضحايا على ركبتهم ووجوههم نحو الحفرة، وأيديهم مقيدة الى الخلف، يضع الجندي قدمه على يد الضحية وبيده يمسك رأس الضحية، ويضغط بركبته على الأرض والمسدس مسدد على رأسه، حتى يسمع أمر الرمي.

– ماذا كان رد فعل الضحايا؟

– لم أسمع أي صوت كما قلت لك. ولكني لم أشاهد أية مقاومة منهم. كانوا مستسلمين تماماً لمصيرهم. وماذا كان بأمكانهم أن يفعلوا. كانوا مقيدين ويحيط بهم الجنود من كل مكان وهم أيضاً لا يبدو أنهم يعرفون ما يحدث.

– كيف كانوا يوضعون في الحفر؟

– كانوا موضوعين على حافة الحفرة، كما قلت والجندي عضو فرقة الأعدام يدفع الضحية نحو الحفرة بواسطة قدمه التي كان يضعها فوق يديه المقيدتين. رفسة خفيفة كانت كافية.

– هل كانوا يموتون برصاصة واحدة ؟

– لو لم يموتوا. فأن سقوطهم داخل الحفرة يكسر رقبتهم، ثم حتى لو لم يمت بعد ذلك، فقد أهلنا التراب عليه.

– كم شخصاً قتل تلك الليلة ؟

– كما قلت ست سيارات وكل سيارة تحمل خمسين شخصاً وضعوا في الحفرة وكل حفرة تسع خمسة وسبعين شخصاً.

– كيف لم يقاوم الذين بقوا في السيارات وسمعوا أعدام رفاقهم؟

– لا أعتقد أنهم سمعوا شيئاً. أو أدركوا شيئاً، فقد كانوا معصوبي الأعين. وكان صوت السيارات مرتفعاً جداً، ثم أن المسدسات كانت كاتمة صوت. لا أعتقد انهم عرفوا شيئاً حتى أستلموا رصاصتهم الخاصة.

– كم أستغرق من وقت؟

– لا أدري. ولكن لم يكن كثيراً.

– متى بدأت بالتغطية؟

– بعد أن أنتهت الأعدامات بدأنا بأهالة التراب عليهم.

– كيف كنت تشعر؟

– كنت أشعر بوحشيتي. لكني كنت أعلم اني لو أتمرد على الأوامر، فسيحدث لي ما حدث لهم.

– حسناً.. كيف غطيتموهم؟

– نفس التراب الذي أخرجناه البارحة أهلناه عليهم وغطيناهم.

– هل هذه الجريمة الأولى التي تشارك فيها؟

– لقد قلت لك أني لم أفعل شيئاً سوى تنفيذ الأوامر وسوى تغطيتهم بالتراب. المجرمون هم الذين أصدروا الأوامر بالأعدام، وهم الذين نفذوها.

– هل كان ذلك آخر مرة؟

– أبداً. فقد حدث بعد أيام قليلة من ذلك أن شاركت في دفن الكثير من النساء والأطفال.

– أين؟

– في منطقة طوزخورماتوو.

– في ليلة ٨/١٢ عندما قمتم بذلك العمل ثم عدتم، كيف قضيت تلك الليلة أنت وصديقك (ف)؟

– بعد إنتهاء الأعدامات والدفن وأنتهاء كل شئ، عقدوا لنا جميعاً، نحن والجنود إجتماعاً بجانب المقابر وهددونا بعدم التحدث عن الموضوع أبداً.

– من أجتمع بكم ؟

– الرائد (ن) التكريتي.

– ماذا قال؟

– قال: شاهدتم هذا الأمر بأعينكم. أي شخص يبوح بما رأى عند أي شخص كان فأن مصيره ومصير عائلته سيكون مثل هؤلاء المدفونين.

– هل تكلم أحد منكم؟

– أبداً. ومن كان يجرؤ.

– بعد الأجتماع ماذا فعلتم؟

– عدنا الى مكاننا نفسه.

– بماذا فكرت بتلك الليلة؟

– في البداية لم نكن نعرف ماذا فعل هؤلاء ومن هم، قلت في نفسي أنهم قد يكونوا مذنبين، ولكني عرفت في الليلة اللاحقة، أنهم من الكُرد الأنفال، فحزنت كثيراً.

– كيف عرفت؟

– بعد العمل جاءنا بعض من الحماية الخاصة وجلبوا لنا طعاماً، هم قالوا أن هؤلاء من الكُرد المؤنفلين والمحتجزين في طوبزاوا.

www.zheen.org

– كيف تجرأتم على الحديث؟

– كنا جميعاً مشتركين في السرّ. هم جاءوا لنا بالطعام ونحن سألنا: من كان هؤلاء؟ فأجابونا. وكانت تلك المرة الأولى التي أسمع فيها كلمة أنفال.

– وفي النهار ماذا فعلتم؟

– منحونا إجازة لمدة ثلاثة أيام نرجع لأهلنا ثم نعود وحين عدت شعرت بالكثير من التغيير. فقد أختفى من المكان السواق الآخرون من الرفاق الموجودين.

– أين ذهبوا؟

– أخذوهم الى المنطقة بين جبل حمرين وطوزخورماتوو. وحيث أخذونا نحن أيضاً الى رفاقنا هناك.

– ماذا رأيتم وماذا كانوا يعملون هم؟

– لم نسأل شيئاً. كانت هناك خيم وقوات الأمن منتشرة في المنطقة. وكانت هناك حفر جاهزة.. وكلفونا نحن أيضاً بالحفر.

– متى كان ذلك؟

– لا أعرف بالتحديد. لأنه بقينا فترة ننتقل في المنطقة ولكننا أستمرينا في ذلك العمل حتى يوم ٩/١٥، يعني أن القتل والمقابر الجماعية إستمر من ٨/١١ ولغاية ٩/١٥. حسب علمي وطبقاً لأطلاعي.

– حدثنا عن ذلك؟

– كان السواق الآخرون أيضاً يتم تكليفهم بالذهاب الى أماكن آخرى وفي ليال عديدة لا أعرف أين عملوا بالضبط. ولكن فريقنا عمل في المنطقة بين طوبزاوا وطوز وحتى جبل حمرين.

– أين ساهمت انت بالضبط في طوزخورماتوو؟

– بين طوز وحمرين قريباً من طريق الطوز– الدور.

– هل كان الضحايا شباباً فقط؟

– لا. ابداً شباباً وشيوخاً ونساءً، واطفالاً ايضاً.

– هل تم اعدامهم بنفس طريقة طوبزاوا ويايجي؟

– لا. بل تم اطلاق الرصاص عليهم جماعياً.

– ماذا تقصد جماعياً؟

– كانوا يمطرونهم بالرصاص مجموعات ومجموعات بواسطة الكلاشنكوف.

– وفرقة الاعدام؟

– كانوا نفس الاحد عشر شخصاً السابقين.

– كيف جلبوا الضحايا؟

– بنفس تلك السيارات المقفلة. كانوا مفصولين طبقاً للعمر. جلبوا الشباب اولاً وبعد ذلك الفئات العمرية الاخرى. لكن جلب الضحايا كان سريعاً، فلم يكد ينتهون من وجبة

بنكەی ژین
www.zheen.org

حتى كانت الوجبات الاخرى تحضر. كانوا يفرغون الناس قرب التلة، ولم تكن الحفر كثيرة، لان المسافه بين التلة والسهل كانت عبارة عن حفرة وهناك امطروا بالرصاص. كانوا ينزلونهم من السيارات بواسطه حرس خاص، ثم يوقفونهم في صفوف من السيارة وحتى الحفرة. كانت أيديهم مقيدة، ولكن اعينهم لم تكن معصوبة.

– اي انهم قتلوا على مرأى من بعض؟

– نعم. كانوا ياخذونهم صفوفاً الى المسافه بين التلة والسهل والتي كانت حفرة طبيعية، يجمعونهم ثم يبدأون باطلاق النار عليهم.

– من كان يعطي الاوامر؟

– الرائد (ع). كان يصيح: إرموا. والاحد عشر جندياً يرمون معاً. لم يكونوا واقفين في صف واحد. ولكنهم كانوا على أهبة الاستعداد.

– من اين كانوا يطلقون الرصاص؟

– كانوا يجمعون الضحايا عند التلة وفي الجهة المقابلة يقف فريق الاعدام، وحين يسمعون أمر الرمي يطلقون الرصاص من جميع الجهات ويقتلونهم.

– والضحايا، ماذا كانوا يفعلون؟

– لا شئ. كانوا يبكون. يبكون فقط.

– الرجال؟

– نعم. كانوا يبكون ويصرخون.

– قلت أنه بعد الشباب. وصلت النساء والأطفال سريعاً؟

– نعم. قافلة السيارات التي كانت تأتي بهم لم تكن تبعد عن بعضها. كانوا يأتون بالشباب والشيوخ من طوبزاوا بينما يأتون بالنساء والأطفال من دبس.

– هل بدأتم بأهالة التراب على الشباب مباشرة أم أنتظرتم حتى أنتهى قتل الجميع ثم دفنتوهم معاً.

– نعم. أنتظرنا حتى أنتهوا من الجميع.

– إذا كان هناك فريق إعدام واحد. كيف إستطاعوا اللحاق لقتل كل هؤلاء؟.

ژینکەی ژین
www.zheen.org

– ولماذا؟ هم لم يكونوا يفعلون شيئاً سوى الضغط على الزناد. كان الحراس الآخرون يهيئون لهم الناس وجبات وجبات وهم لم يكن عليهم سوى الضغط على الزناد.

– والشيوخ هل كانوا مقيدين؟

– أبداً لم يكونوا مقيدي الأيدي ولا معصوبي الأعين.

– وكيف كانوا يقفون أمام قاتليهم من دون مقاومة؟ هم كانوا سجناء.

– كانوا ينزلونهم من السيارات ويذهبون بهم مثل الحيوانات الى المكان الذين يعدمون فيه. لم يكونوا يملكون أي خيار آخر. كانوا يبكون ويصرخون فقط.. ثم أن المنطقة كانت مليئة بالقوات الخاصة بقدر عدد الضحايا. كانوا يأتون بهم قسراً ودفعاً ويتم تجميعهم أمام فرقة الأعدام.

– خلال عملية إطلاق الرصاص. ألم يهرب أحد أو يلجأ للتوسل بأحد الجنود كي ينجو من الموت؟

– كانت الرصاص تنهمر عليهم مثل المطر من كل صوب. هم فقط كانوا يدوسون رؤوسهم معاً من الخوف ويتمترسون خلف بعضهم البعض حتى يسقطون جميعاً معاً.

– الم تشاهد طفلاً او امرأة او شيخاً يتوسل بأحد الجنود او يطلب تفسيراً لسبب قتلهم؟

www.zheen.org

– نعم. تحدثت امرأة معي انا شخصياً.

– ماذا قالت؟

– قالت: لماذا تقتلوننا، ما ذنب هؤلاء النسوة والاطفال؟

– هل تعرف الكُردية؟ اقصد كيف تفاهمت معها؟

– هي كانت عربية. ادركت ذلك من كلامها معي وكانت تتكلم بلغة عربية جيدة.

– ماذا تفعل امرأة عربية مع هؤلاء الكُرد؟

– كانت محجوزة معهم. واستغربت لكلامها بالعربية، فسألتها. فقالت انها عربية. كانت من اهالي الحلة. كانت طبيبة وعضوة في اللجنة المحلية للحزب الشيوعي العراقي. وقد أعتقلت في منطقة كويسنجق في الشمال.

– وهل قتلوها هي ايضاً؟

– طبعاً. مع كل اولئك النساء والاطفال.

– هل حزنت لها؟

– نعم. لقد تأثرت كثيراً لها.

– هل لانها كانت عربية؟

– ربما لانني تكلمت معها وربما لانها كانت طبيبة.

– وهؤلاء النساء والاطفال والشيوخ الآخرين بالآلاف الم يؤثروا فيك؟

– الم اقلْ لك انني منذ خمسةعشر سنة ارى المشهد مثل شريط الفديو. كل يوم.

– حسناً ماذا لفت نظرك في كل ذلك القتل الجماعي؟

– نعم.. مع المجموعة التي ضمت الطبيبة العربية. كان هناك طفل في حضن والدته يبلغ من العمر (٣–٤٠) يوماً، لاعتقد انه اصيب بأية رصاصة، حين اهلت التراب عليه، ما أزال اتذكر مشهده.

– كم استغرق القتل من وقت؟.

– بدأ ف ي الساعة الثانية وانتهى في الساعة السادسة مساءً.

–ماذا فعلتم بعد ذلك؟

– قلت لك ان هذه الاعمال استمرت منذ ٨/١١ ولغاية ٩/١٥. بعد ذلك انتهت هذه المهمة. والقوة شطرت الى قسمين. قسم ارسل الى المحافظات وقسم بقي في فريق حماية علي حسن المجيد. لم يكن هذا التقسيم برغبتنا. وانا كان نصيبي البقاء في حماية علي حسن المجيد.

– الم تحاول العودة الى الكوت. مدينتك؟

– بعد ذلك سمعت بقرار من مجلس قيادة الثورة، بتكريم كل شخص ينقل نفوسه الى كركوك ومنذ ذلك الوقت اعيش في كركوك.

– وماذا فعلت بعد عام ١٩٩٥؟

– عدت الى كركوك الى أمن المنصور.

www.zheen.org

– حتى متى؟

– حتى مدة قصيرة وقبل انهيار النظام، حيث نقلت الى مطار بغداد.

– يعني انك لم تكن امناً اعتيادياً؟

– بل كنت بدرجة مفوض.

– ماذا فعلت بعد سقوط النظام؟

– بعد إحتلال المطار عدت الى كركوك الى زوجتي وأطفالي.

– متى قررت رواية الحدث؟

– بعد ان استلم الكُرد سلطة كركوك. ذهبت لايام ثلاثه الى مبنى المحافظة لرؤية المحافظ. كنت اقول ان لدي سراً مهماً يهم الكُرد. لكن الجنود الحماية يعتقدون. انني اريد شيئاً او اشكو من حالة معينة. فلم يسمحوا لي برؤية اي مسؤول. وبعد مدة تصادف ان رأيت في منطقتنا مصادفة أحد الأخوة الكُرد الذي استطاع إيصال صوتي وتدبير مقابلات لي مع بعض المسؤولين، بعد ان بحت له بجانب من تلك الاسرار.

– ولماذا كنت تلح لمقابلة مسؤولي الاتحاد الوطني؟

– لأن الذين انفلوا كانوا منهم.

بنكەی ژین
www.zheen.org

– الست نادماً؟

– ابداً، انا لست نادماً، لاني لم أفعل شيئاً. انا لم أقتل احد (إنتهت المقابلة الصحفية)[١٤].

بعد الانتهاء من قراءتي لهذه الاعترافات شعرت بدوار، فوضعت جبهتي على الطاولة، وكأنني احتسيت كمية كبيرة من الخمور المحلية الرديئة كما كنت افعل في شبابي. بعد ان رجعت الى حالتي الطبيعية، رفعت رأسي الى السماء وبعينيين مغروقتين

[١٤] نشر هذا اللقاء في مجلة (الانفال) عدد (٤) سنة ٢٠٠٣ تحت عنوان: احد المشاركين في المقابر الجماعية يصحو ضميره (كنت شاهداً على الجحيم. وكل ليلة ابكي)، ص٨٩–٩٨.

بالدموع قلت: أيها القادر على كل شئ، جنبنا رؤية مثل هذه المشاهد. لا كضحايا ولا كجلادين، انها محنة الظالم والمظلوم معاً يارّب العالمين قولوا معي آمين.

وتعقيباً مني على هذه الأفادة الخطيرة أقول:

لابد وأنكم قدرتم أهمية موضوع هذه الشهادة الخطيرة. هذه الاهمية لاتكمن فقط في بشاعة نوعية الجريمة وعدد الضحايا وطريقة التنفيذ بل في ندرتها ايضاً. فهي لاتتكرر كل يوم ولاتحدث في ظلال كل الانظمة انما هي خاصة بأنظمة تعاني اما حكامها من حالة مرضية او افكار مريضة شاذة لاتواكب روح العصر والاشواط التي قطعته المجتمع البشري في مضمار التقدم والارتقاء والحضارة.

ان مثل هذه الاعدامات تحاط لجسامتها ووحشيتها بسرية تامة حيث تعهد بتنفيذها الي اناس عقائديين غير مشكوكين في اخلاصهم اللهم الا اذا احتاجوا الى أناس مهنين كسواق الشفلات ومكائن الحفر الاخرى كشاهدنا مثلاً ولايكون ذلك الا في نطاق محدود بعد ان يهددونهم بانزال اقسى العقوبات بحقهم اذا افشوا هذه الاسرار.

وهكذا فأن اخبار مثل هذه الانشطة الاجرامية البالغة السرية قلما تصل الي عامة الناس. كثيرون من ضباط (أس. أس) النازية في الحرب العالمية الثانية من الذين كلفوا بابادة اليهود كتبوا مذكرات بخصوص المذابح وغرف الغاز والمعتقلات أو انشطة اجرامية اخرى بحق اليهود، ولكن لم يكتب لنا اي منفذ بعثي كلمة، عما قام به من جرائم لا في اثناء الخدمة ولابعد زوال حكمهم. ربما كان ذلك الموقف نابعاً عن عقيدة او خوفاً من العقاب سابقاً وحالياً ايضاً كما يتبين لكم بعد قليل.

وهكذا فان الحصول على شاهد عيان عربي منصف يستهين بالمخاطر ويبدى استعداده لكي يروي لنا بهذه الدقة والصدقية ماشاهده من مجازر اقامتها السلطة البعثية بحق المؤنفلين ولم يكن لديه مانع ايضاً من الحضور امام اية محكمة للأدلاء بشهادته لهو بحق مكسب كبير إلا أننا بجهلنا قد اضعنا الشهادة وصاحبها معاً. واليكم ماحدث:

عندما اتصل الشاهد بمسؤولين ليروي لهم مارآه بخصوص اعدام المؤنفلين في محافظة كركوك لكي يتخلص من الكابوس الذي ظل يلاحقه طيلة خمس عشرة سنة وبعد ذلك سمحوا للصحافه بنشر اعترافاته باسمه الصريح مع موجز لحياته الشخصية والوظيفية ومحل سكناه الحالي واسماء الضباط الصريحة الذين قاموا بعملية الاعدامات مع صورة واضحة للشاهد كل هذا ودون ان يؤمن له ملاذاً أمناً او حتى حارساً شخصياً ومن هو عدوه؟ البعثيون الذين امتهنوا القتل طيلة عشرات السنين وتمرسوا فيها اليست هذه دعوة ضمنية لاغتياله عن جهل وقلة ادراك؟! هل رأيتم او صادفتم صحافة غبية ومسؤولين اغبياء بهذه الدرجة في حياتكم؟ وهكذا انه أمر طبيعي ان يغتال شاهدنا بعد نشر اعترافاته بوقت قصير وسجلت القضية ضد مجهول واسدلت الستارة.

ان حماية الشهود اصبح اليوم علماً قائماً بذاته له فنونه واساليبه وقواعده التي يظهر ان المسؤولين الذين دفعوا بهذا الشاهد المهم الى قطيع من الذئاب لم يكونوا يعرفون منها شيئاً. اتذكر بهذه المناسبة حدثاً يتعلق بحماية الشهود سوف أسرده عليكم لما فيه من دلالة: بالنظر لشغور منصب مدير عام الدائرة الأدارية. فقد نسبتني الهيئة التمييزية لإملاء هذا المنصب وكالةً لحين تعيين مدير عام لها، لسبق إشغالي منصباً مماثلاً، حيث كنت مديراً عاماً للعدل في إقليم كُردستان قبل إلتحاقي بالمحكمة الجنائية العليا.

في تلك الفترة زارنا خبير أنكليزي في حماية الشهود يدعى (دافيد جابل) سبق وأن عمل كحامي للشهود في المحاكم الأنكليزية والدولية أيضاً، بقي عندنا حوالي شهرين، وهو يلقي المحاضرات في حماية الشهود على الوحدة المكلفة بذلك وكذلك القضاة والمحققين. رجوته أن يضع زبدة خبرته في حماية الشهود وقواعدها بين دفتي كتاب حتى يمكننا الرجوع اليه، فوعدني خيراً. لقد برّ الرجل بوعده، ويمكن الآن الحصول على الترجمة العربية لهذا الكتاب القيم من مكتبة المحكمة الجنائية العليا. لمن يهمه هذا الموضوع.

قبل سنتين تقريباً زار لندن القاضي (محمد عريبي) وعند عودته قال لي: لقد كان يرافقنا سائق تاكسي في حلنا وترحالنا، هذا السائق قال له: انه زار بغداد في الصيف الماضي وتعرف على القاضي (طه بابان). قلت للعريبي: على قدر علمي انني لم أتعرف على سائق تاكسي انكليزي لا في لندن ولا في بغداد.

قال: أنني أحمل معي بطاقته الشخصية، وأراني إيّاها وكانت البطاقة لسائق تكسي، ولكن لمن كان يا ترى؟! كانت البطاقة تحمل أسم (دافيد جابل)! الرزين والمحبوب.

قلت للعريبي: أنه كان من أفراد حمايتكم، ولكنه كان متنكراً في زي سائق تاكسي! هكذا تكون الحماية حتى المحمي نفسه لا يعرف هويته ناهيك عن عدوه!!

لنرجع الى شاهدنا المنكود الحظ، ونقول: هذا الشاهد كان بليغاً جداً في تعابيره، بحيث فاق مرحلته الدراسية بكثير، فهو يعبر بكلمات قليلة عن حالات لايقدر عليها الا الكتاب المجيدون. ويتذكر بدقة التواريخ وساعات الاحداث، وكأنما يحمل دفتر مذكرات، كما كان له فضول الصحفي، فتمكن من جمع معلومات كثيرة، رغم الفرص القليلة التي اتيحت له. فقد كان على صواب من أنهم كانوا يجلبون النساء والاطفال من معتقل (دبس)، وهي قضاء تابعة لكركوك ايضاً. فهذا المعتقل من المعتقلات التي آوى المؤنفلين ردحاً من الزمن بعد تدمير قراهم لنستمع الى الشاهدة (لاولاو حسن محمد) وكانت احدى نزيلات هذا المعتقل عندما كانت طفلة مميزة بين (٧-٨) سنة من عمرها، قالت الشاهدة: كنا في قريتنا (زان) عندما بدأت حملات الانفال، لقد جاءوا ودمرّوا قريتنا ونقلونا الى (قادركرم) بقينا هناك لمدة يومين، كما جلبوا معظم سكان قرى المنطقة ايضاً، كان يشبه يوم الحشر لم يبق موطأ قدم. اركبونا جميعاً في السيارات نحو (چمچمال). لقد ضعنا في ذلك الحشد الكبير، والدي ووالدتي وشقيقتي لم نعرف ماذا حلّ بهم. بقيت انا وثلاث من شقيقاتي واخي ومن (چمچمال) نقلونا الى (دبس)، وهناك فصلوا عنا الشبان والشيوخ، ومن ضمنهم اخي الأكبر منا. لقد توسلنا وبكينا وصرخنا ومسكناه حتى لايأخذونه، ولكن دون فائدة، لقد دفعوه أمامهم

بقسوة، لم نعلم الى أي مكان أخذوه. كما حشروا الشيوخ ايضاً في السيارات، وقيل لنا أنهم يأخذونهم الى (نقرة السلمان).

استمر نقلهم بضعة أيام في كل مرة تأتي قافلة من السيارات لتأخذ قسماً منهم. لقد كانوا من الكثرة، بحيث تعجز قوافل السيارات عن نقلهم، لقد ابقونا نحن في (دبس)، ونقلونا الى قاعات واسعة. لقد عانينا كثيراً، هناك من شحة الطعام والأمراض. لقد قتلوا عدداً ليس بقليل لقد كان الضباط يأتوننا بين آونة واخرى وكانوا يجرون البنات الشابات الجميلات عنوة لقد أخذوا عدداً من تلك الفتيات ولم نراهن بعد ذلك. بقينا هناك خمسة أشهر جاءوا في احد الأيام وسجلوا اسماءنا، لقد سجلوا اسماءنا عند قدومنا الى هنا أول الأمر، ولكن نظراً لوفاة الكثيرين، فقد تطلب تسجيل اسمائنا مجدداً ونقلونا الى (تكريت) وبعد أن مكثنا هناك يوماً واحداً، قيل لنا أنهم سوف يرسلوننا الى (نقرة السلمان).

لاأدري كيف رق قلب صدام فعفا عنا، ومن تكريت سَفَرُونا بالسيارات الى السليمانية، واطلقوا سراحنا في (عربت)، وقد وصل خبر اطلاق سراحنا الى ذوينا، فجاء والدي الى (عربت) ورافقنا الى بيتنا وهناك علمت بأن والدي ووالدتي وشقيقتي، قد تمكنوا بمساندة الناس الخيرين من الافلات ولكن لم يظهر لشقيقنا اي أثر.

لاغناء هذه الشهادة اضيف عليها المعلومات الآتية والتي حصلت عليها من مصادر أخرى. تذكر الشاهدة ان والديها وشقيقتيها تمكنوا من الافلات بمساعدة الناس الخيرين أما كيف؟ فلا يذكرها لنا. والآن انني اكمل لها هذا النقص في شهادتها: في غرب مدينة (چمچمال) على بعد كيلومتر او كيلومترين هناك معسكر، تقرر أن يكون هذا المعسكر محطة استراحة للمؤنفلين القادمين من (قادركرم). ولم تكن للقافلة طريق سوى الطريق الذي يمر بمدينة (چمچمال). وعندما علم اهالي (چمچمال) بنوع حمولة القافلة هاج الناس وماج وبدأوا بالوقوف بوجه السيارات او وضع المواد المعرقلة لسيرها وفي بعض الأماكن اشعلوا النار في الطريق مما

اضطرت القافلة الى التوقف وبعد ذلك شرعوا بفتح السيارات وانزال المؤنفلين واخفائهم في دورهم.

بعد ذلك وصلت النجدة للقافلة من المعسكر وشرعت المروحيات بالتحليق واطلاق النار على الجماهير، فأضطروا الى الابتعاد من القافلة ولكن بعد انقاذ ما امكن انقاذه من المؤنفلين وكان والد ووالدة وشقيقتي (لاولاو) من ضمن اولئك الذين تم انقاذهم. هذا الموقف البطولي والانساني والوطني على التأريخ ان يخلده لأهالي (چمچمال) النجباء.

معظم الوفيات في هذا المعتقل كانت في صفوف الاطفال والرضع لأنهم أقل مقاومة من الكبار للظروف المعيشية الصعبة وانعدام الرعاية الصحية بصورة كلية. وكان القائمون على المعتقل يسلمون الأطفال الموتى الى مختار القصبة، وبعد ذلك يسارع اهل الخير الى دفنهم والآن اصبحت المقبرة التي تضم رفاة هؤلاء الأطفال وهم بالعشرات تمثل معلمة حزينة من معالم هذه المدينة الصغيرة.

وتقول السيدة (نجمه قادر) عن هذا المعتقل ايضاً كم من النساء أنجبن دون أن يكون معنا قطعة قماش لتجفيف الوليد او تنظيف الوالدات لقد كن تلدن أمام أنظار الجنود، ماذا كنا نفعل لم يكن لنا خيار آخر.

وقالت شاهدة اخرى في محاكمة الانفال لقد اولدنا احدى النزيلات في المرحاض، لعدم وجود مكان مستور وقطعنا حبل السرة بقطعة زجاج مكسور وقد غطينا المولود بقطعة (جانفاص) وهو نوع من القماش الخشن يصنع منه اكياس للحبوب، وقد التصق بجسم الوليد لايقبل منه فكاكاً!.

<u>سيناريو اعدام رابع</u>:

كما لاحظتم أن الخبير (ترمبل) حصر سيناريوهات الأعدام في ثلاثة أنواع في الوقت الذي يشير عند تحدثه عن القبر الجماعي (المثنى/٢) عن سيناريو رابع والذي يعتبر من أكثر السيناريوهات السابقة شيوعاً خاصةً عند إعدام المجاميع

الكبيرة من الضحايا وهو إدخال الضحايا في القبر، ومن ثم إطلاق الرصاص عليهم من قبل فرقة الأعدام، وهم واقفون على حوافي القبر من كل الجهات أو من جهة واحد لافرق بدون تهديف على جزء معين من جسم الضحية أي كيفما أتفق الى أن يتوقف الضحايا عن الحركة والأنين ويعبر الخبير (ترمبل) عن هذا السيناريو بالعبارات التالية: (... ومن تحليل الأدلة يظهر أن الضحايا أدخلوا القبر وتم قتلهم مرة واحدة...) أي ليس واحداً واحداً أو أجبارهم على إتخاذ وضعية معينة أو يطلق الرصاص على رؤوسهم من الخلف أو صدورهم، كلاً وإنما عشوائياً.

لهذه الطريقة في التنفيذ –على الأقل– ميزة واحدة وهي سرعة إنجاز المهمة، خاصة عند تنفيذ حكم الأعدام بالمجاميع الكبيرة من الضحايا، وهذا ما أسميته بالأعدام الكتلوي. فالتنفيذ الفردي أو لمجاميع صغيرة يتطلب الأنزال المتكرر من الشاحنات وإجبار الضحايا على إتخاذ أوضاع معينة وصدور أوامر رمي متعددة، ومن ثم سحب الجثث وألقائها في الحفرة ومضاعفات جانبية، قد لا تخطر على البال، تستغرق وقتاً طويلاً بالأضافة الى عامل الوقت، فأن هذه الطريقة تسبب أرهاقاً جسدياً ونفسياً للمنفذين أيضاً.

هل لاحظتم مثلما لاحظت من شهادة المرحوم (عبدالحسن موحان مراد)، أنهم شرعوا بالتنفيذ في مجاميع صغيرة أول الأمر، أي بقدر المنفذين البالغ عددهم أحد عشر منفذاً، ولكن في المراحل الآخيرة أتبعوا طريقة الأعدام الكتلوي، ربما كان ذلك للأسباب التي ذكرتها. فالأعدام الكتلوي إجراءاته مختصرة: جميع الضحايا ينزلون من الشاحنات مرة واحدة ويتجهون نحو الحفرة وجدران الحفرة الطبيعي تمنعهم من التفرق أو الهروب ولانهم محشوون في الحفرة حشراً يكون في مقدور رصاصة واحدة قتل أكثر من ضحية وإذا كان فيهم من يعاني من سكرات الموت أو أخفي نفسه تحت الجثث، فأن إهالة التراب عليهم تنهي المهمة. هذه الطريقة في التنفيذ يجسدها لنا تيمور ميدانياً وهو الصبي الذي قلنا آنفاً أنه نجى بأعجوبة من مجزرة أنفالية وهذا ما لايحصل إلا واحداً من مليون.

واليكم قصته كما رواها لـ (جونوثان رندل) مؤلف كتاب "امة في شقاق".القى القبض في عمليات الانفال العسكرية عام ١٩٨٨ في قريته على تيمور ووالده وشقيقاته الثلاث الاصغر سناً من ضمن ستمائة فلاح، تم نقلهم الى حصن للجيش العراقي في منطقة (قورتو) كان يعج بالمعتقلين الاكراد. وأبقى الجميع عشرة ايام في قاعة كبيرة ذات سقف عال ولم يتناولوا خلالها سوى الخبز والماء.

والآن اتركم مع (تيمور) يحدثكم بنفسه: ثم نقلونا بالشاحنات الى قاعدة عسكرية في منطقة (طوبزاوا) الواقعة شرق مدينة كركوك، وهناك تم فصل الرجال الاصحاء عن النساء والاطفال مادون الثامنة عشرة من العمر وأُرغموا على نزع جميع ملابسهم باستثناء ثيابهم الداخلية، ثم ضربوهم وقيدوا ايديهم بالطبع، واخذوهم في قوافل الى جهة ومصير مجهولين. وبهذه الطريقة اختفى والد تيمور ومجموعة من الرجال، بعد عشرين يوماً فقط على وصولهم الى قاعدة (طوبزاوا). وبعد عشرة أيام اخرى جاء دور تيمور نفسه. فأُرغم هو ووالدته وشقيقاته الثلاث ومئات العائلات الاخرى، على ركوب ثلاثين آلية، سارت بهم جنوباً طوال النهار من دون توقف. وطوال الرحلة، مُنع عنهم الطعام والمياه وأُرغموا على قضاء حاجياتهم داخل الآليات. علماً انهم ليسوا أول من أُرغم على ذلك وعند الغسق توقفت الآليات نهائياً وأعطى الاكراد مياها للشرب، قبل استئناف الرحلة لساعة اخرى، وعندما توقفت الآليات نهائياً، كان الظلام قد حل. لكن تيمور تمكن من معاينة المنطقة بفضل مصابيح الآليات، قبل ان يرغم الجنود الاكراد على الترجل بعدما حاصروهم لمنعهم من الهرب. وكانت كل آلية قد توقفت الى جانب حفرة كبيرة وقليلة العمق. فعمد الجنود، الى ارغام الاكراد على النزول الى داخل الحفر.

خيم صمت مطبق وسكت حتى اولئك الذين كانوا يبكون في الآليات وجلس تيمور وأمسك بيد أمه وشقيقاته الثلاث، ويقول انه لم يفكر آنذاك في أي شئ سوى أنه يموت. فمع مرور الوقت (لم اتمكن من التفكير بأي شئ آخر) وبعد انقضاء ما

بدا لـ (تيمور) انه نصف ساعة من الزمن فتح الجنود النار عليهم (ولوقت طويل ظلوا يطلقون النار على كل من يتحرك).

أُصيب تيمور برصاصة في كتفه، خرجت من أبطه، فتسلق الحفرة بجهد كبير لكن ضابطاً زعق مُصدراً أمراً الى أحد الجنود، فتم دفع تيمور الى الحفرة مجدداً واطلق عليه النار، فأُصيب ثانية في أسفل ظهره وما ان ذهب الجنود لإحضار جرافة، وقف تيمور فشاهد فتاة غير مصابة تكبره سناً وعلى بعد مترين قرب كومة من الاجساد النازفة.

ناشدها قائلاً ((تعالي معي))، فردت بالقول: ((كلا .. أخاف من الجنود))، لكن غريزة البقاء عند تيمور كانت قوية. فانتظر مرور آلية للجيش تبحث عن الناجين مستعينة بضوء مصابيحها. ثم جرّ نفسه الى خارج الحفرة، وحفر حفرة صغيرة في كومة تراب وضعتها الجرافات قرب الحفرة. وكلما مرّت آلية للجيش كان تيمور ينتقل الى الحفرة التالية، ويختبئ بالطريقة نفسها. وعندما وصل الى رابع حفرة، غاب عن الوعي، ولما استفاق، كان الجنود قد ردموا جميع الحفر، ولكنهم ظلوا في الجوار. ثم رأى تيمور تقاطع طرق، فسلك الطريق التي بدت بالنسبة اليه، جديدة، وسار عليها لساعتين. وبالطبع، بدت الكلاب بالنباح، فخرج بدوي من إحدى الخيم حاملاً مصباحاً يدوياً، واصطحبه الى الداخل.

تابع تيمور حكايته قائلاً: (كنت انزف، ولا اجيد اللغة العربية، والبدوي لايجيد الكُردية). وأشار اليه بأنه جائع فأطعمه البدوي وغسل جراحه، وألبسه دشداشة نظيفة. وبعد ثلاثة ايام، نقله بسيارته الى مدينة (السماوه) وعلى امتداد السنتين ونصف السنة التاليتين، لم يغادر تيمور منزل هذه العائلة ابداً، خوفاً من ان تقبض عليه المخابرات العراقية. فتعلم اللغة العربية وأجادها (الى درجة انه كاد ان ينسى اللغة الكُردية كلياً) وأمضى وقته في اللعب مع ابناء هذه العائلة، الذين كتموا أمر وجوده عندهم.

كان أحد ابناء هذه العائلة يؤدي خدمته العسكرية في مدينة (زاخو) الكُردية، الواقعة عند الحدود الشمالية الغربية مع تركيا، فأقام صداقة قوية مع مجند كُردي في الجيش العراقي، وبالطبع طلب منه إيصال رسالة الى عم تيمور. فقام والد المجند الكُردي بإيصالها، فقد خاطر الناس العاديون، عرباً وأكراداً، مرة اخرى بأرواحهم، في سبيل إنقاذ أشخاص لا يعرفونهم. في البداية، لم يصدق عم تيمور ما سمعه، لانه كان مقتنعاً بأن جميع افراد عائلة أخيه قد قتلوا. لكنه ذهب الى مدينة السماوة على اي حال، متذرعاً بالسعي الى شراء جرار زراعي مستعمل، لتغطية حقيقة هدفه من وراء هذه الرحلة وفي تلك المرة أخفق العم في العثور على تيمور، لكن في ثاني محاولة، اصطحب الشاب العربي، وصديقه المجند الكُردي، اثنين من اعمام تيمور، وذهبوا الى منزل العائلة في مدينة السماوة، ثم عادوا به بعد منتصف الليل الى بلدة (كلار) في شهر أيلول من عام ١٩٩٠... انتهت حكاية تيمور[١٥].

ربما هناك من يشك في الأحداث التي رواها لنا (تيمور) وهذا شك في محله، فقد أثبت لنا المؤرخون بأسانيد معتبرة، إن كثيراً من الأحداث التي كنا نعتبرها من المسلمات. كانت من بنات الخيال أختلقها البعض لخدمة غرض معين. الى هؤلاء أعرض الوقائع التي أعقبت رواية تيمور، والتي تؤكد للجميع أن تيمور لم يقل سوى الحقائق.

بعد تحرير العراق بفضل قوات التحالف عام ٢٠٠٣، ذهبت بعثة تلفزيونية محلية من السليمانية الى صحارى البادية الجنوبية، لتصوير القبور الجماعية، ومعتقل (نقرة السلمان) الرهيب الذي آوى الوف المؤنفلين، حيث مات منهم المئات نتيجة الظروف المناخية القاسية ونقص التغذية وملوحة المياه والأنعدام الكلي للرعاية الصحية وفوق ذلك قساوة القيمين على المعتقل. ولكن الذي لم يكن يخطر ببال البعثة، هو أن يلتقوا بالبدوي الذي خرج من الخيمة ورأى على ضوء مصباحه اليدوي تيمور بعد

---

[١٥] أمة في شقاق، تأليف جوناثان رندل، ص١٥٧ ومابعدها.

سماعه نباح الكلاب!! وإلتقطوا له صوراً عديدة وكان تواقاً الى معرفة أحوال تيمور وكأنه أفتقد ولده الحقيقي. إذاً لم تكن رواية تيمور من نسج الخيال.

عندما سمعت بهذا النبأ، زرت السيد وزير الثقافة في الأقليم، وأقترحت عليه دعوة أفراد تلك الأسرة الى الأقليم وإكرام وفادتهم تقديراً لموقفهم الأنساني والشجاع تجاه تيمور. وليعلم الجميع أن قصة تيمور قصة حقيقية، وأن عرب العراق ليسوا جميعاً على شاكلة صدام حسين وزمرته الضالة. ولكن لم يثمر إقتراحي.

بعد مرور خمس سنوات من إقتراحي وبالتحديد في الشهر الأول من عام ٢٠٠٨ وبمناسبة إنعقاد المؤتمر الأول للأنفال وجهّت حكومة الأقليم دعوة الى تلك الأسرة المباركة وخصصت أمسية لاحد أيام المؤتمر، ليتحدثوا للحضور تفاصيل قدوم تيمور الى الخيمة، ومن ثم نقله الى مدينة (...) والى نهاية الحدث ولكن من زاويتهم هذه المرة وليست من زاوية تيمور.

إن ايواء ومعالجة صبي جريح –والقول لي– مهمة انسانية لا يتوانى عن أدائها معظم الناس لذلك لا يكتسب هذا العمل طابعاً استثنائياً حتى يستحق القائم بها الثناء المفرط. ولكن الأمر مختلف مع (تيمور)، فهو الناجي الوحيد من مذبحة اقامتها السلطة البعثية وكانوا، أي الذين آووا (تيمور) وضمّدوا له جراحاته يعلمون بذلك، حيث سمعوا أصوات الاطلاقات من بعيد أي ان تيمور وثيقة دامغة لعملية شاء القائمون بها ان تبقى طي الكتمان الى الأبد. وهكذا إن انقاذ (تيمور) والاحتفاظ به لكل هذه السنوات، ومن ثم إعادته الى ذويه كان بمثابة طريق طويل مزروع بالألغام، بحيث إذا انفجر أي لغم منه كان يؤدي بتيمور ومن أنقذه الى مهاوى العدم ومع ذلك أقدمت هذه الاسرة على هذه المغامرة المحفوفة بمخاطر جدية والذي لن يقدم على أداء مهمة كهذه إلا قلة قليلة من الناس وشاءت العناية الإلهية الحفاظ على هذه الاسرة.

والآن يبرز على السطح سؤال مهم وهو: هل أفراد تلك الاسرة كانوا مجانين، لان المجنون وحده لا يقدر عواقب اعماله مهما كانت خطيرة؟! اذاً ما هو تحليلكم لهذا

العمل الانساني والبطولي والخطير الى أبعد الحدود؟ ان الاجابة على هذا التساؤل سهل للغاية، لمن له إطلاع على قيم البداوة، وهي كالآتي: إن تيمور قد أستجار بهذه الاسرة البدوية، والاستجارة واحدة من أنبل القيم البدوية، ومن يرفض الاستجارة، يفقد احترامه حتى لنفسه ناهيك عمن حوله وتاريخ البداوة يحدثنا عن قبائل ضحت بأرواح خيرة ابنائها لحماية مستجير لم يكن يعرفوه من قبل تماماً كهذه الاسرة البدوية التي كانوا يجهلون حتى لغة المستجير ومع ذلك لم ينهار أي فرد منهم ويقول لنتخلص من هذه القنبلة الموقوتة وربما نحصل على مكافئة سخية إذا سلمناه الى السلطة.

هذا هو النموذج الذي على الشعب العربي في العراق ان يزهو ويفتخروا به لانه يُمثل المعدن الحقيقي لهم وليس صدام حسين الذي يطلق الرصاص من الخلف على مئات بل وآلوف الرؤوس الصغيرة للاطفال عليهم، ان يفتخروا بـ(عثمان السني) الذي ضحى بحياته من أجل انقاذ أرواح الشيعة الذين غرقوا في نهر دجلة في مأساة جسر الأئمة وبـ(حلاج) بدلاً من (هارون الرشيد). أما صدام حسين وأعوانه فأنهم يأخذون طريقهم الى مزابل التأريخ، كالنفايات العفنة، وكلما تعاقبت الاجيال وتكون –حتماً أكثر فهماً– منا يزداد إحتقارهم له ويعتبرونه انساناً مجنوناً أو مهووساً بسفك الدماء، ولكن ماذا يقولون بشأن الآلاف المؤلفة من الذين وضعوا قدراتهم تحت تصرفه، ونفذوا له جرائمه ولولاهم لما أصبح يتحكم بأرواح الناس بهذا الطابع الجنوني.

خير ما اختتم به هذا الموضوع هو الكلام المأثور لـ(روبرت –H– جاكسون) احد الحكام في محكمة (نورنبرغ) لمحاكمة زعماء النازية في المانيا على الجرائم التي اقترفوها في الحرب العالمية الاولى الذي يقول: ((هذه الجرائم لامثيل لها بسبب عدد الضحايا المرعب، واكثرها رعباً هذا العدد الكبير من الذين اتحدوا على اقترافها، لقد تنافسوا على القسوة والجريمة)). ويمكن ان نقول نفس القول عن الجرائم التي اقترفها نظام البعث في العراق.

بنکەی ژین
www.zheen.org

(٦)

طريقة مماثلة اخرى في التنفيذ

ولكن اكثر بربرية

القبر السادس:

ويُؤيد قاضي تحقيق مدينة (السماوة)، وكان كُردياً، هذا النهج في التنفيذ (الذي شاء أن يبقى اسمه طي الكتمان) أسرَّ لي ذلك القاضي قائلاً: في أواخر عام ١٩٨٨ لا أتذكر اليوم بالتحديد كنا في بداية الدوام عندما استدعاني مدير أمن السماوة تلفونياً لموافاته في دائرته. وعندما دخلت غرفته، وجدت معه مسؤولين آخرين، لم أكن اعرفهم وبوصولي. طلب منا ركوب عدد من السيارات التي كانت تنتظرنا أمام الباب الخارجي لدائرته، فركبت أنا ومدير الامن وشخصين آخرين في احدى السيارات، ولم أكن اعلم لماذا استدعاني ولأي شأن والى أين نذهب؟ وخير للمرء أن يلزم جانب الصمت مع مسؤولين من هذا العيار.

تركنا المدينة وراءنا واتجهنا جنوباً عبر الصحراء سالكين الطريق الذي يؤدي الى المعتقل الرهيب (نقرة السلمان). لا أدري كم استغرقت مسيرتنا ربما ساعتين أو اكثر قليلاً، حينها استدرنا الى جهة اليمين، وبعد ان قطعنا بضعة كيلومترات في الصحراء، رأينا آليات عسكرية ومفارز جنود مدججين بمختلف الاسلحة الخفيفة، ولما اقتربنا أكثر رأينا حفارة كبيرة تعمل على حفر حفرة واسعة بحيث تتحرك في داخلها بسهولة ويسر. الى ذلك الوقت لم أعرف ما الذي يجري كما لم اجرؤ على السؤال ولا هم افادوا بشيء حتى افهم طبيعة المهمة التي أُقحمتُ أنا فيها.

فاتني أن اذكر –قال القاضي– كانت هناك عدد من القلابات من النوع المطلي باللون البرتقالي، وهي من أكبر أنواع القلابات من حيث السعة في العراق واقفة دون حراك على بعد بضعة مئات من الامتار من موقع الحفرة.

بعد الانتهاء من الحفر أوعز مدير الامن الى القلابات للتوجه نحو الحفرة وبعد أن وصل أول قلاب، أمر سائقه أن توجه مؤخرة قلابه نحو حافة الحفرة. وبعد أن امتثل للأمر طلب منه افراغ حمولته. الى ذلك الوقت لم يكن لدي أدنى فكرة عن نوع الحمولة وقلت في نفسي: ماذا تكون حمولة القلابات؟ إن لم تكن مادة من المواد كل تفكيري كان منصباً على الحفرة والغرض من حفرها.. ولكن عندما ارتفعت مقدمة حاوية القلاب، ورأيت ما في داخله انتابني ذعر شديد كدت أن افقد من جرائه الوعي، لقد كانت حمولته اناس احياء: نساء واطفال علمت من ملابسهم انهم أكراد من منطقة (بادينان) وهكذا افرغ القلاب حمولته كما يفرغ المواد الاولية للابنية والمنشآت وشرع الجنود المحيطين بالحفرة بافراغ مخازن بنادقهم الرشاشة في هذه الاجسام الفضة الى ان سكن الجميع، وفعلت بقية القلابات ما فعله القلاب الاول، وفعل الجنود ايضاً مافعلوه بالحمولة الأولى وكان صراخ الضحايا الذي كان يختلط بأصوات الاطلاقات يصم الآذان ويصيب المرء بالهستريا الى أن سكت الجميع وتوقف بالتالي اطلاق النار، وبعد ذلك أهالوا عليهم التراب.

ثم أضاف القاضي: ان أشد ما آلمني هو تعلق صبي بمؤخرة احدى القلابات لايقبل منها فكاكاً وما من مدير الامن الا وتناول من احد الجنود بندقيته واطلق رصاصة على الصبي، فأوقعه في الحفرة على الاجساد الذين سبقوه.

بعد ذلك عرفت مهمتي وهي التوقيع مع أعضاء اللجنة على محضر أُعد مسبقاً يتضمن تنفيذ حكم الاعدام في الف وخمسمائة ضحية! وختم حديثه قائلاً: لمدة سنة واحدة وربما أكثر لم أتمكن من تناول اللحم بعد مشاهدتي لتلك المذبحة.

لنا عدد من التعليقات على هذه الشهادة، الخصها في النقاط الآتية:

١. إن الشاهد ليس بشخص عادي، إنه قاضٍ لذلك فهو مؤتمن في صدقه ومعتمد في دقة نقله للوقائع وهو ديدن القضاة في كل زمان ومكان.

٢. كان شاهد عيان بكل الوقائع التي حدثنا بها واشترك في الواقعة بصفته الرسمية كقاض اي في اثناء اداء الواجب ومن الذين وقعوا على محضر التنفيذ واعطانا رقم الضحايا كما ورد في المحضر.

٣. لكونه كُردياً فقد تعرف من ملابس الضحايا على المنطقة التي أتوا منها وهي منطقة (بادينان) أي محافظة دهوك وما جاورها.

٤. حدد فضيلته التأريخ التقريبي للواقعة وهو أواخر عام ١٩٨٨ لذلك فعلى الأرجح كانوا من جملة ضحايا حملة الانفال الثامنة والتي اختصت بمنطقة دهوك لأن الحملة الثامنة قد انتهت في السادس من ايلول من عام ١٩٨٨،

٥. وأخيراً أن المناطق الكُردية المتاخمة للمناطق العربية يتكلمون اللغة العربية كأحد ابنائها، ولأن فضيلته كان من ابناء تلك المناطق فمن الصعب ادراك كونه كوردياً، ولو علموا بذلك –اغلب الظن– انهم لم يكونوا يشركوه في تلك المهمة السرية والخطيرة حتى لاتتسرب اخبارها الى الأغيار، كما تسربت الآن.

والآن الى سيناريو اعدام كتلوي آخر الاكثر غرابة والأشد هولاً من كل ما سبق شرحه في تنفيذ الاعدام الكتلوي، وهو ما جرى للبرزانيين الذين أُعتقلوا في عام ١٩٨٣ وبلغ تعدادهم ثمانية الاف ومائة وخمسين فرداً ولم يعثر عليهم إلا بعد تحرير العراق في عام ٢٠٠٣ في قبور جماعية في البادية الجنوبية.

بنکەی ژین
www.zheen.org

(٧)

نهج مغاير في التنفيذ هذه المرة

(مأساة البرزانيين)

لكي نفهم مأساة البرزانيين علينا أن نلم أولاً بالبرازنيين أنفسهم وتأريخهم القريب للوقوف على الأسباب التي أدت الى ذلك المصير الرهيب:

(برزان)، منطقة تقع في أقصى شمال العراق، في مثلث تحده الجمهورية الأسلامية الأيرانية شرقاً والجمهورية التركية شمالاً والأراضي العراقية جنوباً وغرباً. يقطن (برزان) عدد من العشائر الكُردية عرفوا –على الرغم من إختلاف أسمائها– بالعشائر البرزانية نسبة الى أسم المنطقة. يغلب على هذه العشائر الولاء المذهبي (الطريقة النقشبندية الصوفية)، بدلاً من الولاء العشائري الذي سبق المذهب. لذلك فهم منخرطون على الرغم من إختلاف عشائرهم، في إتحاد عشائري عجزت كل المحن التي مروا بها عن فصم عرى هذا الأتحاد.

وهكذا فأن أفراد هذه العشائر تدين بولاء روحي نحو شيوخهم في الطريقة قل نظيره لدى العشائر الآخرى والشيوخ بدورهم ينظرون الى كل فرد من تلك العشائر وكأنه أولاد من أصلابهم. فالشيخ هو بمثابة الوالد الروحي لهم، يعلمهم شؤون دينهم ودنياهم، فليس والحالة هذه هناك غالب ومغلوب بينهم، كما في النظام الأقطاعي البغيض وهو سرّ ديمومة هذا النظام العشائري.

برز من شيوخ برزان أول من برز (الشيخ عبدالسلام البرزاني) الذي أعدمه الأتراك العثمانيون في الموصل في بداية القرن العشرين. تولى الرئاسة بعده شقيقه الشيخ أحمد البرزاني، وبوفاته أنتقلت رئاسة العشائر البرزانية الى (ملا مصطفى البرزاني) الذي أشتهر فيما بعد كثيراً على الصعيد الدولي، لتزعمه الثورات الكُردية للمطالبة بالحقوق

القومية المشروعة ضمن عراق موحد، وهكذا طيلة حياة الشيخ أحمد كانت الزعامة ثنوية يتقاسمها الشيخ أحمد وملا مصطفى، فالأول يمثل الجانب الروحي، أما الثاني فيمثل الجانب العسكري، ففي الوقت الذي لم يكن الشيخ أحمد يتمنطق بأي نوع من الأسلحة، كان ملا مصطفى لا يفارقه سلاحه حتى في المنام.

بعد وفاة ملا مصطفى في الثمانينيات، تولى الرئاسة نجله السيد إدريس إلا أنه لم تدم زعامته فقد توفي وهو في ريعان الشباب، فأنتقلت الزعامة الى أخيه من الأب السيد مسعود البرزاني، يعاونه السيد (نيچرفان) نجل شقيقه المرحوم (إدريس). وقد حدثت فاجعة البرزانيين في زمانهما.

(الشريط الحدودي) كانت المرحلة الأولى من تخريب القرى الكُردية في العراق والذي تحدثت عنه عند تعريفكم بعمليات الأنفال بدأ هذا الشريط في عام ١٩٧٨، ويعني تخريب القرى الكُردية المتآخمة لحدود دولتي إيران وتركيا، بعمق عشرين كيلومتراً الى داخل الأراضي العراقية. ولأن منطقة (برزان) كما بينت تقع على حدود الدولتين المذكورتين، لذلك كان أمراً طبيعياً أن تكون من أوائل القرى التي شملها الترحيل الى المجمعات السكنية القسرية، وفي النهاية استقر بهم المقام في المجمعات (قوشتبه، بحركه، ديانا، حرير، ميرگەسور، صلاح‌الدين) في محافظة اربيل دون تأمين ادنى فرص العيش لهم.

حصل هذا التهجير في عام ١٩٧٨ والى فجر يوم ١٩٨٣/٧/٣١ اي قرابة ست سنوات على الرغم من قساوة ظروفهم المعيشية، الا انه لم يقمْ سكان هذه المجمعات بتصرف يعكر صفو الامن، لقد كانوا قرويين بسطاء متدينين ومؤمنين بقضاء الله وقدره، لكن في فجر اليوم المذكور حدث ظرف عجيب لم يكن في حسبان اهالي مجمع (قوشتبه)، وهو ان يحاط مجمعهم بالدبابات والعربات المدرعة وعناصر من الامن والاستخبارات والوية من الحرس الجمهوري، وان تحوم المروحيات المقاتلة في سماء المجمع لمنع اي شخص من مغادرة المجمع او الدخول اليه.

والآن لندع السيد المدعي العام في محكمة الجنايات الثانية يحدثنا عما حصل بعد ذلك، لان هذه الجريمة اصبحت موضوعاً لدعوى برقم (٤/ج اولى/٢٠٠٩) نظرت فيها المحكمة الجنائية العراقية العليا. يقول المدعي العام في لائحته الاستهلالية لاحداث فجر اليوم المذكور في مجمع (قوشتبه) وبقية المجمعات التي اسكنوا فيها البرزانيين مايأتي:

بدأت الحملات فجر يوم ١٩٨٣/٧/٣١، حيث داهمت القوات العسكرية والامنية المجمع السكني في ناحية قوشتبه –قرب مدينة اربيل– واعتقلوا جميع الذكور فيه. وفي ليلة ١٠،١٩٨٣/٨/٩، داهموا مجمع حرير في اربيل، وقبضوا على جميع الرجال والصبيان وفي يوم ١٩٨٣/٩/٢٦، طوقوا ناحية صلاح‌الدين، واعتقلوا قسماً آخر من الضحايا. كان الامر الصادر من القيادة يقضي بالقبض على الذكور الذين تبدأ اعمارهم من (١٥) سنة فما فوق، الا ان الجلاوزة اعتقلوا حتى الاحداث بعمر (١١) سنة وتركوا النساء والاطفال بدون وال ولا معيل، ليزدادوا فقراً وجوعاً على جوعهم، تركوهم لالآمهم ومعاناتهم من فقدان الاب والاخ والابن والمعيل. جمعوا المعتقلين في باصات كبيرة احضروها لهذا الغرض ونقلوهم الى بغداد ومنها الى المحافظات الجنوبية، وكان قد اعدّ لهم نظام الحقد والغدر، قبوراً جماعية،حفروها بواسطة الشفلات. وعند وصول السيارات الى صحراء السماوة، انزلوا الضحايا وقد قيدوا أيديهم وعصبوا عيونهم ودفعوا بهم الى الخنادق التي تم اعدادها، ثم اطلقوا عليهم الرصاص، وبدأت الشفلات باهالة التراب عليهم، فمنهم من قتله الرصاص وبعضهم دفنوا وهم احياء، وفاضت ارواحهم الزكية تشكوا الى بارئها ظلم الطغاة، تمتزج بها صرخات الارامل والثكالى والايتام الذين فجعوا باحبائهم ومعيليهم. لقد ذبحوهم ظلماً وغدراً لا لذنب ارتكبوه، ولكن لمجرد كونهم ينتمون الى العنصر الكُردي والى عشيرة البرزانيين.

لم يكتف النظام الحاقد على شعبه بما ارتكبته من جرائم إبادة جماعية بحق هؤلاء الاخوة بل عمد ثانية الى الثكالى والارامل والايتام، حيث حاربهم في لقمة العيش وقطع عنهم البطاقة التموينية، كما قطع الماء والكهرباء عن مجمعات سكناهم، وحيث

كان البعض من الضحايا يعملون بصفة موظف او عمال في معامل النسيج او في دوائر البلدية والزراعة وتغيبوا عن دوائرهم، فقد صدرت اوامر ادارية بانهاء خدماتهم من قبل تلك الجهات، اعتباراً من تاريخ القبض عليهم، وبقيت نساء المجنى عليهم واطفالهم يعتاشون على مايجود به عليهم المحسنين من الناس الخيرة.

نعود الى ماجرى خلف الكواليس –والكلام لايزال للسيد المدعى العام– بين ازلام النظام البائد، وهذا تقرير رفعه مدير الامن العام الى سكرتير رئيس الجمهورية بناءً على طلبه حول هذه الواقعة جاء فيه:

١. في تموز/١٩٨٣ خلال هجوم العدو الايراني الصهيوني على قاطع حاج عمران وثبوت مشاركة زمرة الخيانة غالبية عناصرها من البرزانيين صدر ايعاز من مدير الامن العام (فاضل البراك) الى مدير امن منطقة الحكم الذاتي واحيطت المهمة بالسرّية التامة، لتكون جاهزة فجر اليوم التالي، حيث باشروا العمل بتاريخ ١٩٨٣/٨/١٠ مع قوة عسكرية من الحرس الجمهوري، حيث قامت بتطويق مجمعات (القدس، القادسية، قوشتبة) المخصصة لسكن عوائل البرزانيين وبوشر بالقبض على جميع البرزانيين من الذكور عدا من يقل عمره عن (١٥) سنة واقلتهم سيارات كبيرة كانت مهيأة من بغداد بصحبة القوة العسكرية. كما تم بنفس الاسلوب القبض على البرزانيين في مجمع حرير ضمن منطقة شقلاوة والبالغ عددهم (٤٠٣) وهم من افخاذ البرزانيين، الشيروانية، المزورية وكذلك مجمعات ديانا ضمن قاطع راوندوز وميرگەسور بمحافظة اربيل.

٢. من ناحية اخرى وبايعاز من مدير الامن العام، تم تشكيل قوة من منتسبي مقر مديرية الامن العامة ومديرية أمن بغداد تولت استلام المقبوض عليهم في المجمعات المذكورة وامثالهم المحجوزين في سجن ابي غريب حيث بلغ مجموع الذين استلمتهم هذه القوة (٢٢٢٥) شخصاً تم نقلهم الى منطقة (بصية) في محافظة المثنى وشكل فريق عمل قام بتنفيذ حكم الشعب بحق المذكورين [تنفيذ حكم الشعب مصطلح مجازي يعني تنفيذ حكم الاعدام بحقهم –المؤلف–].

٣. صدر توجيه من مدير الامن العام الاسبق بتنظيم قضايا خاصة للمتهمين منهم وفعلاً تم تنظيم (١٦) قضية لـ(٦٦٧) منهم واحيلت القضايا الى رئاسة محكمة الثورة واصدرت بحقهم حكم الشعب بالاعدام ولم تسلم شهادات وفاة لذويهم، وبقى (١٥٥٨) منهم لم تنظم لهم قضايا.

٤. تم استلام المبالغ التي كانت بحوزة المذكورين ومقدارها (٤٤٠ دينار، ٦٤٨ دينار، ١٩٤دينار) اودعت لدى حسابات هذه المديرية.

٥. ونظراً لاستمرار تأكيد مسعود البارزاني على هذا الموضوع، فقد اوعزت رئاسة الجمهورية –السكرتير– بكتابها المرقم (٢٦٥١/ت) في ١٩٨٧/٨/٢٤ بتوجيه المسؤولين والاجهزة الامنية المعنية بالقضية الكُردية الذين من المحتمل الاتصال بهم من خلال طرف ثالث بأن يكون الرّد محدداً وموحداً (بان لا أحد يعرف عنهم شيئاً سوى قيادة الدولة وان المسألة الاساسية اكبر من قضية هذه العوائل) وان يعتمد هذا الجواب في رّد على اي استفسار منهم قد يحصل عن مصير هذه العوائل.

ويضيف مدير الامن العام في تقريره بأن عشيرة البرزانيين تعتبر من العشائر غير الموالين للحزب والثورة والوطن عبر عشرات السنين، حيث انها وقفت ولاتزال ضد وحدة الوطن ولاتزال تعتبر نفسها العشيرة الاكبر في تمثيل الشعب الكُردي ويملأ نفوسهم الحقد والكراهية (اكتفينا بهذا القدر من اللائحة الاستهلالية للسيد المدعي العام).

هذا الاختلاف في عدد الضحايا بين المصادر الكُردية والتي تقدرها بـ(٨١٥٠) فرداً، وماورد في الوثائق الرسمية الحكومية التي عرضها السيد المدعي العام من أنهم كانوا (٢٢٢٥) شخصاً يذكرني بدفاع (علي حسن المجيد) عن نفسه عندما إستفسر منه وفدنا المفاوض في عام ١٩٩١: عن ما آل اليه مصير (١٨٣٠٠٠) فرداً من المؤنفلين (نسبة الى المفقودين في حملات الأنفال العسكرية)؟.

استشاط علي حسن المجيد غضباً وضرب بقبضة يده على المنضدة التي أمامه قائلاً: ما هذه المبالغة أنه بالكاد يصل عددهم الى مائة ألف! قصدي من هذا وكأن إختفاء مائة ألف أو (٢٢٢٥) نفساً لا يستدعي كل هذه الضجة والأهتمام.

في البلدان التي لم تتخلَ عنها العناية الآلهية كما تخلت عن العراق، إختفاء فرد واحد قد يسبب أزمة حكومية تهدد بأوخم العواقب، أما في العراق فنظراً لتوالي المحن والويلات الحكومية، فقد أصبحت كوارث من هذا القبيل أموراً إعتيادية كنشرة الأنواء الجوية لاتثير أي إهتمام يذكر.

والآن لنطرح جانباً الأحصائيات الكُردية المتهمة بالمبالغة والتهويل ونتخذ هذا الأعتراف الحكومي الموثق أساساً لعدد الضحايا على علاته أي (٢٢٢٥) فرداً ونقول: هل أن هؤلاء المواطنين، –بغض النظر عن عددهم، كثيراً كانوا أم قليلاً– كانوا يستحقون الموت؟.

لقد ثبت –كما بينا– أنهم كانوا فلاحين ابعدوا عن قراهم وأقحموا في هذه المجمعات القسرية دون تأمين أي مصدر رزق لهم، فقد كانوا يعتاشون كعمال زراعيين أو عمال في المدن القريبة وما يتصدق عليهم المحسنون. وللتدليل على فقرهم أن كل ما عثروا عليها في جيوبهم من نقود كما يقول التقرير كان (١٢٨٢) ديناراً أي بمعدل نصف دينار لكل معتقل تقريباً وهو مايعادل (٤٠) سنتاً!

أنهم كانوا أناس مسالمين لم يعثروا على أية قطعة سلاح ظاهرة أو مخبأة لديهم ولم يتبنوا العنف أو العصيان أو التمرد في علاقاتهم مع السلطة. إذاً ماذا كان ذنب ذكور القبيلة حتى يبادوا بتلك الطريقة الوحشية وبدون محاكمة بدءاً من عمر (١٥) سنة فصاعداً –كما يقول التقرير– وأقل من ذلك كما يقول المدعي العام ؟

الذنب كما ورد في التقرير هو: ثبوت مشاركة زمرة الخيانة غالبية عناصرها من البرزانيين خلال هجوم العدو الأيراني الصهيوني على قاطع (حاجي عمران). حسناً وما هو ذنب سكان تلك المجمعات يا ترى؟! أنهم لم يشتركوا في تلك المعارك وهذا أمر مؤكد وربما لم يسمعوا حتى بنبأ هذه المعركة إذاً لم يبق إلا أن نقول السبب هو إنتماؤهم العشائري لهؤلاء ليس إلا!! أي أنها كانت عملية إنتقامية ضد أناس ابرياء لم يكن لهم دور فيما يحدث حولهم.

وهذا يعني أن النظام البعثي لم يكن يراعي ما يعرف بمبدأ (شخصية العقوبة) أي أن العقوبة يجب أن ينال شخص الفاعل وليس غيره. على الرغم من أن الدستور العراقي، وكذلك قانون العقوبات قد أخذا بهذا المبدأ. ولكن ليس ماهو أسهل على صدام حسين من تعطيل الدستور والقوانين العقابية ومخالفتها وكأن المواطن العراقي يعيش في حالة اللاقانون وليس هناك ما يحميه من بطش السلطة. وهكذا أن العقوبة لا تتوقف في شرعهم عند شخص الفاعل، وانما يتعداها الى غيره حتى ولو كان بريئاً إذا كان يرتبط بأواصر القرابة أو الأنتماء العشائري أو العرق أو المذهبي أو... الخ بلفاعل.

وتبنى صدام حسين مخالفة هذا المبدأ في اشنع صوره وقد حدثتكم قبلاً كيف كانوا يعدمون الوالدين مع المعدوم وعند عدم وجودهما فأقاربه الى الدرجة الرابعة وأحياناً القرية تدفع الثمن، فليس هناك في كُردستان قرية لم تقصف بواسطة الطائرات أو المدافع وحتى مدينة بآسرها، كما حدث في مدينة قلعةدزه في ١٩٧٤/٤/٢٤، فأوقع خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات وللمؤلف تحقيق ميداني بتلك الخسائر نشره في كتاب (نكبة مدينة) وايضاً ألم يقصف مدينة حلبجة بالسلاح الكيمياوي وقتل في الحال (خمسة آلاف شخص)، وقد شاهد العالم الجثث المتناثرة في الشوارع والأزقة للنساء والرجال والأطفال.

والآن أنظروا الى أعمار الضحايا (١٥سنة فما فوق) أي السن الذي يكون فيه المرء قادراً على حمل السلاح، ليقطع دابر إحتمال إلتحاقهم بزعيمهم ويقاتلوا بجانبه وهذا مايسمونه بقتل عصفورين بحجر واحد أي اطفاء غليل الانتقام من جهة ولكي يكون الانتقام منتجاً ايضاً. ان صدام حسين كان شيطاناً ذكياً، لكن لسوء حظ العراقيين كان ذكاؤه أجرامياً.

قبل تحرير العراق بأعوام، التقى المؤلف بشخصية عربية من المعارضة العراقية كان يحمل معه سراً كبيراً وخطيراً للغاية أسرَّ به لي وهو رجل مثقف من حملة الشهادات العلمية العالية يتعاطف انسانياً مع القضية الكُردية العادلة. حدثته عن كارثة اختفاء (٨١٥٠) برزانياً في عام ١٩٨٣، وماذا حل بهم قلتُ له إن

عدم بقائهم على قيد الحياة بات من الامور المؤكدة اما أين قُتلوا ومتى وكيف، فقد بقيت هذه الاسئلة دون اجوبة الى وقتنا الحاضر.

ولكم تصور الدهشة الممزوجة باللهفة التي انتابتني عندما قال: لديّ بعض المعلومات لا أشك في صحتها عن اللحظات الاخيرة للبرزانيين.

قلتُ بنفاد صبر: أسعفني بتلك المعلومات التي أكاد احترق شوقاً الى معرفتها.

قال: في عام ١٩٨٩ كنت أعمل في مدينة الديوانية ومن ضمن الاشخاص الذين تعرفت عليهم واقضي معهم أوقات فراغي رجل يعاني من كآبة واضطرابات نفسية وادمان على شرب الكحول، وفي احدى الليالي، وبينما نحن الاثنين حول مائدة الشراب في احدى النوادي وبعد ان لعب الخمر برأسه وأنساه التحفظ، ذكر لي السبب الذي أوصله الى تلك الحالة من الادمان واللااستقرار النفسي وانني سوف انقل لك بكل امانة ما قاله لي ذلك الشخص– ولندعوه من الآن فصاعداً بالشاهد–، أما عن تقييم شهادته ومدى صحتها، فهذه امور متروك لك ولقراءك.

قال لي الشاهد: قبل حوالي خمس سنوات على وجه التقريب –أي في حدود سنة ١٩٨٣ أو ١٩٨٤، لان جلستي معه كانت في عام ١٩٨٩ استُدعيتُ ليلاً بعد الغروب بساعة تقريباً –وكان الشاهد مسؤولاً حزبياً– لاداء مهمة عاجلة وبالغة الخطورة دون ان يقولوا لي شيئاً عن ماهية المهمة.

وبعد أن ركبنا السيارة مع عدد آخر من المسؤولين في المحافظة سلكنا طريق النجف. وهناك أكثر من طريق بين الديوانية والنجف والطريق الذي ذكره الشاهد كان الطريق الذي يمر بقصبة (أبو صخير) وفي مكان ما على الطريق المذكور –يعرفه الشاهد وأجهله أنا– انحرفنا عن الطريق العام المبلط ودخلنا في عمق الصحراء أي يساراً وباتجاه الجنوب، وبعد أن قطعنا حوالي عشرين كيلومتراً على وجه التقريب، شاهدنا عن بعد اضواء، وكأنها اضواء المصابيح الكهربائية لقرية في الوقت الذي كنت اعرف انا الملم بتلك المنطقة عدم وجود اية حاضرة هناك. وعندما اقتربنا اكثر تبين لي ان الاضواء كانت صادرة من مصابيح سيارات نقل عسكرية من مختلف الانواع

وسيارات شخصية فارهة واضواء كاشفة منصوبة في أماكن معينة ووجدت من ضمن الآليات حوالي عشرة أو اكثر من مكائن الحفر والحادلات.

وكانت المنطقة غاصة بالمسؤولين الكبار بملابسهم الزيتونية من الحزبيين والجيش الشعبي جاءوا من بغداد. لقد كانوا في حركة دائبة يعطون الاوامر بأصوات عالية وحركات متشنجة وكأنهم مقدمين على امر جلل! لم اعرف في البداية سر هذا التجمع الكبير والغريب وغير المألوف في هذه البقعة الصحراوية النائية وفي الليل البهيم الذي أصبح وكأننا في رابعة النهار. لقد رأيت شيئاً آخر جلب نظري وهو تخطيط الارض بخطوط متوازية يبعد كل خط عن الاخر بحوالي خمسة أمتار تمتد حوالي ثلاثين أو اربعين متراً رشت الخطوط بمسحوق الجبس الابيض كخطوط العاب الساحة والميدان.

لقد أصدروا الاوامر الى الحفارات بحفر ما تقع بين الخطوط المتوازية بعمق مترين على شكل خنادق لقد تساءلت في سري –حيث لم اجرؤ على السؤال– عن الغرض الذي يحفرون من أجله هذه الخنادق الطويلة الواسعة، قلت: ربما لأغراض عسكرية.

استغرقت عملية الحفر حوالي ست ساعات وفي حوالي الساعة الثانية او الثالثة بعد منتصف الليل اتصلوا لاسلكياً بجهة ما للتوجه نحوهم ولم تمض مدة طويلة حتى رايت سيلاً من اضواء السيارات تتلوى في الصحراء متجهة نحونا ويظهر انهم كانوا ينتظرون في مكان آخر من الصحراء غير بعيد عنا. وعندما اقترب سيل الانوار تبين لي انها كانت عبارة عن حافلات لنقل الركاب زرقاء اللون مليئة بالرجال ظهر لي من كلامهم وملابسهم انهم اكراد ومما يدل على صحة هذه الشهادة –والقول لي الآن– تأكيد كثيرين ممن رأو الحافلات في المجمع أو في الطريق عند توجهها نحو المجهول انها كانت زرقاء اللون.

اصطفت الحافلات بمحاذاة الخنادق واحدة بعد الاخرى وقد فاتني ان اذكر – قال الشاهد– ان ذوي البدلات الزيتونية قد اعطوا تعليمات لسواق الحفارات بوضع التراب على طرف واحد من الخندق قرب حافته. ان الذي رأيته بعد ذلك كان شيئاً لن يقدر الا لاناس معدودين في العالم رؤيته. وبعد ان احتسى كمية كبيرة من كأسه مرة

واحدة كمن يلتجأ اليها ليستمد منه الشجاعة ليقول ما يريد قوله، اضاف: عندئذ أمروا بفتح ابواب الحافلات وطلبوا من الركاب النزول وكان على الارض افراد من الجيش الشعبي لالقائهم الى الخنادق بمجرد ان يطأ اقدامهم الارض. وعندما علم الركاب بمصيرهم المرعب هذا وبدافع من غريزة حب البقاء بدأوا يهربون الى مؤخرة الحافلة مما اضطر افراد الجيش الشعبي الى الصعود واخراجهم بالقوة من الحافلة والقاءهم في الحفرة وصياح هؤلاء التعساء وتوسلاتهم تفتت الاكباد ولكن لم يكن هناك من مغيث او مجيب. لقد كان كيوم الحشر مئات الحناجر تصرخ من الآم الضرب أو ارتطامهم بارض الخندق أو من رهبة الموت انه منظر يعجز الانسان عن تصويره ويذيب حتى الاحجار الصم وبغية اسكات تلك الاصوات التي كانت تصم الاذان امروا سواق الحفارات بأن يهيلوا عليهم التراب. فبدأت الاصوات تخفت رويداً رويداً تاركة وراءها سكوناً مطبقاً لا يقطعه سوى هدير محركات الحفارات والحالات وكأنها وحوش كاسرة هائلة تسترد انفاسها اللاهثة بعد ان اجهزت بعد جهد جهيد على فرائسها.

وهناك قال الشاهد: شعرت باصوات المحركات تتلاشى تدريجياً والاضواء تخفت لانني وقعت في غيبوبة لم افق منها الا وانا في المستشفى. وتبين لهم بعد ذلك بأنني لم اعد اصلح للخدمة واحلت على التقاعد وها انا اقضي ما تبقى لي من الحياة مع الخمر ومع ذكرى تلك المذبحة التي لا تفارقني حتى في المنام! ولا أعلم متى يؤدي بي الى الجنون أو الانتحار.

قلت للراوي: ومن يضمن انهم كانوا برزانيين؟ فقد ابتلعت رمال صحاري العراق الجنوبية (١٨٢٠٠٠) الفاً من ضحايا حملات الانفال الملعونة؟! ايضاً.

أجاب الراوي: ان الفارق بين سماعي لتلك الشهادة اي عام ١٩٨٩ وبين حملات الانفال التي جرت في عام ١٩٨٨ لا يزيد عن سنة. وبينما أكد لي الشاهد ان عملية الدفن الجماعية التي شاهدها كان قبل خمس سنوات، وهذا يبعد كلياً احتمال كون هؤلاء من ضمن ضحايا الانفال. كما لم يحدث اختفاء جماعي بذلك الحجم الكبير في بداية الثمانينات عدا البرزانيين، قلت صدقت!.

وختم الراوي حديثه لي قائلاً: ان حكاية هذا المدفن الجماعي الكبير شائعة بين اهالي الديوانية، وفيهم من يعرف حتى موقعه، فاخبار حدث مهم كهذا لن تبقى خافية عن الناس خاصة وان المسؤول العراقي قلما يحتفظ بأسرار مهنته، الا ان خصوصية هذه الشهادة، تكمن في كونها عيانية ولم يتح ذلك الا لقلة قليلة كان شاهدنا واحداً من تلك القلة النادرة وهي التي تسبغ تلك الاهمية الاستثنائية لشهادته. إنتهت الشهادة.

أما عن تقيمي لهذه الشهادة فأنني أميل الى تصديقها ولي من الاسباب ماتدعوني الى ذلك منها: أن الذي روى لي هذه الشهادة كان من حملة شهادة الدكتوراه واستاذ جامعي لذلك فأنه يحترم ما يقوله ومن الجانب الآخر لا اتصور أن يكون في مقدور أي منا ان يختلق قصة بهذه التفاصيل الدقيقة فور انتهاء حديثي عن ما آل اليه مصير البرزانيين اذا لابد وانه سمع القصة من غيره. ومن الطرف الآخر من منا يرغب أن يتهم من ننتمي اليهم بجريمة بشعة كهذه إن لم تحدث فعلاً. فهل من المعقول إن نفتري على بني جلدتنا زوراً. أما بخصوص الشاهد نقول: ألم يجد سبباً يبرر به كآبته غير هذا الحدث الغريب وغير المألوف في محيطه؟! وبهذه الدقة. ثم كيف تتطابق وصفه للون الحافلات بكونه ازرق مع شهادة الذين شاهدوا الحافلات في المجمعات واخيراً وليس اخراً كيف انسجم تاريخ الحدث الذي شاهده الشاهد مع اختفاء البرزانيين. كل هذه القرائن تشير الى حدوث جريمة كهذه اتباعاً منا للقول المآثور القائل (لا دخان بغير نار).

وكلما امعن النظر في هذه الطريقة للاعدام، اجدها مثالية للاعدام الكتلوي، فما على المنفذين الا أن يحفروا قبراً على شكل خندق بعمق اكثر من قامة رجل (مترين فقط) ويهيلوا بعد ذلك التراب على الضحايا دون اطلاق رصاصة واحدة. انها طريقة سهلة ومضمونة وسريعة وقليلة التكرار!!

ومن الطرف الآخر، يعنى هذا ان المثوى الاخير للبرزانيين لم يكن فقط في (بصية)، وإنما توزعوا على اماكن اخرى، فبحسب هذه الشهادة لهم قبر آخر في (ابو صخير)، قرب مدينة الديوانية، وربما في اماكن اخرى لقد كان عددهم كبيراً. الذي

علمته من وسائل الاعلام المرئية انهم أستعادوا اربعمائة من رفاة البرزانيين من قبر جماعي في منطقة (بصية)، المتاخمة لحدود المملكة العربية السعودية في البادية الجنوبية بمحافظة المثنى.

قبل ايام زرت متحف المحكمة الجنائية العليا شاهدت في داخل معرض زجاجي بعض الهياكل العظمية كتب عليها رفاة البرزانيين من قبر جماعي في محافظة النجف!؟ بعد صدور كتابي (عالم الكُرد المرعب) عام ٢٠٠٢، والذي ذكرت فيه قصة هذا القبر الجماعي للبرزانيين لأول مرة، أهديت نسخة منه الى السيد (مسعود البرزاني) رئيس اقليم كُردستان، مع رسالة جلبت فيها نظر سيادته الى الصفحات التي تشير الى هذا القبر الجماعي، لادري بعد ذلك هل حققوا في صحة هذه الشهادة من عدمه أم لا؟

في تلك الفترة لم يكن القيام بهذا التحقيق ممكناً، أما بعد تحرير العراق فقد اتيحت الفرصة لقطع الشك باليقين حول هذا القبر أتمنى أنهم فعلوا ذلك، وحتى اذا لم يفعلوا فان الأوان لم يفت بعد.

بنكەی ژین
www.zheen.org

(٨)

القبر الجماعي
الذي حفره الكُرد لأنفسهم!؟

هذا القبر يتعلق بالقصف الكيمياوي لمدينة حلبجة، ففي ساعة جنون أمر صدام حسين السلاح الجوي العراقي في ١٩٨٨/٣/١٦ بشن هجوم جوي على هذه المدينة ابتداءاً بالقنابل والصواريخ التقليدية تمهيداً لقصفها، بعد ذلك بالسلاح الكيمياوي المحرم دولياً بين الجيوش النظامية المزودة بوسائل الوقاية من تأثيراته كالكماماة والألبسة والأدوية، ناهيكم عن المدنيين العزل دون تمييز بين الرجال والنساء والكبار والأطفال! وقد شاهد المجتمع الدولي هذه الكارثة الانسانية الاولى من نوعها في التأريخ عن طريق الاعلام المرئي وكيف تناثرت الجثث في الشوارع والازقة وفي البيوت وداخل وسائط النقل وعلى الطرق الخارجية بالالوف.

قبل التحدث عن هذا القبر علّي أن لا احرم قرائي عن وصف هذا القصف الذي هو الأول من نوعه، واتمنى أن يكون الاخير ايضاً بتقدم الانسانية في مضمار الحضارة والتعايش السلمي بين الأمم كافة اقويائها وضعفائها.

لحسن حظ مدينة حلبجة وكذلك الكورد وقد تكون الانسانية جمعاء أن تعايش فتاة صغيرة لم تتعدى الثالثة عشرة من عمرها محنة قصف مدينتها حلبجة بكل تفاصيله، وكانت ايامئذ طالبة في بداية مرحلة المتوسطة. لتنقل لنا وصفاً دقيقاً وحياً، بحيث يشعر المرء وكأنه يحي تلك التجربة معها ويشعر بخوفها ويسمع أصوات الانفجارات تدوي من حوله يحسدها خيرة المراسلين الحربيين والكتاب المحترفين.

قدر لتلك الصبية ان تصبح فيما بعد محامية وان تعمل في مكتبي للمحاماة كمحامية متدربة، بعد ان انتقلت اسرتها الى السليمانية هرباً من جحيم القصف الكيمياوي لـ(حلبجة) وتدميرها بعد ذلك من قبل الجيش العراقي تدميراً كاملاً. وكما يتبين لكم بعد قليل انها لاتروي تجربتها من منظور عمرها الحالي، اي بعد ان كبرت بل بمشاعر السن الغض الذي كانت فيه بكل مافيها من براءة وبساطة وصدق وعفوية وهنا تكمن روعة شهادتها.

إن هذه الشهادة تدعى (هەرمێ فرج عبدالله)، رجوتها ان تروي لي ما شاهدها، فهي تجربة فريدة لم تقدر الا لقلة قليلة في العالم المرور بها. انها لاتمارس الكتابة الا بقدر ما تتطلبها مهنتها كمحامية، وهو سرّ ثقتنا الكبيرة بما تكتب، فمعظم الكتاب المحترفون متكلفون ومتصنعون، ولأنهم يتقنون صناعة الكتابة وفنون البيان وخفاياها، فانهم كالسحرة قد يخرجون الارانب من اقلامهم، اما (هەرمێ)، فقد كتبت هذه المذكرات عن سجية وبأسلوب لاتكلف فيه. كتبتها باللغة الكُردية وقد بذلت قصارى جهدي ان لاتفسد ترجمتي جماليات اوصافها وتعابيرها وروحيتها الشفافة، والان اترككم مع ما كتبته الانسة (هەرمێ):

منذ ان اصبحت طفلة مميزة لم اصادف يوماً ولو واحداً يسود الهدوء في مدينة حلبجة، فقد كانت تقصف بأستمرار اما بالمدافع او بالراجمات او بالطائرات وكانت شوارعها بمثابة ساحات المعارك من كثرة المصادمات التي كانت تجري بين (البيشمرگه) من جهة والجيش من الجهة الاخرى، ان لم تكن نهاراً ففي الليالي وعند سماع اصوات الاطلاقات يسرع المعسكر بدوره وبدون مبرر باطلاق المدافع والرشاشات والهاونات حتى يخال للمرء وكأنه يعيش معركة (ستالينگراد) المشهورة في الاتحاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية كما كانت تجتاحها احياناً مظاهرات دامية بين الاهالي ورجال الشرطة واحياناً الجيش ايضاً، مما دفع بالكثيرين الى ترك المدينة والذهاب الى اماكن اكثر أمناً.

وكنا واحداً من هؤلاء، ففي ربيع عام ١٩٨٥، تركت أسرتنا حلبجة واتجهت صوب مدينة السليمانية وَسكنت ردحاً من الزمن. وهكذا اصبحت اصوات المدافع واصوات قنابر مدافع الهاون والقنابل اليدوية وصواريخ ار. بي. جي ورشاشات الدوشكا وصليات بنادق الكلاشينكوف اصوات اعتيادية كتغريد الطيور! الى ذلك الحين لم نسمع دوياً اكبر واكثر ازعاجاً من دوي الصواريخ والراجمات، الا ان ماحدث يوم قصف حلبجة بالاسلحة الكيمياوية، كان شيئاً خارقاً للعادة لم يسبق له مثيل من قبل.

لماذا اطنبت في وصف الوضع المخيف الذي كنا نعيش فيه؟ كان غرضي من ذلك ان تدركوا ان اصوات الانفجارات والظروف العصيبة لم تكن غريبة عني بل اعتدتها حتى فقدت مخاوفها الى حد كبير.. فقد تكون مصادمة بالاسلحة الخفيفة ظرفاً عصيباً بالنسبة لشخص يصادفها لاول مرة اما بالنسبة لواحدة مثلي فان مصادمة كهذه قد تكون من الأمور التي لاتسبب خوفاً كثيراً لدى.. اما اذا وصفت انا حادثة ما، ولى مع الرعب تلك الخلفية بأنها كانت تجمد الدم في العروق من فرط هولها فانها لابد وان تكون كذلك.

في يوم الاحد المصادف ١٩٨٨/٣/١٣ شرعت المدفعية الايرانية بقصف مدينة (حلبجة) كدأبها ولكن بدون انقطاع هذه المرة، لذلك لزمنا ملاجئنا طوال اليوم، فتوقفت ليست فقط الدراسة بل والنشاط في المدينة بجميع اشكاله، فالخروج الى الأماكن المكشوفة يعني الموت المحقق!

لم نكن نعلم ونحن قابعون في الملاجئ ان هذا القصف هو بداية لاحتلال ايران لمدينة حلبجة، ففي يوم الثلاثاء المصادف ١٩٨٨/٣/١٥ دخلت قوات الـ (باسدار) الى حلبجة وكلمة (پاسدار) كلمة فارسية معناها (حماة)، اي حماة الثورة الاسلامية في ايران او مليشاتها غير النظامية.

لم تكتف القوة الايرانية باحتلال حلبجة فقط، بل استمرت في زحفها على طريق حلبجة– سليمانية حتى نهير (زەلّم) الذي يبعد حوالي خمسة كيلومترات من حلبجة، وقامت بنسف الجسر المقام على النهير لعرقلة عبور القوات العراقية فيما اذا ارادت

التقدم نحو حلبجة لطردهم. وبهذا تم عزل حلبجة عن السليمانية ليس فقط بسبب مياه النهر الفائضة، لان الموسم كان ربيعاً، بل ان المدفعية الايرانية ايضاً، كانت تقصف الجسر وما جاوره بين وقت واخر لذلك اصبح الذهاب الى السليمانية مغامرة غير مأمونة العواقب. والا ذهب كثيرون الى السليمانية لان الوضع كان ينذر بشر مستطير.

بدخول القوات الايرانية الى حلبجة، قامت الحكومة العراقية بقطع التيار الكهربائي وخطوط الهاتف عن حلبجة، وكذلك المياه بصورة غير مباشرة لأن مياه الشرب كانت تضخ بالمضخات التي تعمل بالكهرباء لذلك لفظت المضخات بدورها انفاسها الأخيرة وبأختصار كما يقول المثل الكُردي (لقد حل اليوم الذي كنا نخافه) كان رد فعل العراق ازاء الاحتلال الايراني لـ(حلبجة) في اليوم الاول انحصر في ارسال المروحيات المقاتلة (سمتيات) لقصف الجبال الواقعة خلف المدينة بالصواريخ ولا اكثر من ذلك اما ماحدث في اليوم الثاني من الاحتلال –اي ١٩٨٨/٣/١٦– كان اجراء لم يسبق له مثيل ليس بالنسبة لـ(حلبجة) بل بالنسبة لجميع مدن العالم!!

في هذا اليوم ايضاً استمر قدوم المروحيات وقصفها للجبال وكنا ننظر اليها كما ننظر الى استعراض جوي لاخطورة لها والمدينة كانت غاصة بالـ (باسدار) ولايزال بعض الناس ملازمين لملاجئهم وكنا ننتقل بين دارنا ودار ابن عم والدي (مجيد) الذي كان دارهم مقابل دارنا ولهم ملجأ اكثر تحصيناً لذلك كنا نذهب احياناً الى ملجأهم.

زال الخوف نسبياً لذلك كنت ترى الناس مجتمعين امام دورهم يبادلون الجيران الاحاديث وكانت اغلبها تدور حول خطورة الوضع الذي وجد الناس أنفسهم فيها. ترك بعض الناس المدينة وقد اردنا نحن ايضاً ان نفعل مثلهم الا ان والدتي لم توافق على ذلك ولكن اختي الكبرى وشقيقي الوحيد لم ينصاعا –وحسناً فعلا– لأرادة والدتي وذهبا مع ابن قريبنا (مجيد) الى قرية (سازان) التي بينها وبين حلبجة جبل (شنروى).

تملك الناس خوف قاتل، لقد خبروا وحشية البعث وتوقعوا ان لايقف مكتوف الايدي ازاء هذا الاحتلال ومدينة عبرت عن كرهها وعدائها لهم اكثر من مرة. قارب الوقت الساعة الثانية عشرة، كانت والدتي وشقيقتي الصغرى في الملجأ، اما انا فقد كنت اصب الشاي لوالدي وشقيقتي الثانية كانت امام باب دارنا تبادل احدى قريباتنا الحديث. في هذا الوقت مرت طائرة او اكثر لاادري فوق المدينة، لقد كان صوتها مدوياً اكثر من المرات السابقة لانها كانت تطير على ارتفاع منخفض جداً. ركضت الى خارج دارنا وسألت شقيقتي وقريبتنا عن الطائرة وعن سرّ صوتها المدوي غير الاعتيادي، فلم تجيباني واستمرا في حديثهما وكأن المسألة اعتيادية لاتستدعي الاجابة او اعطاء تفسير.

وفجأة سمعنا دوياً هائلاً لم يسبق لنا وان سمعنا مثله من قبل. لقد كان الصوت هائلاً بدرجة بحيث شعرت ان نهاية الحياة على الارض قد حلت! اعقبت الدوي عاصفة رملية لم اجد نفسي الا وانا في ملجأ دار قريتنا التي كانت تحاورها شقيقتي وكانت دارها تجاور دارنا. كيف وصلت الى هناك؟ لاادري علماً انني لم ار ذلك الملجأ من قبل. لم اعد اسمع اي شئ سوى صفير لاينقطع، لقد اعتقدت انني اصبت بصمم دائمي وان طبلتي أذني قد تمزقتا شر ممزق.

كنت اتساءل عن مصدر كل ذلك الغبار لأن زقاقنا كان مكسي بالأسفلت وارصفته كونكريتية، ولكن بعد ذلك الدوي الهائل تجمعت فوقه طبقة من الاتربة والحصى والمواد الغريبة وكأنه لم يكن شارعاً يوماً ما.

لقد خبرت مختلف اصوات الانفجارات –كما اسلفت– وحتى صوت الديناميت عندما نسفوا دور محلة (كانى عاشقان– ينبوع العشاق) عقب المظاهرة التي قام بها اهالي حلبجة ضد الترحيل عام ١٩٨٧، ولكن هذا الدوي كان شيئاً آخر، كان وكأن كوكباً هائلاً قد ارتطم بالأرض. فبينما كنت اتصور ان الانفجار قد حدث على بعد امتار مني تبين لي بعد ذلك ان القنبلة قد اصابت محلة السراي

التي كانت تبعد عنا بمسافة نصف كيلومتر ومع ذلك لم تبق زجاجة نافذة في المدينة الا وتحطمت.

قبل انفجار القنبلة بساعة تقريباً حلقت طائرتان عراقيتان فوق حلبجة على علو كبير جداً بحيث يصعب رؤيتهما وكانتا تثبتان احداثيات تمهيداً لقصف المدينة، وقيل ايضاً انهما قد القيا بالونات لمعرفة اتجاهات الرياح وسرعتها.

ولأننا كنا نتوقع قصف المدينة بالقنابل الكيمياوية حيث سبقت للحكومة وان قصفت بالاسلحة الكيمياوية عدداً كبيراً من القرى كـ(سيوسينان، عسكر، گوپ تبه، شيخ وسان وغيرها)، فقد صنعنا كمامات ضد الغازات السامة، ولم نكن نعلم هل تكون تلك الكمامات نافعة لأنها كانت جد بدائية؛ كيس قماش كنا نضع فيه قدراً معيناً من القطن والفحم المسحوق ووعاء ماء لكي نبلل به الكمامات عند الحاجة قبل ان نضعها على افواهنا وانوفنا، اي على الهواء الذي نتنفسه ان يمرّ خلال الكمامة، لتنقيته من الغازات السامة!! لقد كان البعث يحقد على اهالي حلبجة ويتحين فرصة للانتقام منهم ويظهر أن الفرصة قد حانت اوانها.

لقد قاموا بمظاهرتين احتجاجيتين كبيرتين في عام ١٩٨٢ وعام ١٩٨٧ (وكانت الحكومة تعلم حق العلم ان اهالي حلبجة قلوبهم مع (البيشمرگه)، وان المدينة حصن لهم كما انخرط عدد كبير من شبابها في صفوف (البيشمرگه) ولم يؤدوا الخدمة العسكرية، وكانت حلبجة غاصة بالهاربين من الجندية والان من في حلبجة؟! (البيشمرگه) والباسدار ألد عدوين لحكومة البعث، لذلك كان تفكيراً سليماً ان نتوقع كل مكروه من جانبها.

لقد كان هناك كثيرون يودون مغادرة المدينة ولكن طريق حلبجة – سليمانية كان مقطوعاً بسبب هدم جسر (زەڵم) وقصفه من قبل المدفعية الايرانية، كما لم نكن قادرين على التوجه نحو الجبال خوفاً من الالغام واذا ذهبنا الى ايران، فلم نكن نعلم هل ان الحكومة الايرانية تفتح حدودها لنا لدخول اراضيها ام لا؟ لقد كنا حقاً

في المصيدة ومع ذلك غامر البعض واتجهوا نحو الجبال ولكن عددهم مقارنة بالذين آثروا البقاء كان ضئيلاً.

بعد ان استردنا رباط جأشنا تذكرنا بقية افراد اسرتنا، لقد اعتقدنا ان القنبلة قد اصابت دارنا. فخرجت شقيقتي من الملجأ وركضت الى دارنا، لقد كان ذلك عملاً شجاعاً من جانبها، وعادت بعد ذلك، لكي تبشرنا، بأنهم سالمون والحمدلله، وطلبت مني مرافقتها للحاق بهم في ملجأ دار مجيد لأنهم هناك.

بعد القاء القنبلة هرب بعض العوائل الى خارج المدينة اما على الاقدام او بالسيارات القليلة المتوفرة، ومن هؤلاء جارتنا (داده خورشه) حيث كانت تحمل حذاءها بيديها مع (جنطة) وكان اولادها يركضون امامها، التفتت الينا، وقالت لنا: اهربوا انتم ايضاً، ان الحكومة سوف تجعل من عالي هذه المدينة سافلها. وركضت بعد ذلك لاتلوي على شئ. اما نحن العوائل المحشورين في ملجأ دار (مجيد) وكان عددنا ستة عوائل، فلم نجرؤ على الهروب خوفاً من ان يداهمنا الطائرات، ونحن في الطريق لايسترنا شئ، وبقاؤنا في الملجأ لم يكن يعني اننا سوف نخرج سالمين من تلك المحنة اولاً لأن الذي اصفه بالملجأ لم يكن ملجئا اصولياً، لقد كان عبارة عن سرداب وحتى لو كان اصولياً لما قاوم القصف اذا وقعت القنبلة عليه مباشرة او بقربه، فأستناداً الى دوي القنبلة غير الاعتيادية، فلا اعتقد ان زنتها كانت تقل عن نصف الطن بأي حال من الأحوال. ولكن كان للملجأ فائدتان، اولاهما: حمايتنا من شظايا القنبلة والمواد الصلبة الاخرى المتطايرة بتأثير الانفجار، وثانيهما: هو التقليل من شدة صوت الانفجار الذي كان يصم الآذان.

بعد نصف ساعة عادت الطائرات وكانت اربع. ان أصوات محركاتها – وكانت تطير على ارتفاع منخفض– تثير الهلع في النفوس وتصم الآذان لشدتها في الوقت الذي لم تكن تقارن بهول انفجار قنابلها. لقد كنا نتوقع في كل لحظة ان تقع احدى القنابل فوق رؤوسنا وتكون في ذلك نهايتنا.

افرغت الطائرات حمولتها من القنابل فوق المدينة بمعدل قنبلتين لكل طائرة. لقد كانت الارض تهتز تحتنا عند كل انفجار وتصدر من الجدران وسقف الملجأ اصوات، وكأنه يتشقق وينفتح باب الملجأ ليدخل من خلاله الغبار والحصو والأتربة وكانت اصوات الانفجارات من القوة بحيث لم يكن الملجأ يقلل من شدتها.

لقد كنا نصاب بصمم وقتي بعد كل انفجار ونقول: هذه هي النهاية سوف ينفجر رؤوسنا او تنفجر شريانات قلوبنا من ازدياد نبضاتها واندفاع الدم منها نعم كانت اصوات الانفجارات لم تكن تحتمل.

كان لنا جار سمين ضخم الجثة، اقنع معظم اهل المحلة بالبقاء ومنهم والدي وكان يقول لنا: علينا ان لانخاف، انا شخصياً لن اتحرك من مكاني ولو انقلبت الدنيا وكان هو واسرته يتقاسموننا ملجأ دار (مجيد)، لقد بدأ يبكي من الخوف، فما بال الاطفال والنساء. لقد كان معنا طفل ماتت عنه أمه، فتكفلته عمته لم يكن له طلبات ولا كان يبكي. لقد ادرك على الرغم من صغر سنه (كان في الثانية من عمره) ان الظرف لايتحمل مشاكل اضافية لقد كان يعض كتف عمته كان ذلك عزائه الوحيد عندما يتملكه الخوف الشديد من القصف.

كان الرجل الضخم يتوسل الى جار اخر لنا يدعى (ناجح) لكي ينقلهم بسيارته الى خارج المدينة الا ان ناجح لم يجرؤ ان يخرج من الملجأ ويقول: ان الفاصل بين غارة واخرى قصيرة بدرجة، بحيث لايكفي لكي يصلون الى خارج المدينة، وكانت الطيارات تترصد وتتصيد الناس والآليات التي تخرج من المدينة وتقصفها لارهاب الذين يفكرون في مغادرة المدينة وبالتالي القضاء المبرم عليهم داخل المدينة.

استمرت الغارات دون انقطاع الى الساعة السادسة مساءً. وكان عدد الطائرات في كل غارة يتراوح بين (٤ طائرة– ٨) طائرة، وكنا نخمن عدد الطائرات بعدد القنابل التي تنفجر في كل غارة مقسوماً على اثنين، لان كل طائرة كانت تحمل قنبلتين، والا لم يكن هناك من يجرؤ على الخروج من الملاجئ والنظر الى السماء لكثافة القصف وخطورته المتناهية. حسناً لنعمل احصائية: اذا كانت الغارة

الاولى، قد بدأت في الساعة (١٢,١٠) من بعد الظهر وجاءت الغارة الثانية بعد الفترة الاولى بفاصل زمني قدره نصف ساعة (ثلاثين دقيقة) تكون الغارة الثانية قد حدثت في تمام الساعة (١٢,٤٠) وبعد هذه الغارة، تقلصت الفواصل الى عشر دقائق. لمدة خمس ساعات وعشرين دقيقة. ولأننا نعمل بالدقائق، فان الغارات قد استمرت (٣٢٠) دقيقة، واذا قسمنا هذه المدة على عشر دقائق (فاصل غارة عن الاخرى) واضفنا الغارة الاولى اليها تكون المدينة قد تعرضت الى (٣٣) غارة في ذلك اليوم، وبما ان عدد الطائرات كانت يتراوح بين (٤–٨) في كل غارة، فأن تقدير معدل عدد الطائرات بست طائرة تقدير واقعي وبضرب هذا العدد في عدد الغارات يصبح عدد الطائرات المغيرة (١٩٨) طائرة، وبما ان كل طائرة تحمل قنبلتين، فيكون مجموع القنابل التي القيت على مدينة حلبجة الصغيرة (٣٩٦) قنبلة!! فتأملوا.

في الساعة الرابعة من بعد الظهر انهارت اربع اسر من الأسر الستة التي كنا قابعين في الملجأ، وقرروا مغادرة الملجأ والهروب الى خارج المدينة، قائلين خير لنا ان نموت من ان نعيش في هذا الجحيم لكي يسحقنا الخوف! لقد شعرت بقلق كبير عليهم، فان عشر دقائق– الفاصل الزمني بين غارة اخرى، لم يكن يتيح لهم فرصة الخروج عن المحلة ناهيك عن المدينة لااعرف الى الآن ماذا حل بهؤلاء التعساء؟

وهكذا بقينا وحدنا مع اسرة (مجيد). كنا نعتقد ان المدينة قد اخليت من سكانها وانهم تركوا المدينة كما تركتها الاسر الأربع التي كانت معنا، لقد ازداد خوفنا وشعرنا بوحشة مرعبة. الى ذلك الوقت لم ادرك مغزى المثل الكُردي (مردن لەگەلْ هاوەلآن جەژنە) يقابله في العربية (الحشر مع الناس عيد)، لان الفرد يجد سلوى من مشاركة اقرانه لمحنته، قائلاً لنفسه: انني لست وحدي ان حال هؤلاء هو حالي، فما الذي يميزني عنهم لو كانت المصيبة اصابتني وحدي، لشعرت بالأسى اما اذا عمت الجميع، فلماذا ارثى لحالي، وهكذا تتوزع ثقل المحنة على الجميع، فتشعر وكأن وطأتها قد خفت عن كاهلك وتشعر براحة وعزاء.

كان (مجيد) في السبعين من عمره كان رابط الجأش لكن والدتي اكثرنا خوفاً وكانت تصيح وتولول وكان هذا يغيض مجيد، فينهرها الا انها بدلاً ان تسكت ترفع صوتها اكثر فيقول مجيد: والله لو دخلت حنيفة –وهذا اسم والدتي– الجنة لما دخلتها! في هذه الأوقات العصيبة يستنجد الانسان بخالقه لذلك كنا ندعو الله باستمرار بمختلف الأدعية، ولكن أغرب دعاء هو الذي كانت تطلقه اختي الصغيرة (٩ سنوات) تكرره باستمرار وهو: يارب نحن كلب اسود الوجه ارحمنا انت!

كان تحت الملجأ، ملجأ آخر لاخفاء ابناء (مجيد) الفارين من الخدمة العسكرية سعته متران مربعان، فدخلنا ذلك الملجأ لا لأنه اكثر امناً، بل لتخفيف صوت الانفجارات الذي اصاب الجميع بالهستريا. ولو قدر للملجأ الفوقاني ان ينهار، لأصبح الملجأ التحتاني قبراً جماعياً جاهزاً لنا، ولم يكن يعلم احد اننا هناك.

بين الساعة (٣–٤) لادري بالتحديد تخلل اصوات الانفجارات صوت انفجار جديد لم نألفه، صوت مكتوم (ترب)، يعقبه صوت يشبه صوت خروج الهواء من اطارات السيارات! لقد فرحنا بهذا الصوت، لأننا كنا نعتقد انها قنابل فاسدة لم تنفجر، وقلنا ان –الله جل قدرته– قد استجاب لتوسلاتنا! ولم نكن ندري انها كانت قنابل كيمياوية سامة قاتلة!!

www.zheen.org

لقد قررنا مع أسرة قريبنا ان لانخرج من الملجأ الا بعد مغيب الشمس. في الساعة السادسة خرج والدي ووالدتي من الملجأ وذهبا الى خارج الدار لاستطلاع الأمر. احتج قريبنا (مجيد) على هذا التصرف الطائش، لانه كان يعتقد ان الطائرات سوف تراهما وتقصفهما بالقنابل وتتهدم الدار على رؤوسنا، لذلك كان يلطم رأسه بيديه ويكرر جملته المعهودة ((اذا دخل والدك ووالدتك الجنة، فلن ادخلها انا))!

لقد تبين لوالدي ان المدينة قد أخليت من ساكنيها، ومن بقى منهم فهم ايضاً يتركونها على عجل. رجع والدي الى الملجأ واخبرنا بأنه لم يبق احد في المدينة، وعلينا نحن ايضاً مغادرتها، فنادى عليّ وعلى شقيقتي التي تكبرني وعلى شقيقتي الصغيرة

ان نتبعاه الى دارنا، فتبعته انا الا ان شقيقتي التي تكبرني، قد تأخرت لان شقيقتي الصغيرة قد أصيبت بأرتجاف وكانت أسنانها تصطك ويسمع عن قرب.

عندما خرجت الى الزقاق أصبت بذهول مما رأيت! لقد تصورت أنني في مدينة اخرى اراها لأول مرة انها ليست المدينة التي تركتها في الساعة الثانية عشرة. لقد تهدمت معظم الدور ولم يبق شباك لم ينكسر او باب لم ينخلع لقد اطارت احدى القنابل سطح احدى الدور وعندما وقع على الارض وقع على ظهره، فأصبحت المراوح السقفية، وكأنها غرست فوقها! كما رفعت القنابل اسفلت الشارع او تراكمت فوقه طبقة كثيفة من التراب وكأنه لم يكن شارعاً مبلطاً في يوم من الأيام.

كان لقصف الطائرات مهمات شتى لانجاح القصف الكيمياوي الذي اعقبه:

اولاً: لكي تفتح الابواب والنوافذ حتى تدخل الغازات السامة الى الدور بسهولة.

ثانياً: لكي يجتمع الناس في بيوتهم حيث يسهل للغاز ان يصل الى اكبر عدد ممكن، ففي الاماكن المفتوحة التي تساعد على انتشار الناس، من الصعب على دخان الغازات، تغطية كل تلك المساحات، بينما حصرهم في بيوتهم، وفي المدينة فقط يمكن للغاز ان يقتل معظمهم خاصة في اجواء الدور الخانقة. واخيراً يلتجأ معظم الناس الى السراديب والملاجئ والأماكن المنخفضة، لتفادي شظايا القنابل، وبما ان الغازات، كانت اثقل من الهواء، فأنها كانت تترسب في الأماكن الواطئة. كما يقتل القصف اعداداً كبيرة من السكان، ربما نجوا من الموت اذا اقتصر القصف على الغازات السامة وحدها. وقد لقي اناس كثيرون حتفهم بتلك القنابل قبل الشروع بالقصف الكيمياوي السام.

عندما خرجت من الملجأ، كانت الشمس قد مالت الى الغروب، لقد حجب دخان الانفجارات والغازات السامة والاتربة قرص الشمس. لقد كان غروباً محزناً ومخيفاً في آن واحد، وجرائمهم حجبت حتى ضوء الشمس. اما عن تلوث الهواء، فحدث ولا حرج لقد اختلطت روائح الغبار والحرائق والبارود والغازات السامة مكونة رائحة كريهة تغلب عليها رائحة الثوم، وشعرت بحرقة في اجفاني وانفي وحلقي وبدأت اتقيأ.

ذهبنا الى دارنا، ولكن ماذا رأينا؟ رأينا جميع زجاج النوافذ كانت مهشمة الى قطع دقيقة ومتناثرة على الارض، وكأنها مسحوقة بالرحى الحجرية لم تبق آنية زجاجية سالمة وجميع المعلقات كالساعات واللوحات والمرايا وحتى المغسل الخزفي قد وقع على الارض وتكسر. كان لنا خزان خشبي لحفظ الملابس (كنتور)، تطايرت اجزاؤه وتناثرت محتوياته. لم نتمكن من استصحاب الشئ الكثير، لان ابواب معظم الغرف كانت مصنوعة من صفائح حديدية، قد استعصت على الفتح وكل الذي اخذناه معنا، كانت عبارة عن بطانية وعلبة صغيرة من حليب (نيدو) وكمية من الشاي والسكر والخبز، وكانت والدتي اكثرنا خوفاً، لذلك كانت تستعجل بالخروج من المدينة، فعندما طلب والدي منها ان تحمل كمية من الشاي والسكر قالت بنفاذ صبر: اي شاي واي سكر وهل نذهب نحن الى نزهة؟ الا أن والدي اجبرها على حملهما. عندما اخذنا الخبز، قال والدي ابقوا على قسم منه، لأننا سوف نعود غداً! نعم لقد فقد الجميع سلامة التفكير. وكانت رائحة الغازات السامة تفوح من الخبز!

الى ذلك الوقت لم نكن نعلم ان المدينة قد قصفت بالقنابل الكيمياوية، وعلمنا ذلك بطريقة جد كوميدية! فمهما تعاظمت الاهوال فأنها لن تعدم مفارقات تثير الضحك، ان لم تكن وقت حدوثها فأنها ستصبح مادة للضحك والتندر بعد انفراجها وهو ماحدث لنا.

عندما خرجنا من الدار لكي نهرب الى خارج المدينة التي كانت تدعى يوماً ما بمدينة حلبجة الجميلة، تلك الغانية اللعوب التي أوقعت الصحابي الجليل (ابا أيوب الانصاري) في حبائلها*، المدينة التي كانت تحتضنها البساتين التي تجري من

* تشير آنسة (هەرمێ) الى اشاعة يتداولها الناس في منطقة حلبجة، ولا ادري مبلغ صحتها، مفاد الاشاعة هي: على بعد كيلومترين شرق مدينة حلبجة، هناك مزار مقدس ينسبه العامة الى الصحابي الجليل (ابا عبيدة الانصاري)، على اساس انه مدفون فيه، انني لم احقق في هذه الجهة، وحتى لو

تحتها الجداول الرقراقة الغزيرة والتي تحولت الان الى خرائب وانقاض وسموم قاتلة وها نحن نهرب منها غير آسفين وكأننا نهرب من الجحيم لانلوي على شئ.

عندما خرجنا الى الشارع رأينا رجلاً يقبل نحونا وهو يهرول، والعجيب في أمر ذلك الرجل أنه كان يصيح باستمرار: غاز.. غاز.. غاز، وعندما اقترب منا بما فيه الكفاية نهره والدي بنفاذ صبر، قائلاً له: ايها الأحمق هل هناك من يشتري الغاز في هذا الظرف العصيب؟ ويظهر انه كان يعرف والدي، فأجابه: حاج، لأن والدي قد تبرك بأستار الكعبة المشرفة، انني لا ابيع قناني الغاز. لقد قصفنا بالغازات السامة وانني احذر الناس حتى يتدبروا أمرهم!! لايمكن وصف شدة الخوف الذي اعترانا، عندما تلقينا ذلك النبأ المريع، ويكفي ان نقول اننا فقدنا القدرة على المشي، لان سيقاننا لم تعد قادرة على حملنا وشرعت اسنان شقيقتي الصغيرة بالاصطكاك مرة أخرى وكان يسمع صوته للقريبين منها بوضوح.

لقد تحاملنا على أنفسنا وشرعنا بالمشي، فالبقاء كان يعني الموت المحقق. في الطريق شاهدنا مشاهد لاتنسى. لاتقل رعباً عن القصف نفسه: افراد او مجاميع من جثث الكبار والصغار ممدة على طول الطريق بينها جثث الحيوانات الاليفة،

www.zheen.org

حققت فيها، فأغلب الظن أن تحقيقاتي لم تكن تسفر عن نتيجة مقنعة، ولكن الذي يهمني هنا هو مغزى الاشاعة ودلالتها.

في الفتوحات الاسلامية –وقد جاء ابو عبيدة الى كُردستان مجاهداً في سبيل اعلاء كلمة الله– كان المجاهد يدفن اينما وافاه اجله، وهذا أمر طبيعي، فلم تكن هناك وسائط النقل السريعة او مجمدات لحفظ الجثث من التعفن كما هو الحال في أيامنا هذه، حتى تعاد الجثة الى ذوي الميت اينما يكونوا. وهكذا فليس بالأمر المستغرب أن تكون منطقة حلبجة هي المكان الذي اختاره الله له ليكون مثواه الأخير. الا ان الاشاعة تقول شيئاً اخر مغاير كلياً، فهي تقول: أن أبا عبيدة لم يمت صدفة في هذا الموقع، بل كان يموت فيه في كل الاحوال، اما لماذا؟ فلأنه اختاره كمحل اقامة دائمية له، أي مدى حياته! سئل ابا عبيدة –تصنيف الاشاعة– عن سبب بقائه هنا دون انداده من الصحابة؟ لقد ورد في جواب ابي عبيدة وصفاً لجمال الطبيعة لمنطقة حلبجة ومدينتها فريداً في بابه، حيث قال: هنا الجنة التي وعد الله بها عباده الاتقياء، فمن يترك الجنة ويعود الى جحيم صحارى الجزيرة العربية الحارقة المجدبة.

ويظهر من وجوههم التي لم يكن فيها اي التواء او تشنج أنهم لم يتعذبوا كثيراً وكأنهم تحولوا فجأة الى هياكل شمعية، فقد كانت وجوههم تلمع كما تلمع وجوه عرائس الاطفال المصنوعة من مادة (البلاستيك)، كانوا يبدون وكأنهم يغطون في نوم عميق وليسوا بموتى! وكنا نرى سائلاً مخاطياً ابيض خارجاً من انوفهم وافواههم، قال لي احدهم فيما بعد انه حاول مسح ذلك السائل من انف وفم احد الضحايا الا انه فشل في ازالته، كان في طبيعة (الجلاتين) السائل او (السيكوتين)!

كان هناك من يتلوى او يحاول النهوض ولكن دون جدوى. اقتربت مني فتاة يافعة احترق وجهها بالغاز وهي تضحك ضحكة هستيرية، وكانت اسنانها بيضاء مكشرة وارادت ان تمسك بي، لقد كان منظرها مرعباً، فوليت هاربة ولم اعرف سبب مداهمتها لي واغلب الظن كانت هي ايضاً تجهل ذلك!

لقد كان تأثير الغاز متنوعاً على ضحاياه، فبينما كانت تجد اناساً مكتئبين غاية الاكتئاب الى درجة بحيث لم يكونوا يكترثون بما يدور حولهم ولاكانوا يحاولون حتى الهرب! تجد في الوقت نفسه آخرون في حالة هياج يسبون ويشتمون ولايتوقفون عن الكلام لحظة واحدة وفيهم -وهنا وجه الغرابة- يغنون او يرقصون او يضحكون، وكأنهم في حفلة عرس!! كل حسب نوع المركز الذي اثر عليه الغاز في مخه او نوع الغاز الذي اثر فيه!

إن الذين فقدوا القدرة على المشي كانوا يتوسلون بنا ان نأخذهم معنا ولكن كيف؟ كان الكل يحاول مغادرة المدينة بأسرع وقت كما لم تكن لدينا أية وسيلة نستعين بها لنقلهم، لكن الذي آلمني اكثر من غيره منظر امرأة معها طفلها الرضيع، انها لم تفقد القدرة على المشي فقط بل القدرة على الكلام ايضاً الذي فهمناها من اشاراتها هو: ان ننقذ طفلها ولايهمها بعد ذلك مصيرها.

الحظ وسوء الطالع يلعبان بقسوة دورهما في حياة الانسان والحظ وسوء الطالع كانا مسألة حياة او موت بالنسبة لاهالي حلبجة في ذلك الظرف. شاء سوء طالع ابن عم لوالدي ان تقع احدى القنابل الكيمياوية في باحة دارهم، فأدى ذلك الى

استشهاد مايقارب من خمسين شخصاً في ملجئهم: اسرته وأسرة شقيقه واسر ابنائه وبناته واقربائه وبعضاً من اهل المحلة الذين احتموا بملجئهم لأنه كان واسعاً وكان بيتهم يقع مباشرة في الشارع الذي خلف دارنا، ومن حسن حظنا كان الهواء راكداً، فوجود نسمة رقيقة كانت كافية لنقل الغاز الى بيتنا وربما بيوت المحلة بأسرها ويقضي علينا جميعاً.

بعد ان خرجنا الى العراء تبين لنا حقيقة مروعة وهي ان الاصابات في صفوف الهاربين كانت اكثر بكثير من الذين آثروا البقاء في المدينة، فقد كانت الطائرات تلاحقهم وتصب الغازات على سيول المهاجرين. لقد كنا نرى مئات الجثث ممتدة على طول الطريق وكأننا نرى جدولاً عريضاً فيه بدل الماء جثث الموتى. حاول البعض الهروب بالسيارات او الشاحنات او الساحبات، فداهمتهم الطائرات في الطريق والقت على رؤوسهم غازاتها السامة، فحولت تلك الآليات الى قبور جماعية لهم. لقد آلت الحكومة على نفسها بأن تبيد سكان حلبجة برمتها وان لاينجو منها احد حياً.

مسك رجل بساقي متوسلاً أن أستصحبه معي قائلاً: أني قادر على المشي، الا ان الغاز قد أعماني، لذلك فانني لن احتاج الا الى واحد يأخذ بيدي ويقودني معه انني لن اتعبه. انني لم اجرؤ على اتخاذ قرار (خطير) كهذا، لقد كنت صغيرة جداً، لم يكن ذلك الرجل الأعمى، يعلم أننا جميعاً أصبنا بالعمى ولم يكن هناك احد قادر من بيننا على تلمس طريقه اللهم الا بصعوبة! فقد توارت الشمس فلم تعد تتحمل رؤية ذلك الظلم الصارخ من أخ لأخيه من بني البشر لا لسبب الا لكونه اقوى ويمتلك من الأسلحة افتكها، ولأن الطرف المقابل أعزل وغير قادر على ايذائه مهما تمادى في غيه.

وهكذا ارخي الليل بسدوله على الأرض وليالي الربيع معروفة بحلكتها، لقد اضاف الظلام ابعاداً اخرى على محنتنا، من ذلك وقوعنا في الحفر والجداول او اصطدامنا بالأحجار الكبيرة او الأشجار. وقد انزلقت انا الى احد الوديان ونشبت اصابعي بما تيسر لي التعلق به، فتخليت عن الاشياء التي كنت احملها وسارع بعض المارة الى نجدتي وانتشلوني. وتبين لي بعد ذلك ان الوادي كان عميق الغور،

ولو وقعت فيه لكنت من الهالكات لامحالة. والشئ الاكثر رهبة أننا كنا ندوس بأقدامنا على جثث او على الذين تهالكوا على الأرض من الاعياء، فكانوا يصرخون من الألم عندما كنا نمشي على اجسادهم!.

ومن المحن الاخرى التي اضافتها ظلمة الليل كانت عند مفارق الطرق حيث يسلك فرد او عدد من افراد الاسرة الواحدة طريقاً بينما يسلك البقية طريقاً آخر. وهكذا فقد كثيرون افراد اسرهم وخاصة من الأطفال وفيهم كثيرون لم يجمع شملهم الى الآن. وهنا انتابت الراوية حالة من الذهول، بعدها قالت: سوف اسرد عليك الآن واقعة تبعث القشعريرة في الجسم فعلى الرغم من مرور اكثر من (١٣) عاماً عليها أخال وكأنها حدثت بالأمس القريب، وتنتابني نفس الأحاسيس عندما اتذكرها او أرويها لأحد. فقالت وصلنا الى مشارف محلة (شهيدان) ويفصل هذه المحلة عن المدينة ترعة عميقة وعريضة حفرت لتصريف السيول التي تنحدر من جبل (شنروي) لحماية المدينة من مخاطر الفيضان وفوق الترعة اكثر من معبر.

عندما اقتربنا من الترعة المذكورة صادفنا قطيعاً كبيراً من الابقار والثيران، اننا لم نر القطيع رأي العين، بسبب الظلام الدامس الا أننا كنا نسمع بوضوح خواره وهو في قاع الترعة او المستلقي على حافاتها (وهنا انتابت محدثتي نوبة عاطفية، فأنحدرت دموع غزيرة من مأقيها! قلت لها متعجباً: لقد اسردت كل تلك الفجائع ولم تبك واذا بك تبكين على قطيع من الماشية؟! وبعد ان تخلت عنها النوبة اعطت لي تفسيراً لبكائها شعرت من جرائه انا ايضاً بالوجوم كدت ان اشرع بدوري في البكاء. قالت بعد ذلك تبين لنا ان الذي تصورناه قطيعاً من الثيران والابقار، لم يكونوا سوى كائنات بشرية بحت اصواتهم بتأثير الغازات السامة حتى اصبحت كخوار البقر، كان كلامهم غير مفهوم لخلوه من المقاطع والذي فهمنا من بعضهم من الذين اثر الغاز في حبالهم الصوتية بدرجة اقل أنهم كانوا يتوسلون بنا ان لاتركهم لمصيرهم المعتم. ويرجع سبب تكدسهم هو لارواء عطشهم او صب شئ من الماء على اجسامهم المحروقة.

عبرنا الترعة من الجسور المنصوبة عليها، وكأننا نعبر جسر (الصراط) الممتدة على الجهنم يوم القيامة فوصلنا الى الضفة الاخرى. وبعد ان ابتعدنا قليلاً عن الترعة وقعت احدى ساقي اختي الكبرى في حفرة وكان في الحفرة ماء، فصاحت فرحة لقد عثرت على ماء، كان معنا دلو فملئناه بالماء ولم نسأل عن نوع الماء، هل هو نظيف ام فيه تراب او قاذورات؟ المهم انه ماء! عندما شربنا الماء وجدناه في حلاوة السكر! فقلت لها هل هذا ممكن وما سبب ذلك؟ اجابت مبتسمة: السبب بسيط لأن السكر الذي جلبته والدتي (للنزهة!) كان في داخل الدلو ولم ننتبه الى ذلك! وأغرب من ذلك أننا اعطينا لكثيرين من العطشى جرعات من هذا الماء الحلو ولم يستفسر أي منهم عن سر هذه الحلاوة؟! نعم لقد تبلدت احاسيسنا الى درجة كبيرة.

لقد خفت كثيراً حدة الغارات بسبب حلول الظلام الا انها لم تنقطع كلياً، لقد كانت الطائرات تمر فوق ارتفاع منخفض جداً وعندما كانت تطلق صواريخها يتحول المكان الى رابعة النهار، الا انها كانت توجه صواريخها الى المدينة التي اصبحت خاوية على عروشها، ولو وجهت صواريخها الى المهاجرين لوقعت في صفوفنا خسائر جسيمة في الأرواح.

أننا نسينا الماضي ولم نكن نفكر في حاضرنا، اي في أموالنا التي تركناها وراءنا ولا على دراستي التي كانت أعز شئ عندي. ومن ذكرياتي الجميلة التي لن انساها: في احدى الليالي التي كان القصف المدفعي والمعارك الدائرة بين البيشمركة والقوات الحكومية في داخل المدينة على اشدها، كنت منهمكة في الدراسة لاداء الامتحان في مادة الهندسة، قالوا لي لماذا تشغلين نفسك بالدراسة، اذا أستمر القصف بهذه الكثافة، فلن تفتح المدارس ابوابها ناهيك عن الامتحان. فعملت بنصيحتهم وتركت المذاكرة. في اليوم التالي وبعكس التوقعات كان القصف أهون، فذهبنا الى المدرسة وطلبنا من مدرستنا تأجيل الامتحان بحجة عدم تمكننا من تحضير المادة كما يجب بسبب القصف في الليلة الماضية، فرفضت ذلك قائلة: ان القصف مستمر على مدار السنة، فاذا اعتبرنا القصف حجة مقبولة لتأجيل الامتحانات، فعلينا ترك الدراسة وهذا غير

ممكن. اذاً الحل الوحيد هو ان نكيف أنفسنا معه، فشرعت بقراءة الاسئلة، وعندما تسلمنا الدرجات كانت النتائج كئيبة للغاية، فقد سقط معظم التلميذات اما اللاتي اجتزن الامتحان، فقد كان ذلك بشق الأنفس وكانت درجاتهن في حدود الخمسين او اكثر بقليل، اما انا فقد نلت مائة بالمائة!

إننا لم نكن نفكر فقط في الماضي، بل حتى في المستقبل القريب ايضاً؛ فمثلاً لم نكن نفكر ماذا يحدث لنا او ألا يتوقع ان تأتي طائرة وتقضي علينا؟ لقد استنتجت من كل ذلك ان الدماغ في الأوقات العصيبة وتعاظم المخاطر تعطل معظم مراكزها عن العمل، كما يسد الناس الأبواب والشبابيك عند هبوب الرياح القوية او الاعاصير، ولاتبقى الا على المراكز الضرورية جداً لتمشية امورك كالسير والرؤية والسمع وما الى ذلك، فاذا بقيت جميع المراكز عاملة، فأنها تتلقى ضربات عنيفة تعجز عن مقاومتها ويصاب الانسان بالجنون وهذا اجراء وقائي للدفاع وللمحافظة على نفسه من التلف ولاادري مبلغ صحة هذا الرأي علمياً.

داومنا على السير الى اليوم التالي والذي يليه ايضاً كما داومت الطائرات العراقية بمختلف قنابلها الغازية وغير الغازية في ملاحقة المهاجرين الى ان وصلنا الى الحدود الايرانية ودخلنا اراضيهم، وهناك تم توزيعنا على (١٢) مخيماً سعة كل مخيم يتراوح بين الفين وثلاثة الاف خيمة.

قلت من قبل كيف تسبب ظلام الليل في تفرق اعضاء الاسرة الواحدة وخاصة الاطفال منهما وعدم عثور بعضهم على البعض الآخر. بعد استقرارنا في المخيمات لبضعة اسابيع، اخبرنا المسؤولون الايرانيون عن المخيمات بأنهم جمعوا اعداداً كبيرة من الاطفال التائهين وطلبوا من الذين فقدوا اطفالهم الذهاب الى اماكن تواجدهم للتعرف عليهم. وفعلاً تمكن البعض من العثور على أولادهم ولم يتمكن آخرون من ذلك، واغلب الظن أنهم لن يعثروا عليهم نهائياً كما انتظر بعض الاطفال ان يطالب بهم اولياء امورهم، ولكن لم يحصل ذلك لسبب بسيط لأنه لم يبق لهم اولياء امور حتى يطالبوا بهم لأنهم ماتوا جميعاً وهكذا بقى هؤلاء الاطفال مجهولي الهوية.

ظهر قبل بضعة أشهر شاب يعتقد انه (دياري) ابن بكر محمد وايرمان من السليمانية، كان طفلاً صغيراً وكان في زيارة عابرة الى حلبجة عندما وقعت الواقعة؛ عولج (دياري) في ايران، انه لايتذكر شيئاً هل هو (دياري) ام لا؟! يقول ذوه انه هو استناداً الى ملامحه واثار الجروح التي كانت على جسمه قبل فقدانه. فتأملوا عمق المأساة.

بعد ان تنهدت انسة (هەرمێ) تنهيدة عميقة قالت: هذه بعض ذكرياتي عن تلك الايام العصيبة.

س: انسة (هەرمێ) هل تسمحين بالقاء بعض الاسئلة عليك بهدف اغناء تلك الذكريات العجيبة.

ج: بدون شك تفضل.

س: مؤخراً يتهم الاعلام العراقي ايران على اساس انها هي التي قصفت حلبجة بالاسلحة الكيمياوية ماذا تقولين انت؟

ج: انا لم اسمع اي تصريح من مسؤول عراقي تبعد هذه التهمة عن العراق، بل بالعكس كانوا يتباهون باستعماله ضد ايران في حربهم معها وضد الكُرد. وقد اتانا عزت الدوري، نائب صدام الى السليمانية في خريف عام ١٩٩٠ ليحذرنا قائلاً: اذا كنتم قد نسيتم حلبجة، فأنا احب ان اذكركم بأننا مستعدون لتكرار العملية! ان الذين ينكرون ذلك هم ابواق الدعاية والمطبوعات التي يمولها العراق في خارج العراق الذين يدافعون عن جرائم صدام تحت ستار الدفاع عن الشعب العراقي. إن هذه الدعايات قد تنطلي على من هم خارج العراق اما نحن المتواجدون في مسرح هذه الجرائم فلا يثير مثل هذا الاتهام غير السخرية. ظهر مثل هذه الاتهامات الفارغة لايران، بعد ان استفاقوا وشعروا بهول الجريمة التي ارتكبوها بحق الكُرد والردود الدولية العنيفة وتأثيرها السلبي على الأمة العربية التي نصب البعث نفسه ناطقاً غير رسمي بأسمها.

س: كيف تقنعين قرائي بأن الفاعل هو العراق وليست ايران؟

ج: بأكثر من دليل:

١- من عادة الدول ومنها العراق اصدار بيانات احتجاجية عند كل خرق لحرمة اجوائها الاقليمية ولو لدقائق معدودة وعدد الطائرات والجهة التي قامت بالخرق وكذلك المكان الذي دخلت منه الطائرات الى اجوائها ومدة بقائها وساعة خروجها، حتى اذا لم تتعرض تلك الطائرات بسوء لسكان العراق او منشأتها ناهيك عن قتل وجرح عشرات الألوف بالأسلحة الكيمياوية. حسناً فليأتوا هؤلاء المدافعين عن صدام ببيان عراقي يحتج فيه على قيام السلاح الجوي الايراني بقصف مكان ما في العراق بالأسلحة الكيمياوية؟! لو قامت ايران بذلك لملأ العراق الدنيا صراخاً وعويلاً ولعرضت على العالم الضحايا، ولسجلت شكوى لدى هيئة الأمم المتحدة. أي دولة تسكت على جريمة كهذه، هل فعل العراق شيئاً من هذا القبيل؟ بدون شك كلا، بل بالعكس عندما كان جرحى الغازات السامة يلجأون الى المدن والمستشفيات للمعالجة، كان الأهالي تخفيهم، فلو علمت بهم الحكومة فانها كانت تعتقلهم وتقضي عليهم كما حدث لما يقارب من مئتي شخص من اهالي قرية (شيخ وسانان وباليسان) بمحافظة اربيل.

٢- لو كان القائم بالقصف هو غير العراق، لكان من المفروض ان تتوجه الأجهزة الصحية الى مكان القصف لمداواة الضحايا، لقد كانت الحكومة تأتي فعلاً، ولكن لا لأسعاف الضحايا، بل لتدمير مدينة حلبجة، بعد ان استعادتها فقد جعلت من عالي المدينة سافلها.

٣- عندما التجأنا نحن الى ايران اصدرت الحكومة العراقية عفواً عاماً عنا، تأملوا وكأننا مجرمون لا ضحايا ومن وصل بعد انتهاء مدة سريان العفو. ارسلتهم الحكومة الى معتقل (نقرة السلمان) او اماكن اخرى لم يعد منها معظمهم.

س: والآن يا انسة هل هناك مزيد من الأدلة على ان الجاني هو العراق وليست ايران؟

ج: ان الحكومة العراقية لم تشف غليلها من اهالي حلبجة، فبعد ان تركنا حلبجة مضطرين الى السليمانية والاماكن الاخرى، ظل اضطهاد الحكومة يلاحقنا، فمثلاً اصدرت تعليمات بعدم قبول طلبة حلبجة في المدارس! واخيراً وليس آخراً لو كان القائم بالقصف الكيمياوي هو السلاح الجوي الايراني، لماذا وقف السلاح الجوي

العراقي مكتوف الأيدي وقد اثبتت القوة الجوية العراقية في الحرب الايرانية– العراقية تفوقها الساحق على القوة الجوية الايرانية، لسبب بسيط، لأنها كانت تتدرب منذ ١٩٦١ على رؤوس الاكراد المساكين.

س: بكم تقدرين عدد الضحايا، يقولون خمسة الآف قتيل وخمسة عشر الف جريح.

ج: انه رقم واقعي وقد قام اثنان من ابناء حلبجة النجباء بتنظيم احصائية دقيقة بعدد القتلى والجرحى واعمارهم واجناسهم وسوف ينشرونها قريباً. وهناك مقبرة خاصة بضحايا القصف الكيمياوي لكل من يشك في عدد الضحايا يحق له عد شواهد القبور، مع اسماء الضحايا واعمارهم.

س: ماهو عدد اقربائك الذين قتلوا او جرحوا جراء القصف الكيمياوي وغير الكيمياوي في حلبجة؟

ج: من الصعب حصر عدد هؤلاء الاقرباء، فمدينة (حلبجة) شأن كل المدن الصغيرة، يرتبط الفرد بصلة القربى الى الجميع تقريباً، لأنهم قلما يتزوجون من الغرباء، على سبيل المثال ان الخمسين شخصاً الذين ماتوا في السرداب الكبير في الزقاق المجاور لزقاقنا كانوا جميعاً يمتون بصلة القربى الى والدي.

www.zheen.org

س: وعن اصدقائك؟

ج: من الذين يحضرني حالياً اسماؤهم: ناسك عمر، كان والدها مشهوراً بـ(عمر المصور)، وكانت صديقتي في المرحلة الابتدائية لم ينج من اسرتهم سوى اثنين ومن صديقاتي ايضاً في المرحلة الابتدائية (ئاشيان) مات جميع افراد اسرتها، وفي المرحلة المتوسطة كانت (بَنان) من اقرب صديقاتي، ارسلت مع شقيقها الى معتقل (نقرة السلمان) ولم يعودوا. انني لم التقْ بمعظم معارفي من الطالبات بعد القصف، ارجح الظن انهن متن ان لم يكن جميعهن فمعظمهن.

س: انك لم تحدثينا عن كمامتك ؟

ج: لأول مرة انتابتها ضحكة قصيرة قالت بعدها الم اقل لك أننا اصبنا بشلل في التفكير، الشئ الذي لم اتذكره في تلك المحنة كانت (كمامتي)، الا انني لم اتأسف

على ذلك كثيراً، فلو كانت كمامتي ذات جدوى – لبدائيتها– فأنها كانت نافعة ضد الغازات التي تؤثر على الجهاز التنفسي فقط، وتبين من القصف ان الغازات كانت على انواع شتى: تنفسية، اعصاب، حارقة..الخ ولله الحمد اننا لم نتعرض الى تلك الغازات بكثافة، وهو سرّ بقائنا على قيد الحياة وليست الكمامة.

س: وما هو عدد الاصابات بين اسرتك؟

ج: توفيت شقيقتي التي كانت تكبرني وكانت اسمها (حفصة) بعد القصف بمدة متأثرة بتلك الغازات وكانت طالبة جامعية. اما انا فانني عانيت من اصابة في عيني لقد كانت كبقعتين صغيرتين من الدماء. عولجت في ايران، وانني لا اعاني منها الا انني اصبت بداء في المفاصل لازلت اعاني منه ولم تفدني كل الأدوية التي تعاطيتها الى الآن.

س: الم يتخلف جنود عراقيون وماذا كان حالهم وما حل بهم.

ج: لقد تخلف فوجان تقريباً لقد كانوا في حالة يرثى لها كانوا يتسولون وكنا نعطف عليهم ونتصدق عليهم ونأويهم وكان حالهم في اثناء القصف كحالنا، لقد كانوا يخافون من الوقوع في اسر الجيش الايراني، لقد مات معظمهم جراء القصف الكيمياوي وغير الكيمياوي اما الجنود الايرانيون و(الپاسدار)، فقد كانوا مزودين بالكمامات الواقية من الغازات السامة.

www.zheen.org

س: الم تلتق بهم عندما كنتم في طريقكم الى ايران؟

ج: لا اتذكر انني رأيتهم في الطريق، وهذا يعني ان معظمهم ان لم اقل جميعهم قد ماتوا في اثناء القصف او ربما توجهوا نحو السليمانية، حيث الجيش العراقي لادري.

س: سرت اشاعة في حينه ان السبب الذي اطار العقل من رأس صدام ليرتكب ذلك العمل الاهوج، هو مشاهدته لفلم صوره الايرانيون عن الاستقبال الجماهيري الحاشد الذي حظى به الجيش الايراني من لدن اهالي حلبجة، عند دخولهم المدينة فاتحين، فأراد صدام الانتقام من اهالي حلبجة عقاباً على عملهم المذكور. ما مدى صحة تلك الاشاعة؟

ج: اولاً: لم يأت الجيش الايراني محرراً بل لمقاصد حربية تخصه والمحتلون بالنسبة لنا ملة واحدة سواء اكانوا عرباً ام فرساً ام اتراكاً لذلك، فأنهم ليسوا

موضع ترحيب من جانبنا. ثانياً: تشاءم الناس من قدوم الجيش الايراني، فقد توقعوا اجراءاً انتقامياً مضاداً رهيباً من صدام، ولم يستبعدوا القصف الكيمياوي لذلك ترك بعيدو النظر المدينة فور الاحتلال الايراني لها. اخيراً وليس اخراً أننا لم نكن نجرؤ على ترك (جحورنا) بسبب القصف الجوي المستمر للمدينة او يجتمع اثنان معاً في زقاق او شارع، فكيف جرى هذا الاستقبال الجماهيري الحاشد ؟!

لنفرض ان هذا الادعاء صحيح وقام اهالي حلبجة بنثر الزهور على الجيش الايراني، فهل هذا يبرر قصف مدينة بالسلاح الكيمياوي، وقتل خمسة الآف شخص في الحال، وجرح مايزيد على خمسة عشر الفاً اخرين؟! لو كان صدام حاكماً صالحاً وعقلانياً كان عليه عندما شاهد ذلك ان يعيد النظر في حساباته ويتساءل أين يكمن الخطأ. فليس من المعقول ان يرحب الكُرد بالغرباء المحتلين وقد قضى ثلاثة ارباع قرن وهو يعايش عرب العراق وهل يكمن الخلل فيه وفي نمط حكمه ام فينا، ومعالجة الامر على ضوء مايتوصل اليه من نتائج ومع كل ذلك ليس لتلك الاشاعة نصيب من الصحة على الاطلاق، وربما تطلق الحكومة هذه الاشاعات بهدف نشر غطاء مهلهل على جريمة ستبقى شاهداً على بربريتهم الى ابد الآبدين.

س: اذن ماذا كان الهدف من وراء قصف مدينة حلبجة؟

ج: الهدف واضح جداً ولالبس فيه وهو: افهامنا بمصير اية مدينة كُردية تقع في قبضة الايرانيين، فاذا اردنا ان نحافظ على بقائنا هو ان نوقف الايرانيين عند حدهم وعدم فسح المجال امامهم للتغلغل في كُردستان لقد كانت رسالته واضحة.

– نشكرك يا انسة (هەرمێ) لقد اتعبناك* .

---

* آنسة (هەرمێ) اصبحت سيدة بعد ان تزوجت وتعيش حالياً في احدى الدول الاوربية. ارسلها عام ٢٠٠١ فخامة رئيس الجمهورية جلال الطالباني بناءاً على رجاء من المؤلف للمعالجة من تأثير الغازات السامة التي تعرضت لها في اثناء القصف والى الآن تعاني من آثارها وهي مستمرة ايضاً على تعاطي العلاج.

– بل بالعكس انا الذي اشكرك لأنك اتحت لي فرصة لكي اتحدث عن محنة مدينتي حلبجة. (كتاب (عالم الكُرد المرعب) للمؤلف ص٤٣٩–٤٧٤).

الذي فهمناه من مذكرات (هەرمێ) أن الذين سلموا من الغاز او المصابين القادرين على السير، كانوا يتركون المدينة، وهم لايلوون على شئ. في مثل هذه الاوقات العصيبة، يفقد الانسان اهتمامه بكل شئ، فالشئ الوحيد الذي ينصب عليه اهتمامه، هو حياته ولاشئ آخر ولكن في اليوم الذي اعقب القصف استعاد الناس وعيهم وشرع قسم منهم مع افراد من (البيشمرگه) بالعودة الى المدينة، لتفقد احوال الناس والاقرباء واذا كان من الممكن عمل شئ من اجلهم. وعلى رأس هذه المهام دفن هذا العدد الهائل من الموتى.

إن دفن خمسة الآف ضحية وفق التقاليد الاسلامية المرعية أمر مستحيل، وعلى رأس هذه التقاليد، أن ينفرد كل ضحية بقبر مستقل، فهل هذا ممكن عملياً. هذا ممكن في الظروف الاعتيادية من توفر العمالة الكافية، ومتسع من الوقت، والظرف الملائم، أما هذا العدد القليل من المتطوعين، واحتمال تقدم الجيش لاحتلال البلدة او قصفها بالمدافع او الراجمات او الطائرات في أي وقت كان، إذاً ان القبر الجماعي هو الحل الامثل او الخيار الوحيد امامهم، وهذا مافعلوه! وقد فعلوا الشئ نفسه في الحربين العالميتين الاولى والثانية. وكل حرب عندما يكون عدد الجنود القتلى هائلة، وكذلك ضحايا الكوارث الطبيعية كالزلازل والعواصف العاتية والفيضانات وغيرها وهذا يعني أن من يحفر القبر الجماعي لايكون بالضرورة هو الجاني، فقد يكون الضحية ايضاً.

وهكذا لايعتبر القبر الجماعي جريمة بحد ذاته وإنما الجريمة هي التي ارتكبت بحق المدفونين فيه إن كانت هناك جريمة.

(٩)

حلّ لغز مهم

إن جريمة قصف مدينة (حلبجة)، بالاسلحة الكيمياوية في ١٩٨٨/٣/١٦ من قبل الطائرات العراقية واحدة من كبريات الجرائم التي ارتكبتها دولة ما ضد الانسانية، حيث مات في الحال خمسة الاف شخص دون تمييز جميعهم من المدنيين العزل، وقد شاهد المجتمع البشري عبر وسائل الاعلام المرئية مئات من جثث الضحايا متناثرة على الشوارع والازقة وداخل البيوت وفي وسائط النقل والطرق الخارجية عند محاولتهم الهروب. وربما هناك من يشك في العدد الى هؤلاء اقول: يمكنكم زيارة المقبرة واحصاء شواهد القبور وقراءة اسماء الضحايا المكتوبة على تلك الشواهد.

كما بلغ عدد الجرحى خمسة عشر الفاً؛ كثيرون منهم يحسدون القتلى لأنها لحظة عذاب وانتهت اما الجرحى؛ فأنهم يعانون من مضاعفات هذه الغازات السامة الى نهاية عمرهم، يعانون من التقرحات الجلدية المؤلمة او ضيق في التنفس والربو وكذلك العمى وضعف البصر وايضاً عاهات جسمية وتشوهات خلقية تجعلهم غير قادرين على السير او ممارسة اية مهنة تتطلب جهد عضلي وفيهم يعاني من الاختلال العقلي.

كما انتشر بين اهالي حلبجة امراض غامضة وانواع السرطانات، اكثر من المناطق التي لم تتعرض لهذه الغازات، وكذلك ظاهرة اسقاط الجنين عند النساء الحوامل والتشوهات الولادية، ولايعلم حتى منتجي هذه الغازات الى متى تستمر هذه الاعراض عند الاجيال اللاحقة.

www.zheen.org

استعمال السلاح الكيمياوي في الحروب ليس بالامر الجديد، فقد استعمل بكثرة في الحرب العالمية الاولى ولكن ضد الجنود في جبهات القتال وليس ضد المدنيين. الجندي مزود بالكمامات لتنقية الغازات والبسة واقية خاصة ضد الغازات وكذلك ادوية مضادة لتخفيف فاعليتها عند الاصابة بها، كما انهم مدرّبون على كيفية الوقاية من شرّها. اما المدنيون –كسكان حلبجة– فهم كانوا يجهلون كل شئ عن هذه الغازات ومحرومون كلياً من كل وسيلة تحميهم من تأثيراتها، لهذا فأنه امر طبيعي ان يقتل ويجرح هذا العدد الهائل، فهي سابقة لم يحدثنا التأريخ عنها عبر القرون والاجيال.

لزم صدام حسين جانب الصمت المطبق ازاء الجريمة وهذا امر طبيعي، ولكن يظهر انه شعر بهول ما ارتكب بعد ان احدثت جريمة حلبجة صدمة مروعة في المجتمع الدولي، فبحث عن حل لاخراجه من هذه الورطة فتفتقت ذهنيته عن حل لابأس به وهو اتهام الحكومة الايرانية بارتكاب هذه الجريمة، فهي دولة تمتلك ايضاً كالعراق السلاح الكيمياوي وان حربه معها تحتفل بعيد ميلادها للعام الثامن وأيم الحق انه حل مثالي لولا نقطة ضعف (صغيرة) وهي: لماذا لزم صدام جانب الصمت ازاء هذه الجريمة المروعة التي هزت الضمير العالمي ولم تسجل شكوى لدى المنظمات الدولية المعنية واستغلال ذلك لتأليب الرأي العام العالمي على ايران. ان فرصة كهذه لن تتكرر في كل حرب. في الوقت الذي تحتج العراق على انتهاك مجالها الجوي من قبل الطائرات ولو بطريق الخطأ مبيناً مكان الدخول ومدة البقاء في الاجواء العراقية ومكان الخروج ونوع الطائرات واعدادها والخ بينما اثر السكوت على عشرات الطائرات المغيرة وعشرات الطلعات الجوية والقاء مئات القنابل التقليدية والكيمياوية وقتل وجرح خمسة وعشرين الف شخص!! كان على صدام ان يعطي جواباً مقنعاً قبل طرح هذا الحل.

اتهم المتهم (طارق عزيز) الذي كان وزيراً للخارجية العراقية في اثناء قصف مدينة حلبجة، امام المحكمة الجنائية الثانية، (ايران) ايضاً بقصف مدينة حلبجة

مدعياً ان العراق لايملك هذا النوع من الغازات السامة التي استعملت في القصف، وقد عبر كل من رئيس المحكمة وكذلك محامو ذوي الضحايا عن قصور كبير في الاستجواب والمناقشة عندما لم يسألوا طارق عزيز: لماذا لم يسجل شكوى وهو وزير خارجية ضد ايران في المحافل الدولية؟ وبهذا كانوا يحلون لنا لغزاً كبيراً وهو سرّ احجام العراق عن اتخاذ مثل هذه الخطوة؟ ولكن ظهر مؤخراً مصدراً القى بعض الضوء على هذا الركن المظلم. والمصدر هو كتاب بعنوان (صدام حسين من الزنزانة الامريكية: هذا ماحدث) بقلم المحامي (خليل الدليمي) رئيس هيئة الدفاع عن المتهم (صدام حسين) امام المحكمة الجنائية العليا. ويدعي المؤلف بأن صدام حسين هو الذي املى عليه شطراً من مذكراته هذه عند زياراته له في معتقله. يستنتج القارئ من كلام صدام حسين حول هذه المسألة، انه هو الذي ارتأى عدم سلوك طريق الشكوى وبالطبع ان كلمة الدكتاتور هي العليا على الدوام.

يظهر من اقوال المؤلف أن (رمزي كلارك) المحامي الامريكي الذي كان من ضمن هيئة الدفاع عن صدام حسين امام المحكمة الجنائية العليا، اقترح على صدام تقديم طلب لمحاكمته امام محكمة دولية، فرفض صدام اقتراحه، وانني الآن انقل لكم نص ماقاله صدام في تبرير رفض اقتراح رمزي كلارك، كما نقله لنا خليل الدليمي والعهدة عليه. ومن هذا الرفض نستنتج لماذا لم يقدم العراق شكوى لدى المحافل الدولية ضد ايران لقصفه مدينة حلبجة بالسلاح الكيمياوي حسب زعم العراق.

قال صدام: ((أنني اعرف انسانية الاستاذ (رمزي كلارك) وزملائه المحامين الشرفاء ومساعيهم لانقاذ حياتي ولكنني لااريد انقاذه بهذه الطريقة، وقد أديت واجبي والحمد لله، وافضل ان يموت صدام بيد العدو من ان يعيش الف سنة. وهذا ما اتمناه فالحسين عليه السلام، توفاه الله في كربلاء ولانه مات مظلوماً فأنه يعيش حتى الآن في قلوب ملايين الناس، والمظلوم يعيش في قلوب الناس وليس الظالم. والحسين جدنا وكما يقول اهل الدليم –اذا صدكت الجدّات– حتى المحامي خافيير

حين عرض علّي في إحدى الجلسات رفع دعوى ضد ايران لدورها في مأساة بلدة حلبجة، فأنني رفضت قائلاً لقد علّمنا اجدادنا ان لا نشتكي من احد، لأن التشكي وفقاً لعادات اجدادنا امراً معيب وعلى هذا الاساس توارثنا ذلك وليس من صفات صدام حسين مقاضاة احد، وقد سبق وان رفضت مقاضاة صحيفة (الصن) لاسأتها لحقوقي كأسير حرب)) (ص٢٧٠).

واخيراً بعد ثمانية عشرة سنة من كارثة مدينة (حلبجة) فتح (ابو الهول) –أي صدام– فمه ليزيح لنا الستار عن السرّ الذي ظل يشغل بال الرأي العام العراقي والعالمي وهو: لماذا لم تسلك الحكومة العراقية طريق الشكوى ضد ايران لدى هيئة الأمم المتحدة او احدى المحاكم الجنائية الدولية طالما يتهمها بأنها هي التي تقف وراء قصف مدينة حلبجة بالسلاح الكيمياوي؟.

وبعد ازاحة الستار وقراءة السرّ اصبت بالصدمة لتفاهة السبب وغرابته فهل يعقل ان يكون السبب تقاليد اجداد صدام حسين في اعتبار الشكوى امراً معيباً يحط من شأن المشتكي؟!

فيما يتعلق بقضية صحيفة (الصن) لاساءتها لحقوق صدام كأسير حرب تعتبر مسألة شخصية له ان يتبع بشأنه تقاليد اسرته او العرف الدولي او أية قيم اخرى، اما قتل خمسة الاف مواطن في الحال وخمسة عشر الف جريح ليست مسألة شخصية حتى يطبق بشأنه معتقدات الاسرة، كان عليه ان يتصرف كرئيس جمهورية ورئيس مجلس قيادة الثورة والمسؤول الاول في القيادة القطرية لحزب البعث والقائد العام للقوات المسلحة وما تمليه عليه المسؤوليات الرسمية لهذه المناصب أسوة بأقرانه في الدول الاخرى.

ان ما أعتبره اجدادي معيباً هي التي كانت تتعلق بسرقة نعجة او دين تافه، اما اذا قتل وجرح منهم هذا العدد الهائل، فهل يجدون سلوك طريق القضاء معيباً ايضاً. ينطبق على صدام المثل القائل ((سكت دهراً فنطق كفراً))، هل بلغ

السذاجة بصدام حداً حتى اعتقد بأن الناس يصدقون هذا المبرر التافه؟ ان السبب الحقيقي واضح وضوح الشمس وهو: امتناعه عن الشكوى هو تخوفه من تشكيل لجان تحقيقية دولية تستعين بتقنيات متطورة منها الاقمار الصناعية التي تصور كل صغيرة وكبيرة ليلاً ونهاراً وعلى مدار السنة يريه عدساتها كيف ان الطائرات العراقية كانت تقلع من المطارات العراقية وتقصف مدينة حلبجة. ويجب ان لاننسى تقديم الشكر والامتنان للمحامي خليل الدليمي الذي القى بكتابه الآنف الذكر بعض الضوء على شخصية صدام ومعدنه الردئ، من حيث لم يشعر وأعيد الى ذاكرتكم مرة اخرى حكاية الدب مع صاحبه.

بنكەی ژین
www.zheen.org

بنکەی ژین
www.zheen.org

(١٠)

نموذج اخر للقصف الكيمياوي

للتدليل فقط

لأن العراق كان في حرب مع الجمهورية الاسلامية الايرانية فقد اتاح له ذلك فرصة اتهام ايران بقصف مدينة حلبجة. ولكن ماذا يقول صدام حسين بخصوص عشرات القرى الكُردية التي قصفت من قبل العراق بالسلاح الكيمياوي؟! انني الآن اختار لكم قرية واحدة من تلك (العشرات) ولمن يريد الاستزادة في موضوع استهداف القرى بالسلاح الكيمياوي، يراجع القسم الخاص باستعمال السلاح الكيمياوي ضد المدنيين العزل في القرى الكُردية من (ص ٣٩٩-٥٠٨) من كتابنا الأنف الذكر (عالم الكُرد المرعب).

محدثنا هذه المرة هو المحامي السيد (مصطفى العسكري)، نشأ الاستاذ العسكري -كما يدل على ذلك لقبه- في قرية (عەسكەر) المجاورة لقرية (گوپ تەپە) واهالي القريتين ان لم يكونوا من اقربائه، ففيهم كثيرون يعتنقون (طريقة حقه) الصوفية التي ترجع في أصولها الى الطريقة النقشبندية ويدينون بالولاء لشيوخ اسرة العسكري، فهم الذين تولوا ارشادهم وتعليمهم اصول دينهم الاسلامي الحنيف وطريقتهم وحتى امور دنياهم وكلنا نعلم مدى تعلق المريدين بشيوخهم ومدى حب وتقدير الشيوخ لمريديهم.

يقول الاستاذ (عسكري): ان الذي أكتبه الآن ليس بموضوع أدبي من بنات الخيال انها احداث واقعية شاهدتها بأم عيني، أصفها لكم بأكبر قدر من الدقة والأمانة دون مبالغة، أضعها تحت أنظار الذين يهمهم مصير شعب يتعرض بأعلى وتائر البربرية والتوحش الى الابادة الجماعية.

نشر العسكري مشاهداته باللغة الكُردية في مجلة (بيوار) عدد (٢٢) الصادر في شهر حزيران من عام ١٩٩٨، وانني استميحه العذر اذا اقتصرت ترجمتي على عرض وترجمة المعلومات المنصبة على واقعة القصف الكيمياوي لقريتي (گوپ تەپە) و(عەسكەر) دون الموضوعات الجانبية لضيق المجال.

بحلول شهر اذار –القول للعسكري– من عام ١٩٨٨ سرت اشاعات عن قيام الجيش والجاش* بشن حملات يدعونها بالانفال وكيف اجتاحت تلك الحملات منطقتي (قرەداغ) و(سنگاو) وقسم من منطقة (گرميان) دمرت جميع القرى التي وقعت في طريقها تدميراً تاماً وقصفت بالسلاح الكيمياوي بعض منها ونهبوا مواشي وممتلكات الفلاحين وقاموا بسوق اهاليها الى أماكن مجهولة لايعرف عنها شئ.

لقد كان لتلك الاخبار الرهيبة وقعاً مدمراً علينا، بحيث سلبتنا الراحة وحتى النوم وكنا نتوقع، اذا استمر الوضع على تلك الشاكلة، ان تنبش تلك الحملات مخالبها في احشاء القرى التي يسكنها اقربائنا ومريدونا ومعارفنا في منطقة (اغجلر) وغيرها ان عاجلاً او اجلاً. وفعلاً تحقق ظننا، ففي صبيحة يوم ١٩٨٨/٥/٤ وصل الى السليمانية –وكنت آيامئذ أسكن هناك– نبأ قصف قريتي (عَسكر) و(گوپ تبه) و(چەمی ڕیزان) بالأسلحة الكيمياوية، وانفال من تبقى منهم على قيد الحياة، وهي الأماكن التي يتواجد فيها معظم اقربائنا ومريدينا.

كنت خارج الدار وأثر تلقى الخبر رجعت فوراً الى البيت، فوجدت أطفالي يبكون بحرقة لقد عزمت على اخفاء الخبر عنهم الى ان ينجلي الوضع وأجنبهم ذلك الهم الكبير الى حين، ولكن ظهر ان الخبر قد وصل اليهم ايضاً. قلت للأطفال اين هي

---

* كلمة الجاش ترخيم كوردي لكلمة الجحش اي صغار الحمير، هكذا كانت العامة تدعو القوات غير النظامية –اي ميليشياة– افرادها من الكُرد يقاتلون بجانب القوات الحكومية ضد بني جلدتهم الكُرد، احتقاراً لهم. أسست هذه القوة لأول مرة عام ١٩٦٣ في فترة حكم البعث الاول باسم (فرسان صلاح‌الدين) بعد ذلك تغير هذا الاسم في فترة حكم البعث الثاني عام ١٩٦٨ الى افواج الدفاع الوطني ويدعون رؤوسائهم بالمستشارين، اي الجحش القديم ولكن ببردعة جديدة.

والدتكم؟ اجابوا انها ذهبت مع بعض الاقرباء الى مجمع (تەكيه) وهو مجمع قسري يقع في منتصف طريق (سليمانية– كركوك) ويتفرع منه غرباً طريق (آغجلر) مسرح العمليات، وقالت احدى بناتي: بابا يقال ان اسرة خالي لم ينج منها احد، لقد ماتوا جميعاً بالغازات السامة واجهشت بالبكاء.

ذهبت فوراً الى مجمع (تەكيه) وفي المجمع عدد غير قليل من اقربائنا ومريدينا ممن رحلوا من القرى الاخرى. عندما التقيتهم – وكان معظمهم من قرية (قەلا-سيوكه) وجدتهم في حالة كرب شديد لاتوصف، الا انهم كانوا يخفون مشاعرهم خوفاً من ان يعلم بها أزلام السلطة.

إن المعلومات التي نقلها الناجون من الحملة من الذين التجأوا الى المجمع، كانت كالاتي: من نجوا من القصف الكيمياوي سلك قسم منهم طريق (كانى شەيتان)، فوقعوا في قبضة الجيش والجحوش، واتجه قسم اخر منهم الى جبل (خالخالان)، وقع معظم هؤلاء ايضاً في قبضة الجيش اما البقية فقد تفرقوا في شعاب ووديان (مام رەش) و(شيوەسور)، كما تمكن عدد من الفارين من عبور نهر (زي) والوصول الى قرية (كاني بي) في منطقة (كويسنجق).

كما علمت بوصول احد الأطفال الى المجمع، الا ان حالته كانت سيئة، فقد أثر الغاز كثيراً في عينيه وأذنيه وفمه وانفه، كما أرسل أخته مع امرأة من اسرتنا وابنة احد المعلمين الى مستشفى (چمچمال) للمعالجة.

سألتهم كيف وصل هؤلاء الأطفال الى المجمع؟ قالو: عند وصول جحوش منطقتنا الى قرية (گوپ تپه) وجدوا هؤلاء الاطفال وهم هائمون على وجوههم ومصابون بالغاز، بعد أن مات ذووهم، التقطهم الجحوش واوصلوهم الى هنا خفية.

لقد تباحثنا في الليل طويلاً حول مانفعله في الغد بشأن تلك الكارثة التي حلت بنا وهل هناك شئ يمكن عمله لهؤلاء التعساء من اهالي القريتين المنكوبتين. ؟ فأجمع الكل على ضرورة الذهاب غداً، ان امكن الى القريتين مهما كلفنا ذلك من ثمن. لقد كان الذهاب الى هناك مغامرة محفوفة بالمخاطر، ولكن المخاطر كانت آخر

ما تخطر على بالنا، ففي نكبات كهذه تصبح الحياة من التفاهة بمكان بحيث لاتستحق ان يحيا الانسان من اجلها.

لقد كانت الليلة التي اتخذنا فيها ذلك القرار ليلة ليلاء لانهاية لها، كانت اطول ليلة مرت بي في حياتي، لايضاهيها في الطول الا ليالي المرضى والسجناء في زنزاناتهم الانفرادية. بحلول النهار شرعنا بالسفر، لقد رأينا على امتداد الطريق دبابات ومصفحات وسيارات حمل عسكرية وجحوش منطقة السليمانية وكركوك وكذلك القادمين من منطقة (بادينان) يحتلون قمم الجبال والتلول. عندما وصلنا الى مرتفع (قەيماسه) شاهدنا دخان القرى المحترقة يرتفع الى عنان السماء. كما صادفنا اكثر من مرة جحوشاً يسوقون امامهم قطعان المواشي المنهوبة وسيارات عسكرية (لوري) مشحونة حتى سقوفها بممتلكات الفلاحين المنقولة.

واخيراً وصلنا الى ماكانت تدعى قبلاً بقرية (گوپ تەپه) ذات (٣٥٠) داراً، لم تبق واحدة منها قائمة لقد سويت جميعها مع الارض! شاهدنا في القلعة بعض الجنود واخرين يحرسون فوق التلول المحيطة بالقرية، اما الجحوش، فقد كانوا منهمكين في شي اللحوم وتهيئة الاطعمة! جلب نظرنا اكوام ترابية متفرقة لم ندرك كنهها للوهلة الاولى، وتبين لنا بعد ذلك انها تخفي تحتها مجاميع من الضحايا اهالت الجرافات التراب عليهم ربما للتخلص من مناظرهم المخيفة. كما انتشرت في طول القرية وعرضها جثث الحيوانات المنفوقة من الماشية والكلاب والقطط والدواجن وغيرها ماتت بدورها من تأثير الغاز وتفوح من جثثها المتعفنة روائح كريهة تصيب الانسان بالدوار والغثيان والتقيؤ.

عثرنا على عدد من الجثث في الحفر والانفاق المعدة كملاجئ اثناء الغارات الجوية، وفيهم من القي بنفسه في حوض المسجد ليطفئ ضمأه او لصب الماء على اجسامهم المحترقة. وقعت معظم القنابل على القرية مباشرة او على مقربة منها، باستثناء واحدة اخطأت الهدف، فوقعت في النهر وكانت تشاهد في قاعه، ولولا ترك

معظم الاهالي القرية في الصباح الباكر وذهابهم –كما هو دأبهم– الى المزارع للعمل فيها، لأصبح عدد الضحايا اكبر من ذلك بكثير.

اذاً يجب ان نلقي نظرة على المزارع والدور الصيفية المؤقتة التي يصنعونها من جذوع وفروع الأشجار ويعرف بـ(سيباط). رجونا من الضابط المكلف بحراسة تلك المنطقة ان يسمح لنا بالذهاب الى هناك، فلم يوافق في البداية وحجته في ذلك هي المروحيات التي كانت تجوب سماء المنطقة على علو منخفض لملاحقة الفارين وانها كانت مكلفة باطلاق النار على كل هدف متحرك. قلنا له نحن الذين يقتلون ولست انت، اننا نتحمل كامل المسؤولية فيما يحصل من نتائج واخيراً رضخ لطلبنا.

عثرنا عل جثة (١٦) شخصاً، يظهر انهم حاولوا الوصول الى الجدول، فلم يتمكنوا فوقعوا على وجوههم فوق حافة الجدول، لقد سالت الدماء من عيونهم وآذانهم وافواههم. وانوفهم كانت وجوههم وايديهم وارجلهم مزرقة. كما شاهدنا عدداً اخر في مزارع الحنطة والباقلاء، حاولت هذه المجموعة الوصول الى النهر، فلم يتمكنوا هم ايضاً من الوصول كمجموعة الجدول. حاولنا سحب الجثث من الوادي، الا اننا لم نتمكن، قال لنا الضابط: اسرعوا فليس في الوقت متسع، لقد عثرنا على سرداب في باطن الارض يسمى (زاخه) يستعمل لترطيب أوراق التبغ تمهيداً لكبسها في البالات، فسحبنا الجثث الى هناك وغطيناها بالاعشاب، وهذا كل ما تمكنا ان نفعله من اجلهم. لقد شاهدنا امرأة ميتة وبجوارها مهد لطفل رضيع خال، فقلنا لابد ان احدهم قد اصطحب الطفل معه، وقد تحقق ظننا فقد اخذه احد الجحوش وتمكننا بعد ذلك من العثور عليه واسترجاعه.

لم نتمكن من الوصول الى قرية (عەسكەر) وعلمنا بعد ذلك ان خسائرهم في الأرواح كانت قليلة مقارنة بخسائر قرية (گوپ تەپە)، لأن معظم اهاليها تركوا القرية قبل قصفها بالسلاح الكيمياوي لذلك لم يمت بالغاز سوى ستة أشخاص، كما أنفل منهم عدد اكبر، ويقدر (العسكري) قتلى قرية كوبتبه ممن عاينهم شخصياً بـ (١٥٠) فرداً. ان أهمية شهادة (العسكري) تكمن في مشاهدته للضحايا قبل ان تتجمد

دماؤهم وتنقشع ابخرة الغازات السامة ودخان، الحرائق وهي فرصة نادرة لم تتح الا لقلة قليلة من الناس.

التقيت الاستاذ (عسكري) فيما بعد وأبديت له استغرابي كيف سمح لهم الجيش في ارتياد منطقة العمليات في ذلك الوقت المبكر. وقد قلت له ان الجيش يمنع المواطنين من ارتياد حتى الأماكن المباحة للعامة، ورويت له كيف تعطلت سيارتنا على الطريق الخارجي، ولم تكن تبعد عن احد المقاهي سوى بضع مئات من الامتار، فقلنا للسائق: اننا نذهب الى المقهى مشياً على الأقدام وطلبنا منه اللحاق بنا بعد تصليح السيارة، وماكدنا نبتعد بضع خطوات حتى سمعنا عدداً من الاطلاقات، صادرة من ربيئة للجيش فوق قمة تل مرتفع تشرف على الطريق. في البداية اعتقدنا ان لاعلاقة لنا بتلك الاطلاقات، وتبين لنا بعد ان صاح بنا بلهجة قاسية طالبا منا العودة الى السيارة، وان تلك الاطلاقات كانت لجلب انتباهنا، فأمتثلنا لأمرهم. حدث هذا في مرحلة الشريط الحدودي، اي كانت معظم القرى قابعة في اماكنها، فكيف سمح لهم بارتياد تلك المنطقة في ذلك الظرف الدقيق؟.

قال الاستاذ العسكري: هذه الملاحظة واردة. أننا توسطنا لدى مستشار متنفذ للجحوش من معارفنا وتوسط هو بدوره ايضاً لدى قائد منطقة العمليات وكان ضابطاً برتبة كبيرة، فزودنا بورقة منع تعرض. إن انسى فلن انسى منظر الاستاذ العسكري عندما القى كلمته بمناسبة اقامة نصب تذكاري لضحايا قريتي (عەسكەر وگوپ تەپە) ويروي للحضور مشاهداته الآنفة الذكر لقد كانت دموعه تنهال مدراراً من مقلتيه طيلة المدة التي استغرقتها كلمته.

بعد اجراء تحقيق دقيق في عدد ضحايا استعمال السلاح الكيمياوي في قريتي (عەسكەر وگوب تەپە) تبين مايأتي:

في قرية (عسكر) بلغ مجموع الذين ماتوا جراء قصف قريتهم بالسلاح الكيمياوي ستة أشخاص وهكذا كان السيد العسكري دقيقاً في تقديره، وبلغ عدد المؤنفلين في نفس القرية (١٥٩)، ذهبوا هم ايضاً دون رجعة اما بالنسبة لقرية گوب

تەپە، فقد كان عدد الذين ماتوا من الغازات (١٠٦) فرداً وليس كما قدره السيد العسكري بـ(١٥٠) فرداً، اما المؤنفلين من نفس القرية فقد بلغ (٢٥٦) فرداً، لايعرف الى الآن اين مثواهم الاخير. اسماء هؤلاء الضحايا واعمارهم وهل هم ذكر او انثى مذكور في كتابنا الموسوم بـ(عالم الكُرد المرعب، ص٤٠٦-٤٣٠).

والآن ماذا تقول الحكومة العراقية البعثية بخصوص قصف هذه القرى بالسلاح الكيمياوي مع عشرات القرى؟ هل هو ايران ايضاً كما كانت تدعى بالنسبة لحلبجة.

بعد الانتفاضة وفشلها والهجرة الكُردية المليونية الى دولتي ايران وتركيا التي اعقبت فشل الانتفاضة ومن ثم اقرار الملاذ الآمن على غرار المحميات التي تخصص للحيوانات المهددة بالانقراض، شرع الناس بالبحث عن هذه القبور الجماعية للتعرف على احبائهم حتى يدفنوهم حسب التقاليد.

بنكەی ژین
www.zheen.org

بنکەی ژین
www.zheen.org

(١١)

تعريف القبر الجماعي

الآن حان أوان صياغة تعريف للقبر الجماعي، بعد أن تعرفنا على موصفاته من خلال النماذج التي عرضناها عليكم. ونحاول جهد الأمكان أن يأتي التعريف متكاملاً، أي كما يقال (جامعاً مانعاً). سبقنا الى هذا التعريف القانون رقم (٥) لسنة ٢٠٠٦ أي قانون (حماية المقابر الجماعية).

أرى من الأنسب لنا إتخاذ هذا التعريف كأساس لتعريفنا المأمول ونذكر مالنا من مآخذ عليه ومن ثم نصوغ تعريفنا على انقاض ذلك التعريف. ورد هذا التعريف في الفقرة (ثالثاً) من المادة الثانية من القانون المذكور وهو كالآتي:

الأرض أو المكان الذي يضم رفات أكثر من شهيد، وتم دفنهم أو اخفاؤهم على نحو ثابت دون اتباع الأحكام الشرعية والقيم الأنسانية الواجب مراعاتها عند دفن الموتى وبطريقة يكون القصد منها اخفاء معالم جريمة إبادة جماعية يقوم بها فرد أو جماعة أو هيئة وتشكل أنتهاكاً لحقوق الأنسان.

لنا الملاحظات الآتية على هذا التعريف:

١. جاء في التعريف أعلاه (الأرض أو المكان) الكلمتان ليستا مترادفتين، فالمكان أعم من الأرض أي ليس بالضرورة أن يكون أرضاً، فقد تكون طائرة أو سفينة أو غيرهما، بينما أمكنة القبور الجماعية هي الأرض حصراً. أغلب الظن أن واضعي هذا القانون كانوا يقصدون (مكان على الأرض) إلاّ أن التوفيق قد جانبهم في التعبير، فأذا كان الأمر كذلك فإن أدق تعبير هو (بقعة أرض).

٢. ((الذي يضم رفات أكثر من شهيد...))، إذا أوردنا تعريفاً مجرداً للقبر الجماعي، فليس بالضرورة أن يكون المدفونون شهداء، فقد يكونون من

الأشخاص العاديين الذين لا ينطبق عليهم وصف الشهيد، ومع ذلك لا يغير من وصف القبر من كونه قبراً جماعياً ولكن يمكن إيجاد عذر مشروع طالما يربط القبر الجماعي بالنظام البعثي، كما جاء في الأسباب الموجبة للقانون حيث يقول: لغرض تسهيل مهمة البحث عن المقابر الجماعية التي أقترف جرائمها النظام البائد. شرع هذا القانون.

إذاً كان من المفروض أن تأتي العبارة كالآتي: الذي يضم رفات أكثر من شخص. أما كلمة الشهيد بدلاً من الشخص، فلها خصوصية عراقية لأن ضحايا النظام البعثي هم شهداء بلا جدال، لأنهم كانوا إما أبرياء أو قارعوا الظلم.

٣. (تم دفنهم أو اخفاؤهم) الأكتفاء بكلمة الدفن وحدها أصح في نظري، لأن الدفن يكون في الأرض وخاصةً بالأموات، بينما الأخفاء قد يأتي بالنسبة للأحياء قد يكون في قطار أو طيارة أو سرداب.

٤. لنستمر في سرد التعريف: (على نحو ثابت دون إتباع الأحكام الشرعية والقيم الأنسانية الواجب مراعاتها عند دفن الموتى وبطريقة القصد منها إخفاء معالم جريمة إبادة جماعية يقوم بها فرد أو جماعة أو هيئة وتشكل إنتهاكاً لحقوق الأنسان).

www.zheen.org

لي وقفة على الأبادة الجماعية حيث ورد على سبيل الحصر، وماذا بشأن جرائم الحرب التي أرتكبتها الحكومة البعثية عند معاركها مع البيشمركة والمقارمة الشيعية في الأهوار وما أرتكبتها الحكومة خلالها من جرائم الحرب وجرائمها ضد الأنسانية، كما في الأنتفاضة الشعبانية وحتى الجرائم التي لا تندرج تحت أوصاف الجرائم الثلاثة المذكورة والذين تم دفن معظمهم في القبور الجماعية؟. إذاً علينا أيضاً ذكر هذين النوعين من الجرائم أو لا نذكرها جميعاً ونكتفي بكلمة جريمة فقط.

جرائم الأبادة الجماعية (جينوسايد) والجرائم ضد الأنسانية وجرائم الحرب هي ما تعرف بالجرائم الدولية، ولكن معظم جرائم حزب البعث في قتل

المواطن قد لا تندرج تحت أية من هذه الجرائم، ومع ذلك تم دفن ضحاياها في قبور جماعية. أما إذا أكتفينا بكلمة الجريمة وحدها، فأنها ستكون شاملة للجرائم الدولية وغير الدولية.

٥. وأخيراً عبارة (يقوم بها فرد أو جماعة أو هيئة) الفرد والجماعة كلمتان مفهومتان أما الهيئة فهي على شيء من الغموض، فلو أضيفت اليها كلمة رسمية، أي بمعنى السلطة وهنا السلطة البعثية دون غيرها لزال بذلك هذا الغموض. وقد يعترض على البعض على هذا التخصيص، والقوانين كما نعلم تعالج قضايا شمولية فقد يظهر في المستقبل قبوراً جماعية من صنع جماعات غير البعث. أنا مع هؤلاء البعض ولكن ما العمل والأسباب الموجبة لهذا القانون قد حصرته بالنظام البعثي والذي تنعته –أي الأسباب الموجبة– بالنظام البائد! والذي تنص: لغرض تسهيل مهمة البحث عن المقابر الجماعية التي أقترف جرائمها النظام البائد. شرع هذا القانون.

لو كلفت أنا بصياغة هذا التعريف لصغتها كالآتي: بقعة من الأرض غير معلمة تضم رفات أكثر من شهيد من ضحايا نظام البعث بقصد إخفاء جريمته بحق المدفونين في القبر دون إتباع المراسيم الشرعية والأجتماعية التي تليق بإنسانيتهم.

وذكر النظام البعثي مهم لسببين: الأول لأن أية حكومة منذ تأسيس الدولة العراقية في عشرينيات القرن الماضي لم ترتكب مثل هذه الموبقة سوى النظام البعثي، والثاني لأن القانون قد ألصق حصراً هذه الجريمة بالنظام البعثي.

هذا التعريف، يمكن وصفه بأنه تعريف محلي خاص بالعراق. أما إذا اردنا أن نعرف القبر الجماعي تعريفاً عاماً نقول: بقعة ارض، تضم رفات اكثر من شخص قد يكون معلمة كقبر جماعي أو غير معلمة بقصد اخفاء معالم جريمة ارتكبت بحق المدفونين، بدون اتباع المراسيم الدينية والاجتماعية عن عمد أو اضطرار.

يختلف هذا التعريف من جوانب عديدة عن التعريف الذي سبقه، من ذلك انه لايذكر حزب البعث أو الشهيد أي خصوصية الجاني والمجني عليه، أي أنه تعريف شامل. ومن الجائز أن القبر الجماعي لايكون المدفونين فيه ضحايا جريمة مثل الحروب والكوارث الطبيعة، ويكون الدفن في هذه الحالة اضطراراً وليس لاخفاء معالم جريمة كما في حالة الجريمة ويمكن أن يقال نفس الشئ بخصوص المراسيم الدينية والاجتماعية.

(١٢)

الانتفاضة الشعبانية

حدثت في الأيام الأولى من شهر (آذار، مارس) لعام ١٩٩١ انتفاضة عارمة في العراق، اندلعت اولى شراراتها من مدينة (البصرة) في اقصى الجنوب ولكن سرعان ما انتشرت في جميع المحافظات العراقية، كما تنتشر النار في الهشيم. ولأن الانتفاضة صادفت شهر شعبان في التقويم الهجري فقد اشتهرت بين العامة بالانتفاضة الشعبانية. لكل حرب او ثورة او انتفاضة او مظاهرة او أي انفجار جماهيري اسباب، منها غير مباشرة، أي نائمة تتراكم بمرور الزمان تنتظر سبباً مباشراً حتى تنفجر كالصعقة التي تفجر حزمة من الديناميت.

لم تستثن الانتفاضة الشعبانية من هذه القاعدة، ولكن قبل ذكر هذه الاسباب أود أن أوضح للقارئ امرين، الأمر الأول هو: في الانظمة الديكتاتورية الرعية دائماً تكون على خطأ وهم اما خونة او جواسيس او عملاء للاعداء، في كل معارضة لهم لإرادة الديكتاتور الفاسدة. والأمر الثاني أن المسؤولين مهما علت مراكزهم، عليهم ان لايتفوهوا في حضرة الديكتاتور الا بكلمة نعم أو احسنت، لان الديكتاتور هو الوحيد الذي يكون دائماً على صواب، أما البقية فهم على ضلال. ولو كان الأمر بخلاف ذلك، والويل لمن يخالفه في الرأي والاجتهاد، هذا هو ديدن الديكتاتور منذ بدأ الخليقة والى صدام حسين أو من يأتي على شاكلته في قادم الأيام.

وهكذا فلا غرابة أن تنعت الانتفاضة الشعبانية على الصعيد الرسمي (بحوادث الشغب) و (صفحة الغدر والخيانة). ولكن هذا لايمنع الديكتاتور من أن يعطى خاصته (الأمان) في بعض الأحيان ليعبروا بحرية مطلقة عن رأيهم في الاحداث الخطيرة التي تقع في مملكته كالانتفاضة الشعبانية مثلاً والتي كادت ان تطيح به.

يعتقد البعض ممن يجهلون عقدة الديكتاتورية عند بعض الحكام، أن عمل الديكتاتور هذا نابع من نية نزيهة وأنه اتعظ مما حدث وسوف يصلح من شأنه ويريد بعمله هذا أن يعلم اين كمنت اخطائه حتى يقوم بتقويمها وبالتالي يتوصل مع معارضيه الى حل يرضي الطرفين.

ولكن هؤلاء السذج في وادي والديكتاتور في وادٍ آخر، فالديكتاتور يبقى ديكتاتوراً الى أن يموت او يقضى عليه وعقدته تدفعها دوماً دون رحمة الى سفك مزيد من دماء معارضيه الى أن يصبح عنده نوع من الهوس او حتى الجنون، وليكن الله بعد ذلك في عون رعاياه.

لنعد الى موضوعنا الأصلي ونقول: إن غرض الديكتاتور في منح خاصته للبوح بما يعتلج في نفوسهم مزدوج؛ الأول هو التعرف اكثر على معدن المقربين منه في أوقات الشدة، وقد يدفع الجاهل بمكائد الديكتاتور رأسه ثمناً لصراحته، كما حدث لوزير الاعلام البعثي شفيق الكمالي واضع النشيد الوطني ((وطن مدّ على الافق جناحا...)) والذي قال يوماً ما في مدح صدام حسين في احدى قصائده:

((سبحان وجهك الوضاح فينا

كوجه الله ينضح بالجلال))

ولكن كل ذلك لم يشفع له عند الديكتاتور، عندما قال له بعد هزيمته في حرب الكويت/١٩٩١: سيدي، خير لك أن لاتظهر بين الجماهير لفترة ما، بعد هذه الكارثة. فغضب منه جراء هذه النصيحة المخلصة فأعدمه! والثاني هو معرفة مكامن نقاط الضعف والقوة عند اعدائه وهذا مايعرفها اعوانه خيراً منه لكي ينزل ضرباته المميته على نقاط ضعفهم ويتجنب نقاطهم القوية.

يظهر ان (أماناً) من هذا القبيل قد اعطى من صدام الى المسؤولين والقادة الذين اشتركوا في قمع الانتفاضة الشعبانية، لأن هذه الانتفاضة كانت في مقدورها القضاء على النظام الصدامي. من هؤلاء العسكريين الذين ابدوا رأيهم بصراحة بعد قمع الانتفاضة الفريق الركن (هشام صباح الفخري) معاون قائد رتل العمارة والذي

كان يعمل بأمرة (عزت الدوري) نائب رئيس مجلس قيادة الثورة عند قيامهما بقمع الانتفاضة في مدينة (العمارة) بقسوة لامزيد عليها.

كتب هشام تقريراً مفصلاً عما قامت به قواته في قمع الانتفاضة بصراحة وتجرد نادرين وعهدنا بعهد صدام حسين أن تقريراً بهذه الصراحة يورد كاتبه مورد الهلاك لولا هذا (الأمان!).

قدم هشام هذا التقرير الى أمين سر القيادة العامة للقوات المسلحة لغرض عرضه على القيادة العامة للقوات المسلحة للمناقشة الذي يترأسها طبعاً صدام حسين، ويبدأ التقرير بالأسباب التي أدت الى قيام احداث عام ١٩٩١، وهذا التقرير ابرز في القضية المرقمة (١/ج الثانية/٢٠٠٧)، ص (١٤٢ و١٤٣) من القرار الصادر في القضية المشار اليه والمؤرخة في ٢٠٠٧/١٢/٢، أي قضية الانتفاضة الشعبانية. وندعوه فيما بعد بالقرار اختصاراً كلما اقتبسنا منه اية معلومة. واليكم ملخصاً وافياً لما ورد في التقرير:

الاسباب التي أدت الى قيام أحداث عام ١٩٩١ والتي منها الوضع المعاشي والاقتصادي للسكان حيث أشار (الفخري) في التقرير الى أن اوضاع الأهالي في الجنوب صعبة حيث كانوا يعانون من القحط والجدب وقلة المواد الغذائية وغلاء الاسعار والوضع الاقتصادي والمعاشي المتردي، كما أشار الى سبب اخر يتمثل بالكيفية او الطريقة التي كانت مُتبعة من قبل رجال الأجهزة الأمنية في التعامل مع المواطنين حيث اشار الى ((أنه ليس من قبيل المبالغة ان صيغة التعامل التي أتبعتها بعض الأجهزة الحكومية والعناصر الحزبية المسؤولة والجهات الأمنية مع المواطنين أنطوت على كثير من السلبيات والاستغلال والتعالي والارهاب مما أدى الى تراكم الحقد والكُره والرغبة في الأنتقام في نفوس الجماهير المتضررة من هذه الصيغة والارتياح بل ومساندة أي صيغة للوقوف ضد السلطة، ما أعقب ذلك من حدوث الانفجار الذي تمثل في المذابح التي تعرض لها هؤلاء وعوائلهم))، ومن المظاهر السلبية التي كانت تعتمدها الأجهزة الأمنية هي:

١) التعامل اللاانساني مع المواطنين والمظهرية والاستعلاء واستغلال المنصب الوظيفي او الحزبي في تحقيق مكاسب غير مشروعة، بل والحصول على الرشوة في احوال كثيرة.

٢) المبالغة في اظهار الولاء والازدواجية في التعامل.

٣) لجوء الأجهزة الأمنية الى التخويف وبث الرعب في نفوس المواطنين، حيث يُلقى القبض على هؤلاء في منتصف الليل او مابعده ويمنع اتصال عوائلهم بهم خلال فترة الحجز التي قد تطول أشهر او ربما سنة فأكثر، فضلاً عن استخدام التعذيب الجسدي.

٤) عدم مواجهة الجماهير بالكثير من الحقائق الميدانية، الامر الذي يعطي الاعداء الفرصة لبث الشائعات لتعظيم الاخطاء.

٥) عدم ملاحظة مصلحة الوطن والحزب عند قبول الانتساب الى الحزب والعمل وفق منظر الكم على حساب النوع..).

لقد ذكر لنا تقرير هشام الفخري فقط الاسباب غير المباشرة للانتفاضة، اي التي أسميناها بالنائمة أو المتراكمة ولكنه لم يذكر لنا لماذا ظلت هذه الاسباب نائمة لسنين عديدة ولم تستيقظ الا في شهر اذار من عام ١٩٩١ فجأة وبدون سابق انذار، اي اعني بذلك (الصعقة)؟

ارجح الظن عندما لم يتحدث التقرير عن السبب المباشر هو تحاشيه عن ذكر الهزيمة التي مني بها الجيش العراقي والخسائر الفادحة التي تكبدته في الأرواح والمعدات والتي تسببت في اندلاع الانتفاضة، لأن صدام لم يعترف يوماً بالهزيمة واعتبر نفسه منتصراً في كل الحروب التي خاضها، او على الأقل هكذا اراد ان يوحي الى العراقيين بذلك والويل لمن يقول غير ذلك.

حسناً انني الآن اكمل لـ (هشام صباح الفخري) هذا النقص في تقريره:

إن السبب المباشر للانتفاضة الشعبانية والذي أسميته بـ(الصعقة) جاءت اثر هزيمة الجيش العراقي النكراء في حرب الكويت/ ١٩٩١ ووصول طلائعه المهزومة

الى مدينة البصرة في ١٩٩١/٣/١ والجنود في حال يرثى لهم: جرحى، جياع، عطشى، حفاة، البستهم ممزقة، منهوكي القوى. فهرع الناس على الرغم من فقرهم الى تقديم ماتيسر لهم من مساعدات، ماء، مأكل، ملبس، ايواء... والصعقة الفعلية جاءت من آمر احدى الدبابات، ولايعرف الى الآن من كان هذا الضابط، فوجَّه فوهة مدفعه لا الى صدور الشعب هذه المرة، وأنما الى جدارية كبيرة عليها صورة لصدام حسين، فأطلق عليها قذيفة جعلتها هباءاً منثوراً وكان ذلك أيذاناً باعلان الانتفاضة التي اكتسحت عموم العراق.

الذي فهمناه من تقرير هشام الفخري أن المنتفضين لم يكونوا عملاء او جواسيس او مخربين وانما ثاروا احتجاجاً على سوء الاحوال المعيشية وارهاب السلطة والكوارث والويلات التي انزلت عليهم جراء السياسات الاجرامية التي اتبعتها الدولة بحق الشعب، اذاً لماذا هذه القسوة المتناهية والمبالغ فيها عند التصدي للانتفاضة؟!

ان احداث الانتفاضة موضوع يطول شرحه. انني وحتى لاابتعد كثيراً عن الموضوع الاصلي للكتاب وهو (القبور الجماعية) فأنني اركز فقط على الجوانب المهمة والمتسمة بالقسوة الوحشية التي مورست ضد المنتفضين والعقلية غير المتحضرة التي تقف وراءها، محاولاً اقناعكم بأن القبور الجماعية هي وليدة هذه الايدولوجية البدائية دونها شريعة الغاب أو تقاليد القراصنة..

يظهر أن صدام حسين بعد ان تم له القضاء على الانتفاضة اجتمع مع المسؤولين الكبار في القيادة امثال عزت الدوري وعبد الغني عبد الغفور وعلي حسن المجيد وغيرهم، يرافقهم عدد من الضباط الكبار الذين اشرفوا ميدانياً على قمع الانتفاضة منهم الفريق الركن قائد الفيلق الاول (ابراهيم اسماعيل محمد) واللواء البحري (غائب حسون غائب) وقائد الفيلق الرابع (اياد خليل زكي) ومعاون رئيس اركان الجيش للعمليات (سلطان هاشم) والفريق (صابر عبد العزيز الدوري) والفريق الركن (هشام صباح الفخري) ووزير الدفاع (سعدي طعمة) وغيرهم.

لحسن حظ التأريخ والضحايا ومضطهدي الانتفاضة الشعبانية واسرهم المنكوبة، أن ماجرى في هذا الاجتماع من حوارات تمت تسجيلها على أشرطة. وهكذا اينما وردت كلمة (الاجتماع)، فيما بعد، فهذا يعني اختصاراً ان المعلومة مستقاة من هذا الاجتماع وبعكسه فأننا نشير الى غيره من المصادر.

قد لايصدقني البعض عندما اقول: أن الانتفاضة قد عمت العراق وانتشرت كما تنتشر النار في الهشيم واسقطت السلطة الحكومية في كافة المحافظات باستثناء بغداد. الى هؤلاء البعض اسوق الحوارات التي وردت في (الاجتماع) بهذا الخصوص. يقول الفريق هشام صباح الفخري لصدام حسين في الاجتماع عن اعداد المنتفضين مايأتي: كانوا في بداية الأمر لايتجاوزون (٢٠-٤٠) شخصاً، ثم اصبحوا بالآلاف (الاجتماع، ص١٥٧ من القرار).

ويقول الفريق الركن (صابر عبد العزيز الدوري): اجتنة (أتانا) مرحلة كل محافظات العراق سقطت والطك (اي الرمي) صار باطراف بغداد. ويؤيد صدام حسين قول صابر الدوري قائلاً: لاتوجد معلومات ولاتقارير ولايوجد شئ بأن الوضع الداخلي غير جيد، وبدأت اشدد على الحزب والحرس الخاص كل واحد يرمى ارموه، وكانت عندي واضحة لأن هذا الاطلاق للنار المستمر الساعة (٤) الصبح من لو واهس (من له رغبة) يطلق وعليش (على اي شئ) فرحان هالشكل واحد يطلق النار والاخر يجاوبه. الاحساس بالرمي في ذلك الوقت انتبهت كلت (قلت) اكو شي (هناك شيء) راح يصير بالداخل خلاني (دفعني) استعجل واصدر امر ان على (يقصد علي حسن المجيد) وسبعاوي (اي أخوه لأم) خلي (دعهم) يجون بسرعة الى بغداد (الاجتماع ص ١٥٥ و ١٥٦ من القرار).

ويؤيد سلطان هاشم هذه الواقعة، اي واقعة سحب القوات الى بغداد خوفاً من سقوطها في أيدي المنتفضين قائلاً: النقطة الاخرى المهمة التي اردت قولها على التوقيت، هو أنه بعدما انطلق قائد قوات الحرس الجمهوري تاركاً مقره باتجاه بغداد، السيد وزير الدفاع المحترم الفريق الاول الركن (علي حسن االمجيد) اتصل

بي في حينها وقال لي: ماذا ابلغوك على قائد الحرس؟ قلت له: سيدي اتصل الفريق (صابر) وابلغني بذلك، قال: فليأت بمن يستطيع ان يأتي بهم من جماعته، ولم يقل لي اكثر من ذلك. وتبلغ الحرس [يعنى وحدات من الحرس الجمهوري– المؤلف] بالأمر هذا وتوكلوا على الله (الاجتماع، ص١٥٣، من القرار). والآن تبين لكم بأنني كنت دقيقاً في قولي من أن كافة المحافظات أنضمت الى الانتفاضة بأستثناء العاصمة بغداد.

والآن إذا كان ليس في قاموس صدام حسين كلمات كالتخلي عن الحكم ولامشاركة الاخرين في قراراته ولا الانحناء امام العاصفة مهما كانت عاتية لأنه يعتبر نفسه سيد العواصف، اذاً لايبقى أمامه سوى التصدي للانتفاضة وقمعها بالحديد والنار. انه لم يحاول نهائياً احتواء الانتفاضة بالحسنى ولا اجراء أي اتصال من أي نوع او حوار او مفاوضة او توجيه كلمة او وعداً بأزالة أسباب نقمة المنتفضين، علماً أن اسباب الانتفاضة –كما ورد في تقرير هشام صباح الفخري الآنف الذكر– تعود الى الجرائم التي ارتكبتها الدولة بحق المواطن وسوء احوالهم المعيشية وهنا تكمن لااخلاقية صدام حسين ودمويته.

من كلام لـ(صابر الدوري) في ذلك الاجتماع يتبين مدى تصميم الحكومة على اعادة الهيمنة على المحافظات المنتفضة لنستمع اليه: وصلنا الى مرحلة من الاحباط وقلنا أنه لابد أن نقاتل للأخير ونعيد المحافظات وحدة. وحدة حتى لايكولون (لايقولون) علينا باجر (غداً) ما قاتلوا لا سامح الله. من يروج العراق وايضاً اقولها امام سيادتك مو (ليس) لأغراض اخرى، عندما كنت ارجع والتقي بسيادتك اشوف التصميم والعزم والايمان بالنصر عند سيادتك، وكنت اني بـ(بغداد) والقيادة العامة غير موجودة وكنت انا المشرف على كل الدوائر وكان المطلوب مني أن اؤمن كل المستلزمات لهذه الارتال التي هي ارتال صغيرة لاستعادة المحافظات تشعر انو (أنه) انت وحيد وتقرأ في وجوه الناس انو قلبها مو

وياك (ان قلبه ليس معك)، احنه (نحن) مطلوب من عدنه نسوى (نعمل) كلشي (كل شئ) مطلوب من عدنه عتاد ومطلوب من عدنه نوصل دبابات ونوصل فوج نشعر انو احنه ما عدنه غير نفسنا..) الاجتماع، ص ١٥٦ و ١٥٧ من القرار.

هل لاحظتم مثلما لاحظت من كلام صابر الدوري العزلة الخانقة. الشعب برمته قد لفظهم ولم يبق بيد السلطة سوى القوات المسلحة التي تخصصت وتفرغت لقتل ابناء الشعب منذ تأسيسها في ثلاثينات القرن الماضي.

على ذكر الفريق الاول الركن (صابر عبد العزيز الدوري)، اقول: لهذا العسكري قول يعد تعبيراً واقعياً وصادقاً من أن الجيش العراقي لايشعر بالانتماء الى الشعب العراقي وأنما كل ولائه لديكتاتوره الطاغية صدام، لنر: اشار اكثر من مشتكي وشاهد امام المحكمة الى منشور القى عليهم من الجو يتضمن تهديداً بأستعمال السلاح الكيمياوي ان لم يترك الاهالي المدن، فتمثل أمامهم مدينة (حلبجة) عندما قصفها النظام قبلاً بالسلاح الكيمياوي، فهرب الناس مذعورين الى العراء او التجأوا الى اقرباء لهم في القرى والقصبات.

تحدث صابر الدوري، عن هذه الواقعة في الاجتماع وعلق عليها بهذه العبارات: بخصوص المنشور الذي اعده سيادتك بيدك [أي صدام حسين– المؤلف] وذبيناه (القيناه) على المحافظات، وقلنا لهم اتركوا المدن، لأنه نحن سوف نضربها بالسلاح الكيمياوي، وكان بودنا ان نضرب المحافظات التي سقطت بالقنبلة النووية وليس بالكيمياوي، ولكن سيادتكم ماردت (ماأردت) وما كنت تقبل بغير المنشور) فتأملوا!!

اذيع هذا القرص في المحكمة، لم ينكر صابر الدوري صوته او قوله لهذه العبارات! قال صدام في تبرير قول صابر الدوري: يقصد يقول لو توفرت لدينا (أي القنبلة النووية) ماكان صاروا كلهم على العراق (الاجتماع، ص ١٥٦ من القرار). اذاً – والكلام لي– اذا الكل صاروا عليك من اين تأتي بشرعية بقائك في السلطة؟ ألخوفهم من القنبلة النووية؟ ينطبق على هذا القول المثل القائل (العذر اقبح من الذنب).

والسؤال المحير هنا هو: لماذا فشلت هذه الانتفاضة العارمة التي بأعتراف القائمين على قمعها –اسقطت جميع المحافظات، اي حررتها من هيمنة الدولة عليها. اذاً لماذا قضي عليها خلال اسبوعين فقط؟! الجواب: ان الانتفاضة افعال عفوية وآنية لمجموعة غاضبة من وضع معين أشبه بانفجار بركان تقذف مافي جوفها من حمم ضد شخص ظالم او نظام جائر. تحقيق الانتفاضة لاهدافها او فشلها مرهونان برد الفعل الذي يبديه الطرف المقابل.

لنأخذ الثورة الفرنسية انها لم تختلف في بدايتها عن الانتفاضة، الشعبانية ولكن رقة الملك وسمو اخلاقه الشخصية وعدم ميله للعنف وسفك الدماء خلق من هذه الانتفاضة احدى اعظم الثورات في العالم. كان في مقدور حرس القصر او الجيش القضاء على الثورة وهي في مهدها الا انه لم يفعل. وفعل شاه ايران نفس الشئ وترك ايران احتراماً لارادة المنتفضين وقبله تنازل قيصر روسيا عن العرش للثوار الشيوعيين وغيرهم.. وغيرهم.

الا أن الذي واجهته الانتفاضة الشعبانية كان من نوع آخر لم يتربى في القصور الملكية وتقاليدها واتيكيتاتهم الصارمة والرومانسية في الوقت نفسه، انها واجهت صدام حسين الذي لم يكن كالملوك، بل كان صعلوكاً عدوانياً يفرض الاتاوات في شبابه على اصحاب المطاعم والمقاهي، شارك في محاولة اغتيال رئيس جمهورية كما سبق بيانه وعندما استولى البعثيون على الحكم للمرة الاولى عام ١٩٦٣ شارك في كل حمامات الدم التي اقامها النظام وخاصة ضد الشيوعيين. وعندما استولى البعثيون في عام ١٩٦٨ مرة اخرى، كان في موقع اعلى كان نائباً لرئيس الجمهورية. وبعد ان أصبح رئيساً عام ١٩٦٩، اعدم (٢٧) شخصاً من قيادي حزب البعث بتهمة الخيانة العظمى، وخلال فترة رئاسته التي دامت طوال ربع قرن احدثت تقاليد في الابادة لم يألفها الا غلاة الطغاة امثال جنكيز خان وتيمورلنك وهولاكو.

اختفت في عهده مجاميع من الاكراد بلغ عشرات الألوف، عثر عليهم فيما بعد في القبور الجماعية، ولم يكتف باستعمال الاسلحة التقليدية في القضاء على الكُرد

كالطائرات والمدافع والراجمات و... و... وانما استعمل حتى الاسلحة الكيمياوية المحرمة دولياً، ليست فقط ضد المدنيين، بل حتى ضد الجنود المزودين بالكمامات والالبسة الواقية من مثل هذه الغازات أننا نلعن صدام حسين مرات ومرات، الا أننا ننسى شريحة اخرى يستحقون اللعنة اكثر منه الا وهي (المنفذون) لقرارات صدام حسين الاجرامية ولولا هؤلاء المنفذون لما وجد صدام حسين، أي أنهما يكملان الواحد الآخر. ففي اوربا وامريكا وانكلترا لن يبلغ بالمواطن الخسة والدناءة، بحيث يضع امكانياته تحت تصرف جلادٍ مثل صدام حسين ولهذا فمن يفكر بحكم بلد اوربي على شاكلته يبقى وحيداً منبوذاً اما هنا فهناك مئات الألوف يتمنون ظهور طاغية لكي يضعوا أنفسهم تحت تصرفه ويصبحوا هم ايضاً طغاة صغاراً. فهل ادركتم خطورة هذه الشريحة. المنفذون هم كل من وضع امكانياته الشخصية تحت تصرف صدام حسين اي الضباط الكبار والصغار والذين يعملون في الأجهزة القمعية كالأمن والمخابرات والمنظمات الحزبية ورئيس محكمة الثورة واعضائها وغيرهم وغيرهم.

المنفذ يكون عادة اكثر قسوة ووحشية ممن يقرر القتل. لأن أشنع مراحل القتل، هي ليست مرحلة القرار، وانما هي مرحلة التنفيذ، لأن الذي يرتكب الجريمة يشاهد معاناة الضحية ومع ذلك لايبالى بها، يكون دون شك على درجة كبيرة من تحجر في المشاعر لايمكن ان يقارن بمشاعر الآمر بالقتل او التعذيب.

انني هنا اجمل اقوالي في اسباب فشل الانتفاضة في نقاط واقول: لأنها واجهت ١) رئيساً ليست برقة ملك فرنسا ولا بنبل شاه ايران ولابتحضر قيصر روسيا حتى يتخلى عن الحكم طواعية، أنه مصمم على البقاء مهما كلفه من سفك دماء شعبه. ٢) كانت جلاوزته من العسكريين والمدنيين تمرسوا في اقامة مثل هذه المذابح بسخاء في سبيل بقاء ديكتاتورهم. ٣) مزودين بأسلحة فتاكة: طائرات مروحية مقاتلة، مدافع، راجمات، دبابات، رشاشات بعيدة المدى، مشاة على درجة كبيرة من التنظيم والتدريب خاضوا الحرب العراقية الايرانية لسنوات.

يأتي من الطرف الآخر؛ المنتفضون لايعرف بعضهم البعض، ينقصهم الضبط العسكري، فيهم من يحمل السلاح لأول مرة، أسلحتهم خفيفة غير فعالة، قراراتهم غير مركزية، الكل يتصرف حسب مايرتأيه والى ان ينظموا أنفسهم يكون الآوان قد فات. إذاً لم تكن للانتفاضة والحالة هذه أي حظ لها في النجاح، أي ان النتيجة كانت محسومة لغير صالحها سلفاً وهذا ماحصل مع الأسف الشديد. هناك عامل آخر اعتبره القائمون على قمع الانتفاضة حاسماً في القضاء عليها الا وهو الاعدام الردعي او القسوة بصورة عامة.

ولكي نفهم هذين المصطلحين (الاعدام الردعي او القسوة) استقرائياً نستمع الى حوار مسجل جرى بين صدام حسين وعبد الغني عبد الغفور، وقد اذيع هذا الشريط في المحكمة ولم ينكره عبد الغني عبد الغفور الذي كان احد متهمي قضية الانتفاضة الشعبانية وحكم عليه بالاعدام واكتسب قرار اعدامه الدرجة القطعية،وهو الآن ينتظر التنفيذ ولكن من هو عبد الغني: أنه عضو القيادة القطرية لحزب البعث وتقلد عدة مناصب وزارية وغير وزارية وعند احداث الانتفاضة الشعبانية وباقراره امام المحكمة وفي دور التحقيق أنه كان يشغل منصب مسؤول تنظيمات محافظات: (البصرة، ميسان، ذي قار، واسط) لحزب البعث العربي الاشتراكي، أي تنظيمات مكتب الجنوب الذي كان مقره في البصرة. وعند اندلاع الانتفاضة كان عضواً في المقر المتقدم للقيادة العامة للقوات المسلحة في محافظة البصرة ويكون نائباً لرئيس المقر المتقدم (علي حسن المجيد) عند غيابه وذلك بموجب قرار مجلس قيادة الثورة رقم (٥١) وتاريخ ١٩٩١/٢/٢٨ ويشترك في عضوية المقر المتقدم ايضاً وزير الدفاع ورئيس اركان الجيش ومدير جهاز المخابرات ومعاون رئيس اركان الجيش للعمليات.

مهمة المقر المتقدم في الاصل كانت ضد جيوش التحالف اذا حاولت احتلال البصرة، الا أن هذا الاحتمال لم يتحقق، ولكن الذي تحقق لم يكن يتوقعونها حتى

في الحلم بعد كل هذا الارهاب الذي مارسه حزب البعث ضد الشعب العراقي، الا وهي هذه الانتفاضة التي اكتسحت جميع محافظات القطر!

وبعد أن تعرفنا على عبد الغني نرجع الى محادثاته مع صدام حسين: ((اخبر عبد الغني صدام حسين بالآتي: سيدي، الاعدامات اللى (الذي) صارت على العناصر المخربة اتبعنا اسلوبين بالتحقيق، الاعدام الردعي المباشر حتى يصير ردع. سيدي: الاعتبارات هم الهم (لهم) ايضاً وهم للبصرة وهم للحال وبيهم من المخابرات والامن ومن الرفاق العسكريين فعدمنا اعداد جيدة، سيدي رادعة وياها (معها) الاعترافات مفيده سيدي، من يعترف على واحد، نتوصل الى رؤوس..)) كما اعترف عبد الغني في هذا القرص باعدامه لاثنين من اعضاء حزب البعث كان احدهم بدرجة عضو فرع اسمه (جميل عباس) والآخر عضو شعبة اسمه (ابراهيم مفتن) [من قرص مدمج اذيع في المحكمة ولم ينكر عبدالغني صوته واقواله (ص١٤٩ و ١٥٠ من القرار].

ما الذي فهمناه من اقوال عبد الغني؟ الذي فهمناه ان المعدومين لم يقدموا الى المحاكم، وانما اكتفوا بالتحقيق معهم وتم اعدامهم بعد التحقيق مباشرة حتى يردع الناس وبين المعدومين افراد من المخابرات والامن والرفاق العسكريين والحزبيين من الذين انضموا الى الانتفاضة طبعاً، وفيما يتعلق بعدد المعدومين يعبر عنه بكلمة (جيدة) أي كثيرة دون ذكر العدد.

كما يعترف اللواء البحري (غائب حسون غائب) في القرص المرقم (٢٨٠)، والذي تم اذاعته في المحكمة، باعدام عدد من المخربين بهذه العبارات: ((وفعلاً تم اعدام عدد من المخربين داخل الاكاديمية وبعلم الرفيق عضو القيادة عبد الرحمن الدوري))، أي خلف ظهر القضاء ايضاً.

وفي نفس الاجتماع تحدث اياد خليل زكي (قائد الفيلق الرابع)، وهو ايضاً من القادة الذين اشتركوا في قمع الانتفاضة، قائلاً: خرجنا الى الباب الرئيسي وعند الباب كان هناك تجمع للمخربين والضباط الذين كانوا معي والله العظيم شجعان، احد الضباط

ضرب سيارتهم بالقاذفة التي كان يحملها ولحد الآن انا اتذكرها وكانت نوع برازيلي وبعدها ضربنا سيارة اكبر منها والذي راح.. راح والذي لزمناه. لزمناه بحيث نحن نهاية الساعة الثالثة او الرابعة مسيطرين على كل المنطقة والطريق المقطوع، وحتى عندما اصبح عددهم كثيراً بقوا أسرى قسم منهم وصلوا بحوالي (٤٠) شخص كلش هواية لزمنه (القينا القبض على عدد كبير) والذي راح.. راح والذي قتل.. قتل والذين وضعتهم بمقر الفيلق في غرفة الاستعلامات ووضعت عليهم شخصين يحرسوهم، لأنه بعد ساعة او ساعتين سوف نستفاد منهم بأخذ معلومات عن أوكارهم..)).

علق (علي حسن المجيد) المعروف باستهانته بأرواح الآخرين على قرار (اياد) بوضع عدد من المقبوض عليهم في غرفة الاستعلامات بمقر الفيلق قائلاً: هذولة (هؤلاء) بالاستعلامات جان (كان) ضربتوهم بالقاذفة وما خليتولهم (ابقيتم لهم) أثر! (الاجتماع، ص ١٥٣، من القرار).

وكلما تقدمنا في سرد احداث الانتفاضة الشعبانية نقف على مزيد من الردع والقسوة ... ويعترف هشام صباح الفخري صراحة بهذه القسوة في الاجتماع بهذه العبارات: كانوا في بداية الأمر لايتجاوزون (٢٠) او (٤٠) شخصاً ثم اصبحوا بالآلاف ولولا يشوفون (يرون) القسوة غير الاعتيادية ما جان (كان) يردعون.. واعداد كبيرة اخرى منهم لم يتم تصفيتهم ولامحاكمتهم وارسلناهم الى بغداد للاستفادة منهم وعدد كبير منهم عدهم (عندهم) خوش حجي (كلام مفيد) ومعلومات (الاجتماع، ص ١٥٧، من القرار).

ويتبين من الفقرة الثالثة من الوثيقة الصادرة عن نائب رئيس الوزراء في ذلك الوقت المتهم (طارق عزيز) بالعدد (٢٠٩) في ١٩٩١/١٠/٢٢، يتبين مايأتي: اعلمتنا مديرية الأمن العامة بأن عدد الذين اعتقلوا خلال فترة صفحة الغدر والخيانة بلغ (١٥١٠٥) شخصاً ثبت اشتراك (١١٠٠) شخصاً منهم لقيامهم بأعمال القتل وهتك الاعراض (كذا!) ومازالوا ضمن التحقيق، وقد تم استكمال الاجراءات التحقيقية معهم بغية احالتهم الى المحاكم المختصة (ص ١٦٩، من القرار).

قبل أن انتقل الى الوضع في مدينة العمارة وماجرى فيها في اثناء الانتفاضة، وجدت من الضروري التطرق الى ماجرى في ساحة سعد في مدينة البصرة، حيث ذكر عدد غير قليل من الشهود والمشتكين اعدام عدد كبير من المواطنين من قبل علي حسن المجيد، ولكن كان لـ(علي) رأي مغاير في الموضوع سوف أذكره لما فيه من دلالة.

لقد ذكرنا ان علي حسن المجيد كان رئيساً للمقر المتقدم وانه المسؤول الاول لما حدث، بأعترافه امام المحكمة، في مدينة البصرة من ٢/٣-٨/٣/١٩٩١ أي الفترة التي استغرقتها الانتفاضة في تلك المدينة.

والآن لنستمع الى ما أدلى به امام المحكمة حول ماجرى في ساحة سعد يقول علي حسن المجيد: واحب ان اذكر لهيئة المحكمة هنا ماحدث في ساحة سعد، حيث اخذ حيزاً اكبر من حجمه الحقيقي وانا هنا سوف اخبر المحكمة بحقيقة ماجرى هناك: أنني كنت ماراً داخل مدينة البصرة وفي اثناء تجوالي شاهدت عدداً من المعتقلين محتجزين جالسين على الارض. اقتربت منهم واخبرتهم: انتو تعرفوني من انا وتعرفون صلاحياتي. أخبروني من هو المسؤول عما حصل في مدينة البصرة وانا سوف اقوم باطلاق سراح الشخص الذي يخبرني. وفعلاً قام رجل واخبرني وهو يشير الى رجل ضمن المحتجزين قائلاً: أن هذا (صهري) وهو زوج ابنتي وهو المسؤول عن كل ماحصل في مدينة البصرة وهو (ايراني) وأيد قوله (٢٥) شخصاً وهنا قمت باطلاق النار على هذا (الايراني) الذي احرق المخازن في مدينة البصرة وقضى على قوت الشعب العراقي، فاطلقت عليه اطلاقة واحدة اصابته في صدره من السلاح الذي كنت احمله (بندقية) واطلقت سراح البقية الذين اخبروني عن هذا الرجل. هذا كل ماحصل في ساحة (سعد) وقد تم تأليف الكثير من القصص عما جرى في ساحة (سعد) وانا لم اقتل الا شخصاً واحداً ويشهد الله ليس غيره وكل هذه القصص على ساحة (سعد) هي مبنية على حادثة واحدة وانا كنت ابحث عن هذا الرجل جدياً. انا بتصرفي هذا دافعت عن بلدي ودافعت ضد الغزو الايراني الذي حاول أن يحتل بلدي. (ص ١٨٨ و١٨٩، من القرار).

ربما لم يكن هذا الحماه على وفاق مع صهره، فأراد أن يقتل عصفورين بحجر واحد وهما التخلص من صهره اولاً وانقاذ حياته ثانياً أما شهادة بقية المعتقلين الخمسة والعشرين المؤيدة لقول الحماه، فهو أمر طبيعي لأن المسألة غير هينة، انها الحياة او الموت، وهكذا جعلوا من هذا (الصهر) المسكين كبش الفداء! وتسمى هذه بالعدالة البعثية الميدانية.

واضاف (علي حسن المجيد) ابتداءاً امام الهيئة التحقيقية تعقيباً على هذه الحادثة مايأتي: إن صلاحيات الاعدام التي منحت لي، كانت بموجب قرار مجلس قيادة الثورة المنحل، الذي اشرت اليه امام الهيئة التحقيقية في هذه الجلسة والموقع من قبل صدام حسين. حيث كان من جملة القرار المذكور هو اعطاء صلاحية الاعدام صراحة في احداث عام ١٩٩١ وكذلك هناك قرار آخر صدر عن مجلس قيادة الثورة المنحل يعطى صلاحية لاعضاء القيادة القطرية للحزب المنحل باعدام الأشخاص دون اللجوء الى القضاء وان يكون التنفيذ مباشرة من قبل مسؤول المنطقة ضمن احداث ١٩٩١ ودون اجراء التحقيق، وكان تنفيذ احكام الاعدام من قبلنا تنفيذاً مباشراً دون اجراء التحقيق القضائي. أن اعداد المعتقلين الذين كانوا متواجدين في ساحة سعد تقريباً (١٠٠) معتقل واني اجهل مصير هؤلاء المعتقلين الآخرين..) (ص١٨٧، ١٨٨، ١٨٩ من القرار).

مع أن كلام علي حسن المجيد جاء بصراحة ووضوح الا أنه يحتاج الى قليل من الشرح: هناك قيادتان لحزب البعث (١) القيادة القومية أي على صعيد الوطن العربي والأمة، فهناك حزب البعث في معظم الدول العربية كما هو الحال في الجمهورية السورية وفي لبنان والسودان واليمين وغيرها. (٢) قيادة قطرية، أي مختصة بقطر معين وهنا العراق. ومن المفروض أن لايصل الى هذه المرتبة السامية في الحزب الا الذين على جانب كبير من العلم والخلق والثقافة، أي منظرين لفكر البعث. ولكن الذي يبعث على الاستغراب في اقوال علي حسن هو اعطاء اعضاء القيادة القطرية صلاحية الاعدام دون الرجوع الى القضاء ويكون التنفيذ مباشراً، اي لايطعن بالقرار كما في المحاكم. وقد

رأينا تطبيقاً عملياً لهذه الصلاحية من قبل (علي حسن المجيد) في ساحة سعد. اذاً يمكن القول باطمئنان بأن الذي يصل الى عضوية القيادة القطرية في العراق ليسوا بمنظرين انما هم من غلاة القتلة.

والآن الى مدينة العمارة ومزيد من الفجائع؛

هل تتذكرون تقرير الفريق الركن (هشام صباح الفخري) معاون قائد رتل العمارة والذي كان له الدور الأكبر في القضاء على الانتفاضة في مدينة العمارة (حاضرة محافظة الميسان) وعموم محافظة (ميسان) التقرير الذي ذكرت لنا اسباب الانتفاضة.

حسناً إن هذا التقرير يتضمن ايضاً اشياء كثيرة اخرى، من بينها القطعات العسكرية التي شاركت في عمليات العمارة والتي تتمثل بالفرقة (٣٩) وفرقة المشاة (٤٠) وقيادة قوات حرس جمهوري، اضافة الى الفيلقين (١٤و٦)، أما الاسناد المدفعي المتيسر لهذه القطعات، فكان متمثلاً ببطرية مدفعية ميدان واحدة فقط. ولمن ليس له اطلاع على التشكيلات العسكرية في الجيش العراقي، نقول ان الفيلق اكبر وحدة عسكرية ويتكون من ثلاثة فرق.

كما يشير هذا التقرير ايضاً الى اعداد المنتفضين والذي يسميهم بالغوغائيين، كمايأتي: يبلغ عدد الغوغاء الذين شاركوا في القتال واعمال السلب والنهب بحدود (٢٢) الف شخص، مسلحين بالاسلحة الخفيفة والهاونات وبعض قاذفات مقاومة الدبابات التي استولوا عليها من قطعات الجيش (ص١٤٣ من القرار).

تحدث في الاجتماع (عزت الدوري) ايضاً وبالذات عن قصف المستشفى العام في مدينة العمارة فقال: فذهبت انا هناك والقصف مالتهم (قصفهم) خلفنا ونحن بسند الحائط الذي يفصل بيننا وبينهم وهم فوقنا بمستشفى العمارة وكانت عندنا صواريخ دقيقة، فقلت لهم اضربوا المستشفى ولكن لاتهدموها واضربوها بالشبابيك وفعلاً وبعد أن أنتهت المعركة كانت كل شبابيك الطابق الخامس والسادس فايتة (داخلة) منها صواريخ (الاجتماع، ص ١٥٧ من القرار).

لندر عدسة الكاميرا هذه المرة الى الوضع في المستشفى ونقرأ ما أدلى به احد الشهود امام المحكمة بهذا الخصوص: هذا الشاهد يدعى (فيصل غازي حسين) تولد عام ١٩٦٢ يسكن مدينة العمارة/ محلة عواشة مهنته طبيب، بعد تحليفه اليمين افاد بمايأتي: في ١٩٩١/٣/٢ انطلقت مظاهرة سلمية في عموم مدينة العمارة، تعبيراً عن استياء الشعب لما حصل للجيش العراقي في حربه مع قوات التحالف في حرب الخليج، في ١٩٩١/٣/٥ قام الجيش بقصف المناطق التي تقع في مدخل مدينة العمارة حدثت اصابات عديدة جراء القصف. تبرعت للعمل في مستشفى (صدام) سابقاً الشهيد (الصدر) حالياً لأني كنت اعمل في وحدة الطبابة العسكرية ولأن المستشفى كانت بحاجة الى الخدمات الطبية.

في ١٩٩١/٣/٧ حدث قصف كثيف على مدينة العمارة، فتطوعت للذهاب الى مناطق مغربة وحي المعلمين الجديدة لمساعدة الناس. في الطريق شاهدت بعيني قناص قتل شخص يدعى السيد (جاسم السيد راضي حميد) كان ينادي بمكبرات الصوت يطلب من الجيش وقف القصف. كان عدد القتلى كبير جداً، بحيث امتلأت مبنى الطبابة العدلية والجرحى كان عددهم كبيراً جداً، بحيث اضطررنا ان نضع كل جريحين في سرير. كان عدد الأسرة (٣٠٠) سرير ووضع عدد من الجرحى في أروقة الطوابق وكان الجرحى من المدنيين والعسكريين.

في ١٩٩١/٣/٧ قامت قطعات الجيش بمحاصرة المستشفى وقصفها بعد ساعة واقتحموا المبنى، ثم حضر قائد قوات (المصطفى) مع ضابط استخبارات هو المقدم (حامد) مع ضباط آخرين طلب الالتقاء بالاطباء، وانا كنت من ضمنهم طلب منا عدم معالجة الجرحى. اخبرنا أنه تمكن من الدخول الى مدينة (العمارة) وانه يمتلك صلاحيات من القيادة؛ أنه اذا تأخر دخوله الى اليوم الثاني، فأنه سوف يقوم بضرب المدينة بالسلاح الكيمياوي، أخبرنا أنه تم تعيين الفريق الأول الركن (هشام صباح الفخري) حاكم عسكري لمدينة العمارة وأنه سوف يفرض الاحكام العُرفية. قام الجيش باعتقال الجرحى والمرافقين منهم السيد (مناف السيد مسلط

الهاشمي) وهو مجهول المصير. كذلك اعتقلوا مضمد اسمه (فرج ساجت) بسبب أن لديه ابن اشترك في الانتفاضة وقد فارق الحياة نتيجة التعذيب.

في ١٩٩١/٣/٨ خرجت من المستشفى هارباً الى بيت اقاربي في قطاع (٣٠) شاهدت العديد من الجثث في الطريق، منها جثة للمدعو (نجم عبود التميمي) وجثة (قاسم عبد الرضا). كذلك قام الجيش بالقاء جثث الشباب في النهر، منها جثة شقيق صديقي المدعو (مخلص الساعدي)، كذلك هناك أشخاص توفوا نتيجة القصف، منهم (منقذ محمد سليم)، شاهدت الطائرات تقوم بقصف مناطق (عواشة، حي الرسالة، حي المعلمين، حي الحسين)، فهرب الاهالي الى الحدود العراقية- الايرانية واستمرت الطائرات بملاحقتهم وضربهم وهناك شباب من منطقتي اعتقلوا وهم مجهولو المصير الى الآن، منهم (عيسى محسن درويش الحمراني) و(السيد محمد البعاج) و(جواد كاظم خليل هيزة). عند دخول الجيش قام بقتل شاب يدعى (يحيى الوحيلي)، كان خادم في جامع (المجراوي)، انا لم اشاهد واقعة قتله ولكن هذه الواقعة مشهورة في العمارة (ص ١٠٠-١٠٢ من القرار)

والآن ما الذي فهمناه من هذه الافادة، على الرغم من قصرها؟ انها تؤكد لنا صحة قصف المستشفى بالصواريخ، ولاتذكر لنا وجود مقاومة مسلحة لا في داخل المستشفى ولا على سطحه. ارجح الظن ان عزت الدوري عندما أمر بقصف المستشفى (وهي من المنشأت المحمية بموجب الاتفاقيات الدولية التي لايمكن التعرض لها بسوء)، كان لغرض ارهاب الناس والايحاء اليهم، بأن الذي يقصف مستشفى الذي هو لايواء المرضى والجرحى، لايتوانى عن فعل اي شيء اخر فيه ايذاء لاعدائه، وربما اعتقد ايضاً أنه -أي المستشفى-، يأوي جرحى مقاتلي الانتفاضة. كما أمر هذا الضابط الآثم بالامتناع عن معالجة الجرحى، وقد قال اكثر من مشتكي وشاهد ان احد الضباط، ولا استبعد أن يكون هذا الاثم، قد القى بطفلة عمرها خمس سنوات من الطابق الخامس من بناية هذا المستشفى.

وفهمنا ايضاً ان المظاهرة كانت سلمية ويؤيد الفريق الركن (اياد فتيح الراوي) هذه الحقيقة –أي سلمية المظاهرات– حيث صادف واحدة منها عندما كان مع وحداتها العسكرية ذاهباً الى بغداد لنجدة ديكتاتوره من السقوط، فهو يقول في الاجتماع: كبل (قبل) مانطلع من المقر شفنه (رأينا) تمر مجموعات من المدنيين، المجموعات لاترمي ولاتهتف، فالاخوان كالولي (قالوا لي) يمكن مظاهرة راح تمر منانه (من هنا)، فأنتظر لمن (الى ان) تمر المظاهرة وبعدين نروح. كلتلهم (قلت لهم) شعدنه أحنه ويه المظاهرة ((ما دخلنا نحن مع المظاهرة خلي (دعها) تمر فاخترقنه هذه المظاهرة وعبرنا المنطقة ..)) (الاجتماع، ص١٦١ من القرار).

هذا الموقف المسالم لم نعهده من الضباط البعثيين! يقال أن أحد طغاة المغول جمع قادته العسكريين ووجه اليهم هذا السؤال: هل تراجع احدكم عن قتل امريء بدافع الشفقة عليه؟ من بين كل هؤلاء القادة رفع واحد منهم يده قائلاً: نعم لمرة واحدة وكان طفلاً رضيعاً وضعت ذؤابة سيفي في فمه لكي اضغط عليه، واقتله، ولكن يظهر ان الرضيع كان جائعاً، فبدأ بمص النصل ظناً منه أنها حلمة ثدي والدته، فأمر الطاغية بقتله قائلاً: انك لاتصلح لخدمتي!! كان على صدام أن يفعل مافعله الطاغية المغولي بحق (اياد) لأنه قتل مئات الضباط من الجيش العراقي لاسباب اكثر تفاهه.

كان موقف (اياد فتيح الراوي) الحضاري تجاه المظاهرة استثنائياً ونادر الحدوث، لأن عشرات من المشتكين والشهود اجمعوا على ان مظاهراتهم الاحتجاجية وإن كانت سلمية ومن اناس عزل من كل سلاح ومع ذلك جوبهت بالقسوة من قبل الجيش ورجال الأمن والمخابرات والحزبيين، ولم يستثنوا مظاهرة الا واطلقوا عليها النيران وقتلوا منهم خلق غير قليل. وانني اعرض عليكم افادة اخرى من بين عشرات الافادات التي ادليت بها أمام المحكمة، يؤكدون فيها اصحابها بأن المظاهرات كانت سلمية وأن القائمين بها لم يكونوا يحملون اية اسلحة. وإنني اكتفي بهذه الافادة لضيق المجال وكما يقال ((حفنة تنبئك بمافي الحمل)).

صاحب هذه الافادة يدعى (مشتاق عبد الوهاب حسين) تولد ١٩٦٧ مهنته كاسب يسكن مدينة العمارة/ حي الحسين، ادلى بأفادته امام المحكمة الجنائية الثانية بعد تحليفه اليمين القانونية وقد وردت افادته في الصفحة (١٠١و ١٠٢) من القرار وفيما يأتي نص الافادة:

بتاريخ ١٩٩١/٣/٢ حدثت مظاهرات سلمية في محافظة ميسان في منطقة حي الحسين وسبقت المظاهرات مراسيم تشييع احد منتسبي القوات المسلحة المدعو (علي سعدون) واستعمل المشيعون الهتافات (لا اله الا الله صدام عدو الله)، ثم حضرت سيارات موضوع عليها (رشاشات) .B.K.C بدأت بأطلاق النار باتجاه المتظاهرين، استشهد كل من (عبد الرزاق ريحان الساعدي)، (سعد جاسم عبدالله)، (محمد حسن) أصيب بعض النسوة ايضاً، منهن (فخرية مجبل)، (صبيحة حسن) وطفلة (علياء عبد الرزاق)، كذلك أصيب كل من (عبد الرزاق عبد الوهاب)، (عبدالله مجبل حسين)، (حيدر جاسم عبدالله). في ٥-١٩٩١/٣/٦ قام الجيش بقصف مدينة العمارة فتهدمت العديد من الدور، منها دار المدعو (جبارالبطاط) في عواشة توفي هو نتيجة القصف مع ثلاث من بناته وأبنة ابنه، كذلك دار (زغير حسن) وحسينية تقع في حي الحسين ودار المدعو (جبار عذار).

في ١٩٩١/٣/٧ دخلت قوات الحرس الجمهوري الى منطقتنا، قامت بالمداهمات والتفتيش. في ١٩٩١/٣/٨ حضر منتسبو الجيش لتفتيش دارنا، فهربت من الدار، كان في الدار. أحد اقربائي المدعو (ستار جبار) لم يستطع الهرب لكونه احد الجنود المنسحبين من دولة الكويت، فقاموا باعتقاله واعتدوا على النسوة بالضرب، فتوفيت ابنتي البالغة من العمر (٢٠) يوماً، فهربت الى بيت صديقي (اسعد جواد) في حي الحسين، ثم اتجهت الى منطقة المشرح مع قريب لي يدعى (جعفر مهاوي مري)، شاهدنا طائرة تقوم بالقاء أشخاص من على ارتفاع شاهق وشاهدت مايقارب (٢٥-٣٠) جثة تعود لرجال ونساء، ثم غيرت وجهتي، فأتجهت الى بيت خالتي في منطقة (السراي)، كان هذا في يوم ٣/٩. وفي ٣/١١ غادرت بيت خالتي وذهبت واختبأت في فرن يعود لنا في منطقة حي

الحسين، كان خلفه دار نملكها، فأسكنت عائلتي فيها. في ٣/١٥ قامت اللجنة المشتركة من الأمن والحزب والمخابرات، باعتقال والدي و(عبد شخيت حنون) و(فوزي جبار الساعدي) المكنى بـ(ابو صبا)، وفي ٣/١٦، اعتقلوا شقيقي (حيدر) وفي ٣/١٨، هربت من مدينة العمارة الى كركوك، مكثت (٣) أشهر، ثم عدت واستفسرت عن اشقائي ووالدي، علمت ان اشقائي (حيدر وعلي)، قد تم أعدامهم وان والدي معتقل في الرضوانية. قامت والدتي بدفع مبلغ من المال الى المدعو (ماجد حميد) الملقب بـ(ابو درع) فأطلق سراحه واطلقوا سراح شقيقي (محمد). وعلمت ايضاً أن ابن عمي (سعد زغير) توفي في اثناء التحقيق وبعد سقوط النظام عملت في جمعية السجناء الاحرار فرع العمارة وشاركت في فتح مقبرة جماعية في مقر الفيلق الرابع مع مجموعة من الأشخاص هم (سلام نوري)، (عبد الرزاق عبد الوهاب)، (الشيخ حسين المحمداوي) وعثرنا على (١٨٠) جثة، منها جثة تعود لامرأة كانت تحمل قدراً (انتهت الافادة).

اريد أن القي بعض الضوء علي معلومة وردت في افادة المشتكي (مشتاق) لا أدري هل استرعت انتباهكم هذه المعلومة؟ فاذا كان جوابكم بنعم، فهل صدقتم فحواها؟ أم لا ؟ يقول (مشتاق): ثم اتجهت الى منطقة (المشرح) مع قريب لي يدعى (جعفر مهاوي مري) شاهدنا طائرة تقوم بالقاء اشخاص من على ارتفاع شاهق.

المشتكي لايقول جنود، يقصد اناس مدنيون وبدون مظلات طبعاً! لكي يتهشموا عند ارتطامهم بالارض! اغلب الظن أن الطائرة كانت مروحية، لأن الطائرات ذوي الاجنحة الثابتة كانت ممنوعة من الطيران بقرار من قوات التحالف، أو ارسلت للاختباء في ايران.

حسناً هل هذا معقول؟ أي أن يقوم جيش وطني بالقاء المواطنين من طياراتهم وهي محلقة في الجو، لمجرد كون هؤلاء المواطنين معارضين للحكومة؟! هذا أمر صعب التصديق، بل انه افتراء محض. إن مبالغة كهذه ألا يجعلنا أن نشك في بقية التهم التي الصقوها بالعسكرية البعثية من قتل وتعذيب وما شاكل ذلك. بدون شك نعم. ولكن هناك وثيقة حكومية صادرة من مديرية الاستخبارات العامة

وبتوقيع مدير عامها صابر عبدالعزيز الدوري تجعل من زعم المشتكي (مشتاق) أمراً ممكن الحدوث! واليكم الوثيقة:

الوثيقة عبارة عن كتاب صادر عن مديرية الاستخبارات العسكرية العامة بالعدد (١٠٤٩٧) في ١٩٨٨/٥/٢٩ وهي معنونة الى وزير الدفاع في ذلك الوقت والمتضمنة:

١. توفرت لدينا المعلومات التالية والتي مورست من قبل العميد الركن بارق عبدالله قائد قوات حماية النفط.

١/ ١ بتاريخ ١٢مايس/١٩٨٨ القى ثلاثة مخربين [الپشمەرگە–المؤلف] من الطائرة وعلى ارتفاع عال على مقر امرية قاطع كوسينجق وامام معظم مقاتلي افواج الدفاع الوطني.

١/ ٢ بتاريخ ١١مايس ربط رجل وامرأة بحبل ووضعهم في صندوق العجلة. وقام جنود الحماية بضربهم امام الاهالي.

١/ ٣ قيام قوة بأمرته بتفتيش دور مستشاري افواج الدفاع الوطني والاستيلاء على مافيها من المال والحلي الذهبية.

٢. مما تقدم. نقترح الموافقة على تشكيل مجلس تحقيقي بحق الضابط المذكور في مديريتنا للاسباب المشار اليها بالمادة (١) اعلاه.

هذه الوثيقة موقعة من قبل اللواء الركن مدير الاستخبارات العسكرية العامة وهو في ذلك الوقت المتهم (صابر عبد العزيز الدوري). (القرار المرقم ١/ ج ثانية/ ٢٠٠٦ بتاريخ ٢٠٠٧/٦/٢٤، اي قرار الانفال الصادر من محكمة الجنايات الثانية، ص٢٦٤).

واذا حصل هذا في مكان آخر، فلماذا لايحصل في الانتفاضة الشعبانية وهذا يدفعني الى تصديق الشاهد. كان هناك (ابداع) آخر في قتل ضحايا الانتفاضة الشعبانية في النجف وكربلاء، وقد ذكر ذلك اكثر من شخص، وكما نعلم ان (التواتر) مصدر من مصادر تصديق الاخبار. هذا من ناحية ومن ناحية اخرى لو الصقت هذه التهمة، اي هذا (الابداع)، بنظام اوربي او بريطاني او امريكي لاستبعدناه وقلنا أنه من (ابداعه) من هذا القبيل لايمكن ان يحدث في تلك البلدان، قد يحدث في بعض امثال

المهوسين بالقتل، اما ان ترتكبها السلطة هناك لما صدقناه اما في العراق، وبالتحديد في زمن البعث، فكل انواع القتل مهما كانت شاذة وغير معهودة، فانها قابل للتصديق وهذه الطريقة هي: واعتذر سلفاً عن بشاعتها ولكن يجب ان نسجلها للتأريخ وهذه احدى فوائد التأريخ: كان القتلة يرغمون الضحية على شرب كمية كبيرة من وقود السيارات (بنزين) وبعد ذلك يطلقون على معدته اطلاقة مذنبة يتحول بعدها الضحية الى كتلة من اللهب والدخان ورائحة الشواء تملأ الارجاء!!

بعد ذلك الاستطراد نعود ونقول:

تبين من اقوال قائد رتل العمارة الفريق الركن ابراهيم اسماعيل محمد في الاجتماع أنه دخل مع قواته الى مدينة العمارة (محرراً)، في يوم ١٩٩١/٣/٧ وفي يوم ٣/٨، اي في اليوم التالي قام بتحريرها واكمل تحريرها في يوم ٣/٩، أي أن تحرير مدينة العمارة استغرق فقط ثلاثة ايام وربما اقل من ذلك ايضاً.

استسلام هذه المدينة الكبيرة في غضون أيام معدودات يعود الى الاسباب التي ذكرتها آنفاً في فشل الانتفاضة برمتها، وبالأخص القسوة التي مارسها الجيش بحق المنتفضين والمدنيين العزل من اطلاق الرصاص على المتظاهرين العزل وقتلهم وقصف المدينة بالصواريخ ارض–ارض او من المروحيات (السمتيات المقاتلة)، قتل الناس على الشوارع واعتقالهم بصورة عشوائية وبأعداد كبيرة والتهديد بأستعمال السلاح الكيمياوي إن لم يستسلموا، وخير نموذج لهذه القسوة هو قصف المستشفى العام ومن ثم اقتحامها. لنستمع الى هشام صباح الفخري قائد رتل العمارة بهذا الخصوص: فالمعركة الرئيسية التي صارت تشرف الجيش وتشرف الوطن هي معركة المستشفى، الذين كان عددهم اكثر من (١٠٠٠) مقاتل داخلها وصارت صولة وابيدوا عن بكرة أبيهم وبقى قسم منهم اسرى، لأن قسماً منهم كانوا يعطون معلومات جيدة).

اريد ان اسأل الفريق الركن (هشام صباح الفخري) عن اي (شرف) يتحدث، عن (شرف) قصف مستشفى مكتظ بالجرحى المدنيين، كما يصفه الطبيب (فيصل)، عدد

اسرته ثلاثمائة وعلى كل سرير جريحان عدا الممددين في اروقة المستشفى هل قصف بناية كهذه بالصواريخ يشرفكم؟ او ليس عدم الشرف خير من هذا (الشرف)؟

هل تريد منا ان نصدق كذبه (وجود اكثر من الف مقاتل) يقاتلونكم من بناية المستشفى؟ وانتم تملكون من الأسلحة التدميرية ماتجعل من اعالي المستشفى سافلها. هل هم حمقى الى هذا الحد؟ حتى يحصروا انفسهم في بناية كهذه؟! لماذا الطبيب فيصل لايتحدث عن أية مقاومة في المستشفى الا يدل هذا على عدم وجودها؟

شاهد ضابط امريكي من على ظهر دبابته وكان يراقب الوضع في مدينة العمارة من خلال ناظوره المقرب، هذا الخبر تداولته وسائل الاعلام العالمية قال هذا الضابط: عند دخول القوات العراقية الى مدينة العمارة قصفت اول ما قصفت المستشفى العام في المدينة (دون أية ضرورة عسكرية!!)

والسؤال الكبير الآن هو: هل هذا (الألف) كانوا مقاتلين ام جرحى مدنيين؟ صاروا ضحايا لـ (صواريخكم من نقاط منتخبة؟!)

على ذكر استعمال الصواريخ (ارض، ارض) في معارك الكويت ضد قوات التحالف الذي اسماها صدام حسين (أم المعارك) وكذلك ضد المنتفضين في الانتفاضة الشعبانية، هناك وثيقة بهذا الخصوص ورد ذكرها في الصفحة (١٦٦) من القرار. هذه الوثيقة عبارة عن كتاب يحمل رقم (١٥٢٠٧) في ١٩٩٥/١٢/١٩ صادر عن ديوان وزارة الدفاع، معنون الى مكتب امانة السّر للقيادة العامة للقوات المسلحة. مع هذا الكتاب احصائية دقيقة اعدت من قبل لجنة خاصة بكل المعلومات العسكرية وغير العسكرية التي تتعلق بـ(أم المعارك) الخالدة منذ بدايتها وانتهاءاً بصفحة الغدر والخيانة على حد قول الوثيقة. وقد ايد سلطان هاشم احمد عندما كان يشغل منصب وزير الدفاع صحة المعلومات التي وردت في تلك الاحصائية وذيله بتوقيعه.

أتت هذه الاحصائية على ذكر اعداد الصواريخ (ارض، ارض) التي اطلقت في كل من (أم المعارك) وضد المدن العراقية في الانتفاضة الشعبانية وانني انقل لكم نص

الفقرة التي وردت في القرار بهذا الخصوص (ومن الجدير بالذكر هنا أن هذه الوثيقة تضمنت مسألة مهمة، فقد بينت أن عدد الصواريخ التي تم اطلاقها ضد قوات التحالف كانت (٢٣٦٠) صاروخ، في حين أن الصواريخ التي تم اطلاقها ضد المدن العراقية وضد ابناء الشعب العراقي قد بلغت (٢٣٨٨) صاروخ، علماً أن الصواريخ كانت من نوع (ارض، ارض). وأنا اقول: أي بزيادة (٢٨) صاروخاً ضد شعبه!! فتأملوا.

والآن اعطيكم بعض الاحصائيات عن خسائر الطرفين، اي الطرف الحكومي والمنتفضين في معارك العمارة وعموم محافظة (ميسان)، وهذه الاحصائيات مستقاة من الوثائق الرسمية الحكومية التي عرضت امام المحكمة في قضية الانتفاضة الشعبانية المشار اليها آنفاً.

ورد في تقرير هشام صباح الفخري اعلاه فقرة تحت عنوان خسائر الطرفين وكانت كالآتي:

تضحياتنا: بلغت تضحياتنا في الأيام الأولى من معارك تحرير ميسان بحدود (٣٠٠) شهيد من مختلف الرتب (ضباط، جنود) وحوالي (٥٠٠-٦٠٠) جريح.

خسائر الغوغاء: بلغت خسائر الغوغاء في معركة تحرير العمارة لوحدها (٢٠٠٠) الفا قتيل، فيما تجاوز عدد اسراهم ومن القي القبض عليهم اكثر من (٥٠٠٠) خمسة الاف شخص، اما عدد المفقودين خارج المعركة فقد بلغ بحدود (١٠٠٠) الف شخص. كما بلغ عدد قتلى واسرى الغوغاء خلال معارك تحرير بقية مدن وريف محافظة ميسان وبعض اقضية الكوت والناصرية بحدود (٣٠٠٠) ثلاثة الاف شخص.

عندما اتمعن في هذه الاحصائيات لخسائر الطرفين، أخال وكأنني أمام احصائية يجريها قروي لمحاصيله الزراعية وليست احصائية عسكرية. اقرأوا وامعنوا النظر في هذه العبارات مرة أخرى: بلغت تضحياتنا في الايام الأولى من معارك تحرير ميسان بحدود (٣٠٠) شهيد وماذا عن خسائركم في الايام التي تلت الأيام الأولى؟ لا توجد، ثم ماذا تعني كلمة (بحدود) وتزداد الهوة عندما تعطينا الاحصائية اعداد الجرحى حيث تقول: حوالي (٥٠٠-٦٠٠) جريح! من المفروض

في الاحصائيات العسكرية أن تعطينا الارقام بدقة متناهية. قد يحدث لسبب ما أن لاتكون الاحصائية دقيقة ولكن في حدود اعداد قليلة، أما أن يكون الفارق مئة فهذه ليست بأحصائية يمكن الاعتماد عليها، وخاصة بالنسبة للخسائر العسكرية سواء أكان في الارواح أو المعدات!

وعندما يأتي على خسائر الغوغاء في معركة تحرير العمارة لوحدها، تعطينا الاحصائية رقماً دقيقاً وهو: ألفا قتيل والسؤال هو: كيف عرفوا هذا الرقم؟ ولايعرفون خسائر الجيش في الارواح بدقة! كان من المفروض أن يستعمل عبارة (بحدود) أو (حوالي) بالنسبة لخسائر (الغوغاء) ايضاً، لأن معظم الناس في هذه الحالات يدفنون قتلاهم سّراً خوفاً من بطش الحكومة. بينما تجاوز –تقول الاحصائية ايضاً – عدد اسراهم ومن القي القبض عليهم اكثر من (٥٠٠٠) خمسة ألاف.

دخلنا مرة أخرى في (اللا محدد) أي (اكثر من) ما مقداره؟ في حالات الاعتقالات تنظم عادة قوائم دقيقة باعداد المعتقلين واسمائهم الثلاثية والقابهم واعمارهم ومهنهم ومعلومات اضافية اخرى، فلماذا إذاً احصائية مطاطية كهذه؟ الجواب: كان من المفروض أن لاتعطي حتى هذه الاحصائية التقريبية، وأن تتخذ منتهى الحيطة والحذر في الحفاظ على سرية كل ما يتعلق بهؤلاء المعتقلين وأن يتعامل مع هذه المعلومات كما يتعامل مجرم محترف الحريف على أن لايترك وراءه أي اثر يقود المحقيقين اليه.

من حقكم أن تسألوني لماذا هذا التكتم الشديد؟ وأنا اقول: الممارسات الوحشية التي تقترف بحق هؤلاء المعتقلين من تعذيب واعترافات خارج نطاق القضاء يؤدي الى هلاك كثير من هؤلاء المعتقلين.

هل تتذكرون إفادة (مشتاق عبدالوهاب حسين) وكيف شارك مع عدد من الاشخاص الأخرين في فتح قبر جماعي في مقر الفيلق الرابع وعثروا فيه على (١٨٠) جثة، وسوف تقرأون في نهاية هذا البحث جدولاً بعشرات القبور الجماعية المكتشفة في محافظتي البصرة وميسان، من هم المدفونين في تلك القبور إن لم يكونوا من هؤلاء المعتقلين التعساء.

وتعترف الاحصائية بـ(١٠٠٠) الف من هؤلاء المعتقلين، ولكن بعبارات غير مباشرة، فتقول الأحصائية (أما عدد المفقودين خارج المعركة فقد بلغ بحدود (١٠٠٠) ألف شخص). وتعليقنا على هذه المعلومة هو: أن يعرف طرف في المعركة خسائرها البشرية أمر طبيعي، أما أن يعرف عدد المفقودين من الطرف الأخر ومن خارج المعركة! فهذا أمر مستحيل، اللهم الا اذا كان هو الذي تسبب في فقدان هؤلاء، كما هو الحال في الانتفاضة الشعبانية. ذلة لسان هذه كشف لنا عن حقيقة مرعبة.

والان لنأخذ الاحصائية ككل: قلنا أن الاحصائية لم تأت بمهنية عسكرية عالية ولم تكتب بالدقة المفروض توفرها في مثل هذه الاحصائيات العسكرية ولا استبعد انها كتبت على مقاس مزاج الديكتاتور صدام حسين وهل كان يفضل ان تكون خسائر السلطة في الارواح اكبر أم الغوغاء أم بالعكس. انا اعتقد أن خسائر السلطة في الارواح والجرحى مبالغ فيها وهدف الاحصائية في ذلك هو تبرير الفضائح التي ارتكبت من قبل السلطة وكيف انها جوبهت بمقاومة شرسة وتكبدت خسائر فادحة لذلك فعلت ما فعلت...

لنأخذ الاحصائية على الرغم مما عليها من تحفظات ونجري عملية بسيطة بخسائر (الغوغاء) فقط لمدينة العمارة وبقية مدن وريف محافظة (ميسان) وبعض اقضية الكوت والناصرية: (٢٠٠٠) قتيل في معركة تحرير العمارة لوحدها + (١٠٠٠) المفقودين خارج المعركة + (٣٠٠٠) بقية مدن وريف محافظة ميسان = ٦٠٠٠ ستة ألاف قتيل ومفقود. هذا فقط كما قلنا في محافظة ميسان التي حاضرتها مدينة العمارة، وقس على ذلك قتلى بقية المحافظات، هذا ما اعترفت به السلطة أما المعارضة فلها ايضاً احصائياتها التي لاتقارن من حيث الضخامة باحصائيات السلطة فيما يتعلق بالخسائر التي لحقت (بالغوغاء).

وهناك احصائية اخرى وردت بكتاب صدر من نائب رئيس الوزراء (طارق عزيز) بعدد (٢٠٩) في ١٩٩١/١٠/٢٢ موضوعه اجوبة العراق بشأن اسئلة المقرر الخاص للجنة حقوق الانسان في هيئة الامم المتحدة بشأن حقوق الانسان في العراق تضمنت الفقرة

الثالثة من هذا الكتاب على مايأتي: اعلمتنا مديرية الامن العامة، بأن عدد الذين اعتقلوا خلال فترة صفحة الغدر والخيانة (اي الانتفاضة) (١٥١٠٥) شخص ثبت اشتراك (١١٠٠) شخص منهم لقيامهم باعمال القتل وهتك الاعراض ومازالوا ضمن التحقيق وقد تم استكمال الاجراءات التحقيقية معهم بغية احالتهم الى المحاكم المختصة.

انهي عرض الوثائق بوثيقة على جانب كبير من الغرابة بالنسبة لغير العراقي اما بالنسبة لي فقد اثار ضحكي، وقديماً قيل ((شرّ البلية مايضحك))! هذه الوثيقة عبارة عن كتاب صادر من مديرية امن محافظة البصرة بالعدد (١٢٦٢) في ١٩٩١/٥/٦ والمعنون الى اللجنة التحقيقية المشتركة. قبل ان اتطرق الى متن الكتاب اود ان اشير الى المعنى بـ (اللجنة التحقيقية المشتركة) واقول: بعد القضاء على الانتفاضة تشكلت هذه اللجان في كل محافظة من مختلف الاجهزة المعنية، كالأمن والاستخبارات والمخابرات والادارة ومنظمات حزب البعث للتحقيق مع المعتقلين اثناء الانتفاضة او بعدها. وهذه اللجان مرتبطة باللجنة التحقيقية المشتركة التي مقرها العاصمة بغداد. حسناً هذا الكتاب معنون الى هذه اللجنة ومفاده: ((... وردت الينا معلومات مؤكدة تفيد باشتراك المتهمين المدرجة اسمائهم ادناه باعمال الشغب والخروج ضد السلطة ومقاومة الجيش والقيام بالتظاهرات والهجوم على دور الجهاز الحزبي بالمنطقة ولاكمال التحقيق معهم نرسلهم اليكم راجين استلامهم واتخاذ مايلزم والمتهمون هم: (صالح طعمة سلمان، جاعد مزهر حسين، محسن طالب مبارك) وهم من اهالي (الهوير) التابعة لمحافظة البصرة)).

الى هنا والكتاب طبيعي اما ماهو غير طبيعي، وغريب وشاذ بالنسبة لغير العراقي هي العبارة التي وردت في نهاية الكتاب وهي (ونقترح اعدامهم مع التقدير)! لان مدير امن محافظة البصرة يعلم جيداً ان مئات من المعتقلين يقتلون في الاجهزة القمعية بدون محاكمة!!

(١٣)

اضاءة

قد يستغرب القراء من اثارتي لاحداث الانتفاضة الشعبانية في محافظتي البصرة وميسان دون ان أشير الى أي قبر جماعي الذي هو موضوع الكتاب الرئيسي. والمفروض من الكاتب الناجح ان ينأى بنفسه من ادخال مواضيع ليست لها علاقة مباشرة بموضوعه الا بالقدر الذي يخدم هذا الموضوع، حتى لايتشتت فكر القارئ ويصيبه الملل. انا ايضاً لم اشذ عن هذه القاعدة وعندما تطرقت الى الانتفاضة الشعبانية، كنت اريد منه ان يلعب لي دوراً يتعلق ايضاً بالقبر الجماعي، ولو لم يكن بصورة عضوية. دعوني اوضح فكرتي اكثر: هناك مفردات جرمية كبيرة اخرى لنظام البعث كالانفال والبرزانيين والتجار وصلاة الجمعة والكُرد الفيليين وقتل رجال الدين ومكافحة الإحزاب الدينية والعلمانية و... و... الى اخرها والذي كلف الشعب العراقي مع ضحايا حروبه الحمقاء ضد الكُرد وايران والكويت قرابة مليوني قتيل، الا انني لم اجد وثائق تعبر عن عقلية السلطة البعثية اكثر من وثائق الانتفاضة الشعبانية وبالأخص في الاجتماع الذي عقده صدام حسين مع الحزبيين الكبار والقادة الميدانيين ممن اشتركوا في قمع الانتفاضة. لقد عبر الجميع (صدام حسين، عزت الدوري، القادة العسكرين) عن دخائل انفسهم دون رقيب حيث لم يكونوا يتصورون حتى في الحلم ان تقع تسجيلات هذا الاجتماع في ايدي الغرباء وان تذاع امام محكمة ولم ينكر أي واحد من المتهمين ماورد فيها.

ما الذي فهمناه من هذه الوثائق:

١- ان جميع المحافظات قد سقطت خلال ايام ولم يبق في أيديهم سوى الجيش والتنظيمات شبه العسكرية كالجيش الشعبي وافراد الأجهزة القمعية كالأمن

والمخابرات. ولو انضم الجيش او قسم الاعظم منه لانتهى امر البعث منذ ذلك التأريخ. اما لماذا لم يلتحق الجيش بالجماهير المنتفضة؟ لأنه منذ اعتلاء البعث لدست الحكم في تموز ١٩٦٨ لم يكن يقبل في الكلية العسكرية سوى الشباب البعثي ولعب الخوف دوره ايضاً، لان البعث لم يكن يرحم من يخونه، مع عوامل اخرى اقل اهمية.

٢- قادة الجيش ممن اشتركوا في قمع الانتفاضة لهم خلفية مغرقة في الوحشية مع الكُرد بحيث تحجرت مشاعرهم، ولهذا عندما تصدوا للانتفاضة كانوا مهيئين نفسياً لارتكاب افظع الجرائم دون تأنيب الضمير.

ولهذا كانوا يستعملون في حضرة (الديكتاتور) عبارات القسوة والاعدام الردعي وكأنما يتحدثون عن امور روتينية، والا كيف نفسر قول صابر الدوري وهو يزايد على قول صدام حسين ((بوده ان يستعمل القنبلة النووية ضد المحافظات التي سقطت بدلاً من السلاح الكيمياوي)). وظهرت من الوثائق التي عرضت في محاكمة الانفال أن استعمال السلاح الكيمياوي كان يتقاسمه صدام مع صابر الدوري والاخير كان بمثابة العين المبصرة له، فهو الذي كان يزود صدام بكميات السلاح الكيمياوي وانواعه واختيار امكنة استعمالها والظرف الملائم لكل ضربة وحصيلة الخسائر الناتجة من الضربات في الارواح لكونه المدير العام للاستخبارات العسكرية.

وقال صدام تعقيباً على قول الدوري باستعمال السلاح النووي، يقصد صابر لو كان لدينا سلاح نووي لما قاموا بانتفاضة ضدنا، وهذا يعني ان بقاء الحكومة البعثية مرهون بمدى تخوف الشعب من الحكومة.

٣- وهكذا يكون امراً طبيعياً ان لايحاسب احد على ما قام به من مجازر لأن بقاء صدام ونظامه مرهون بهذه المجازر والاعدامات والاعتقالات وممارسات التعذيب حتى الموت. بينما شكلوا لجنة لمحاسبة عبد الغني عبد الغفور وهو من الحزبيين الكبار الذين شاركوا في الانتفاضة بتهمة تهاونه في التصدي للانتفاضة، فتأملوا.

ما الذي كنت ارمى اليه من وراء هذه (الاضاءة)؟ الذي كنت ارمى اليه هو: إذا كان بقاء نظام مرهون بما يقطعه سيفه من رقاب الشعب –كما تبين للقارئ بوثائق دامغة– فان وجود القبور الجماعية امر جد طبيعي في ظل نظام كهذا النظام.

ادعى صدام قبل اعدامه وكذلك عدد من المتهمين في اثناء المرافعة او بعض الساسة البعثيين المتسربلين برداء الديمقراطية في العهد الجديد ان هذه القبور الجماعية في الوسط والجنوب يعود الى ضحايا المؤيدين للنظام او الجنود الذين اشتركوا في قمع الانتفاضة!

اقول لهؤلاء ان الرد على هذه الفرية سهل للغاية: ان حكومة البعث كانت حكومة استخباراتية. إذا كانت الحكومات الديمقراطية تستعين بعدد معين من الأجهزة المختصة بهذا الشأن، فإن النظام البعثي عدى هذه المؤسسات فان حزب البعث وحتى المنظمات المدنية كاتحاد الطلبة والنقابات والتي تعد المنتمين اليها بالملايين، كان عليهم ان لايخفوا اي شئ عن السلطة والا يوردوا انفسهم مورد الهلاك. والسؤال هو: لماذا لم يهتدوا الى هذه القبور ليستغلوها ضد الانتفاضة، بينما عند سقوط النظام البعثي هرع الناس الى هذه القبور لنبشها؟ حسناً هل اخرجوا رفات ضحايا البعث ام ضحايا الانتفاضة؟ انه سؤال محرج لهؤلاء، اليس كذلك؟!

والآن اليكم قائمتين بالقبور المكتشفة الى الآن في محافظتي البصرة وميسان: إن المحافظتين المذكورتين ككل المحافظات الاخرى في العراق والعاصمة بغداد ايضاً لاتخلو من القبور الجماعية، ولو لاحظنا الملحق الثالث والخاص باحصاء القبور الجماعية لوجدنا في محافظة البصرة القبور الآتية:

١. منطقة الطويلة، اواخر عام ١٩٩٠,
٢. العباسية، مقر الحزب الحاكم، اواخر عام ١٩٩١.
٣. مبنى دائرة الصحة الوقائية، اواخر عام ١٩٩١.
٤. ساحة سعد، اواخر عام ١٩٩١.
٥. طريق الزبير، صفوان اواخر عام ١٩٩١.

٦. قرب مركز السعودية، اواخر عام ١٩٩١.

٧. امام سياج كلية التربية الرياضية اواخر عام ١٩٩١.

٨. قضاء صفوان ١٩٩٢/١/٢٩.

٩. قضاء الزبير ١٩٩٢/٥/١١.

١٠. طريق البصرة العمارة ١٩٩٢/٧/١.

١١. كرمة علي ١٩٩٣/٤/٢٦.

١٢. محافظة البصرة، جبل سوم ١٩٩٤/٨/٢٢.

كما عثروا على القبور الجماعية الآتية في محافظة ميسان:

١. جنوب مدينة العمارة، لم يذكر المصدر تاريخ الكشف او الاستحداث.

٢. دائرة إسالة قلعة صالح ١٩٩١/٣/١٠.

٣. منطقة المشرح ١٩٩١/٣/٨.

٤. مقر الفيلق السادس، وتم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٥. العمارة الماجدية، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٦. العمارة، مرقد سيد علي، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٧. العمارة، مفرق عبد العال، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٨. العمارة، مقر الفيلق الرابع، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٩. معمل قصب السكر، اواخر شباط ١٩٩٢.

١٠. مقر الفيلق الرابع، ١٩٩٣/٣/١٦.

١١. هور العمارة، ١٩٩٣/٤/١٤.

١٢. مقر الفيلق الرابع، ١٩٩٣/٤/٢٧.

١٣. منطقة الجدول، خلال شهر اب ١٩٩٣.

١٤. قضاء المشرح، ١٩٩٣/٩/٦.

١٥. قضاء الميمونة، ١٩٩٤/٩/٢٠.

(١٤)

الانتفاضة في كُردستان

انـني لم احـدثكم عـن الانتفاضـة في كُردسـتان. لقـد اختلفـت، وخاصـة في خاتمتها، عن انتفاضة الجنوب والوسط واليكم شرح ذلك: عندما تورط صدام حسين في حرب الكويت عام ١٩٩١ كان لنا مليشيات (پيشمرگه). تشكلت هذه المليشات لأول مرة في ١١ايلول/١٩٦١ اي في زمن حكم عبد الكريم قاسم للمطالبة بالحقوق القومية للكورد ضمن عراق موحد. وقد بقيت هذه القوة تصارع حكومة عبد الكريم قاسم لحين سقوطه في ٨/شباط/١٩٦٣، وبعدها كل الحكومات العراقية التي اعقبت حكومة قاسم، الى ان آلت السلطة الى صدام حسين؛ اي كانت لنا خبرة قتالية، وخاصة في حرب العصابات، طيلة ثلاثة عقود.

عندما اندلعت حرب الكويت عام ١٩٩١ وبهزيمة الجيش العراقي في تلك الحرب، وضعت البيشمركة يده على كل المعسكرات المتواجدة في كُردستان وبضمنها معسكر خالد الهائل في ضواحي مدينة كركوك، كما سقطت المدن (دهوك واربيل والسليمانية وكركوك) نزولاً الى طوزخورماتو وبعض اقضية محافظة ديالى كـ(كفري وخانقين وجلولاء وسعدية) بمقاومة او بدونها.

قلت ان معسكرات الجيش العراقي المتواجدة في كُردستان قد سقطت وبضمنها معسكر (خالد) في ضواحي مدينة كركوك، وبهذا فقد وقعت في اسرنا مجاميع كبيرة من الجنود تعد بالألوف. وكما نعلم ان كل المفردات الكبيرة من الجرائم التي ارتكبت بحق الكورد من تخريب وقتل، كانت تجري على يد الجيش العراقي أي الجنود والآن وقع في أيدينا اعداد هائلة منهم صاغرين مدحورين، لقد

حانت الفرصة اخيراً لنشفي غليلنا منهم ونقيم فيهم مجازر كما فعلوا هم بنا الم يفعل غيرنا ذلك في الحالات المماثلة؟

ولكن هل تصدقوننا إننا عاملناهم معاملة الضيوف، ليس فقط اننا لم نقتلهم، بل حتى لم نقل لهم كلمة نابية، لقد اكرمنا وفادتهم وافرغنا لهم المدارس والمساجد لتأويهم وقدمنا لهم الافرشة والاطعمة على الصعيد الرسمي والشعبي، فمعظم المطاعم علقوا لافتات مكتوب عليها (وجبات مجانية لجنود العرب الاسرى!) وكانوا يتجولون في الشوارع والساحات والاسواق كأي مواطن عادي دون حراسة.

بينما كنت ماراً باحدى الاسواق في تلك الفترة، تقدم مني جندي عربي في حذر وقال لي بانكسار وبصوت خفيض: انني جوعان من فضلك اعطيني ديناراً لكي اشتري به طعاماً. قلت ولماذا دينار؟ اليك بخمسة.

سألني احدهم: ما الذي اراده هذا الجندي؟ قلت انه محتاج وطلب مني بعض المعونة.

فمد يده الى جيبه وفعل آخرون ممن سمع حوارنا وحشوا كفي الجندي بالنقود المعدنية والورقية.

قال الجندي: كافي، كافي، اخاف يشوفوني اصدقائي وانا استجدي. واخفى نفسه في الزحام.

لقد قدرنا ظروف هؤلاء الجنود، لأننا كنا نعلم أنهم أجبروا على قتالنا، وفيهم من يحمل الشهادات الجامعية وكانوا يدركون انهم يخوضون حرباً غير عادلة وغير متكافئة، ولكن ماذا يعملون، ان الارهاب الحكومي لايرحم إذا تمردوا. كان من الممكن ان يكونوا أولادنا، أنهم ضحايا مثلنا ان لم يقتلوا يُقتلون، إنها مسكة مقفلة لا فكاك منها كما في المصارعة.

وعندما اقترب الجيش العراقي من ديارنا.. لم نتخذ منهم دروع بشرية وانما سلمناه الى الحكومة الايرانية كي تسلمهم الى الهلال الاحمر الدولي لتسليمهم الى العراق. سمعنا بعد ذلك، ولا اعلم مدى صحة هذا الخبر، ان الحكومة البعثية قد اعدمهم

بتهمة الجبن والتخاذل وكثيراً ما كانوا يفعلون ذلك في الحرب الايرانية – العراقية ويكتبون على توابيتهم (جبان) وبهذا تحرم اسرهم من الامتيازات التي تمنح عادة الى (شهداء) تلك الحرب. أما الحكومة البعثية، فلم يكن تقبل منا اسرى ومصيرهم هو الموت وليس غير ذلك تماماً كمصير مفرزة معسكر (سيتەك) المارة الذكر.

ان اباءنا واجدادنا صعوداً الى القائد الكُردي النبيل (صلاح الدين الايوبي) قبل الف عام قد افهمونا بأن الشجاع والفارس الحقيقي لايقتل الاسرى والعزل والمستضعفين، ان ذلك من عمل الجبناء. وفي الوقت الذي كان امثال صلاح الدين يبني اهرامات صغيرة من جماجم الاسرى، كان صلاح الدين يعامل اسراه من الصليبين بمنتهى الانسانية بشهادة اعدائه. لقد توارثنا هذا الارث المبارك حتى اصبح جزءاً من تراثنا حيث يقول احد امثالنا: ((حتى الكلب لايهاجم من يقع على الارض))، فكيف بالانسان. لمزيد من المعلومات يراجع القسم الثاني من كتابنا (عالم الكُرد المرعب) وهو بعنوان: الاسرى شتان بين معاملتينا لهم، ص١٦٩-٢٥٢.

ان تراث الامة العربية في معاملة الاسرى والضعفاء لايقل عن تراث الكُرد إن لم يفقه. فها هو النبي الاكرم محمد (صلى الله عليه وسلم) يعامل اسرى معركة بدر باسلوب غاية في التحضر والانسانية، انه لم يقتلهم ولم يعذبهم ولم يكلفهم باشغال شاقة وانما قال لهم: أي واحد منكم يعلم عشرة اطفال القراءة والكتابة يطلق سراحه!! وهذه سنة نبوية واجبة الاتباع في معاملة الاسرى بالحسنى.

بعد ان قمعت السلطة البعثية انتفاضة وسط وجنوب العراق ادارت آلتها الحربية نحو كُردستان فوصلت طلائع الجيش الى المدن الساقطة في الايام الاولى من شهر نيسان. إن تقدم الجيش الى كُردستان قد خلق ظرفاً عجيباً لم يكن يتصوره العقل، ظرفاً خارقاً للعادة قد لايحدث الا مرة واحدة في عدة قرون.

لقد ذكرت كيف اخمد الجيش العراقي ببربريته المعهودة انتفاضة الجنوب، الا انه لم يفعل بكُردستان ما فعله بعربستان بسبب هذا الظرف العجيب عندنا والذي لم يكن في الحسبان ولا خطر ببال احد لا الحلفاء ولا صدام ولا حتى ببالنا

نحن الاكراد خالقي ذلك الظرف!! وهو ان يلجأ الاكراد الى ترك ديارهم والتوجه نحو الحدود الايرانية والتركية. لقد كان قراراً شبه اجماعي لم يناد به احد ولا فرضته علينا جهة سياسية، لقد كان قراراً أملاه الخوف ولا شئ غير الخوف: خوف الناس من ان تكون انباء حركاتهم المناوئة للسلطة في اثناء الانتفاضة قد وصلت الى علم الحكومة كقضائهم المبرم على مئات من افراد الأجهزة القمعية مثلاً، خوف الاف الجحوش الذين قلبوا للحكومة ظهر المجن وربطوا مصيرهم بالانتفاضة وقصموا بذلك ظهر الجيش العراقي، خوف زعماء القبائل مع عائلاتهم ومقاتليهم باعتبارهم مرتدين، خوف الپيشمەرگە الذي لاحاجة للشرح وتذرعهم بأن الواجب يفرض عليهم مصاحبة اسرهم الى بر الأمان كغيرهم وحتى الاقليات المسيحية التي كانت على علاقة طيبة نوعما مع السلطة خافت بدورها من انتقام صدام باعتبارهم متعاونين سلبيين مع الانتفاضة، الخوف من المروحيات المقاتلة والغازات السامة والانفال وتوارد انباء مذابح الجيش الذي اقامها في الجنوب والوسط وخاصة في مدينتي نجف وكربلاء. اخيراً خوف الابرياء من انتقام الجيش العراقي وبطشه على ضوء المذابح الرهيبة التي ارتكبها ذلك الجيش بحق الكُرد في السابق واشرت الى نتف منها في الصفحات الماضية، والتي لم تكن تفرق بين المذنب والبريء.

ولكي أدلل على ان مخاوف الكُرد من الجيش العراقي لم تكن مبالغ فيها اذكر لكم هذه الواقعة والوقائع دوماً اكثر اقناعاً من الكلام المجرد: هناك بلدة صغيرة تقع في منتصف الطريق بين كركوك واربيل تدعى (ئالتون كوبري)، لاتتعدى نفوسها –على اكثر تقدير– خمسة الاف شخص سكانها خليط من الكُرد والتركمان. هل تعرف ماذا حدث فيها عندما اعاد الجيش احتلالها بعد انتفاضة اذار ١٩٩١؟ جمع الضابط المسؤول عن ذلك القاطع بعد حملة تفتيشية عاجلة ثمانين شخصاً من سكانها واعدمهم في الحال رمياً بالرصاص دون اجراء اي تحقيق او محاكمة!! مع انني لا اشك في أي نبأ يتحدث عن المذابح الجماعية التي يرتكبها الجيش العراقي الا أنني تأكدت من ذلك من مصدر موثوق عن طريق الصدفة المحضة.

بينما كنت اقود سيارتي قادماً من اربيل الى كركوك في وقت متأخر في احدى امسيات صيف عام ١٩٩٢ ترجّاني الضابط المسؤول عن نقطة تفتيش ئالتون كوبرى بلطف ان أحمل معي الى كركوك شابين مدنيين كانا واقفين معه وقبلت رجاءه عن طيب خاطر. وبعد ان قطعنا مسافة من الطريق معاً، شرعنا في تبادل الأحاديث باللغة الكُردية فتبين لي من لكنتهما أنهما تركمان ويسكنان في كركوك. لقد لاحظت عليهما علائم الحزن وكذلك احتقان في اجفانهم، كالذي يشاهد عند من بكي كثيراً.

ابديت استغرابي لهما عن بقائهما في ئالتون كوبرى الى هذا الوقت المتأخر والذي ينقطع فيه مرور السيارات بسبب الأوضاع الأمنية. فأجهش احدهما بالبكاء! وقال لي الآخر: لقد كنا في زيارة قبور شهدائنا! قلت متسائلاً:

– اي شهداء ؟

– شهداء المذبحة التي جرت هنا بعد الانتفاضة

– آه، قلت: لقد سمعت عن تلك المذبحة، الا أنني لم اتاكد من صحتها.. قل لي كم كان عدد الضحايا؟

– ثمانين شخصاً وهم الآن في مقبرة خاصة بهم! وكان من بينهم اثنان من اقربائنا، ربما قال اشقائنا، لايحضرني بالضبط واعتقد انه قال طبيب وصيدلي او مهندس وطبيب لااتذكر بدقة!! قلت له: وماذا كان ذنبهم؟

– كل ذنوبهم انهم التجأوا الى بيوت اقربائنا هناك هرباً من جحيم المعركة التي كانت تدور رحاها في كركوك بين الجيش والپشمەرگه. عند استعادة الجيش للمدينة ولأنهم لم يكونوا من سكان ئالتون كوپرى فقد اعتبر قائد القوة ذلك دليلاً على معاداتهم للحكومة وانهم لم يتركوا كركوك الا خوفاً من القصاص بعد احتلال الجيش للمدينة!! وهذا كل مافي الامر! والآن هل علمتم بسّر هذا الاجماع الكلي للكُرد على ترك ديارهم؟!!

لنرجع الآن الى موضوعنا الاصلي اي الهجرة الجماعية المليونية:

لقد كان هجرة جماعية قلما شهدت البلدان الاخرى لها مثيلاً. فما ان يقترب الجيش حتى يشرع الناس بترك دورهم وديارهم وهم يحملون ما خف وزنه وغلا ثمنه وكلما وصلوا الى مجمع حيث لم تبق للقرى وجود التحق بهم اهل المجمع. وهكذا كان عدد المهاجرين يزداد باطراد كلما تقدموا في مسيرتهم كما يزداد حجم الأنهر عندما تصب فيه الروافد.

بعد غروب يوم ١٩٩١/٤/٣ وصلت طلائع المهاجرين الى مدينة السليمانية. كان منظرهم يثير الهلع! الوف مؤلفة من النساء والرجال والاطفال يحملون متاعهم على ظهورهم يمشون بصمت تحت المطر منهوكي القوى جياع، فأجهش أولادي بالبكاء وكانوا يشاهدون معي تلك المأساة ولم يكونوا يتصورون ان نعاني نحن ايضاً مايعانون بعد ساعات، ففي منتصف تلك الليلة بدأ سكان السليمانية ايضاً بمغادرة المدينة. ويمكنكم تصور اي زحام يحدث على الطرق العمومية اذا هاجرت مدينة تعداد سكانها ربع مليون شخص فجأة!!

ان ماحدث في محافظتي كركوك والسليمانية حدث مثله ايضاً في اربيل ودهوك وفي كل مكان من كُردستان وكأن اسرافيل قد نفخ في صوره معلناً قيام الساعة! ولو ربطت سيول المهاجرين بعضها الى البعض لبلغ طولها الوف الكيلومترات. كيف توصل الناس، كل الناس فوراً ودون ابطاء الى هذا القرار الاجماعي بالهجرة؟! هنا وجه الغرابة.

الخوض فيما لاقاه شعبنا من المحن والويلات في تلك الهجرة الجماعية وعن الذين لاقوا حتفهم (وكانوا بالالوف) من الانهاك والبرد والجوع او من جراء الحوادث عند عبورهم للجبال والأنهر الهادرة حتى وصلوا الى الأراضي الايرانية والتركية،امر يطول شرحه، ولكن الذي يهمني ذكره هو الوضع الدقيق الذي خلفته تلك الهجرة لحكام البعث والدول المتحالفة معاً.

لقد صعق حكام البعث عندما وجدوا المجمعات والمدن خالية من سكانها ورغم بلادتهم وأدمغتهم الناشفة، فقد ادركوا ان هذه الهجرة الجماعية لابد وان تتمخض عن نتائج لاتكون في صالحهم. فأصدروا فوراً عفواً عاماً كما لم يتعرضوا

بسوء الا قليلاً للمهاجرين، ولكن لم يفدهم كل ذلك لقد جاء بعد فوات الآوان. أما بخصوص الدول المتحالفة، فقد ادركوا هم ايضاً بأن شعوبهم لن تغفر لهم هلاك شعب مغلوب على امره كالكُرد من اجل خلاص حفنة من أباطرة البترول في الكويت!

وهكذا ظهر الى الوجود الملاذ الآمن على غرار المحميات التي تخصص للحيوانات المهددة بالانقراض، إذ بموجب هذا الملاذ لايحق للجيش العراقي ولا لقواته الجوية تخطي خط العرض السادس والثلاثين. وقد شملت تلك الحماية معظم المناطق الكُردية وشرع الناس بالعودة من ايران وتركيا الى محلات سكناهم.

والسؤال هنا ما الذي كان يحدث لنا لو لم نقم بتلك الهجرة المليونية؟ بدون شك كان ينتظرنا مصيراً رهيباً قياساً على الاجراءات القمعية التي كانت تتخذها السلطة البعثية في الحالات المماثلة بحيث تصبح مجازر الانتفاضة الشعبانية هينة مقارنة بهول ماتحدث عندنا.

بنكەی ژین
www.zheen.org

بنکەی ژین
www.zheen.org

(١٥)

صدام حسين، واكذوبة التدين

عندما كان صدام حسين يحضر جلسات محاكمة الدجيل وعدداً من جلسات محاكمة الانفال قبل اعدامه في كانون الاول من عام ٢٠٠٦، كان يصطحب معه باستمرار نسخة من القرآن الكريم، حتى يوحي لمن لايعرفه على حقيقته بأنه انسان مؤمن يخاف يوم الحساب في الآخرة!

وقبل أيام زاد جريدة الـ (كارديان) في الطنبور نغمة، حيث نقل لنا معلومة مفادها: إن صدام حسين قد كتب نسخة من القرآن الكريم بخط يده. وهذا أمر طبيعي يفعله كثيرون منا إذا منحهم الله خطاً جميلاً. ولكن المعلومة تضيف شيئاً استثنائياً قلما يحدث لدى الآخرين وهو أن صدام لم يستعمل الحبر كما يفعل غيره، وانما كتبه بدمه والعياذ بالله!! لقد سفك صدام دماء مئآت الالوف وهاهو في النهاية يسفك دمه ايضاً انه ولع غريب في بابه!!

إن تصرف صدام هذا، مارسه قبلاً طغاة مسلمون اخرون والذين تضيق بهم صفحات التأريخ الاسلامي، لقد كانوا يسفكون دماء آل البيت الاطهار وفي الوقت نفسه يغدقون الهدايا والاموال الطائلة في تعمير الكعبة المشرفة! وبينما كانوا يحرقون الحرث والنسل والزرع والضرع يأتون الى المراقد المقدسة ويطلون قبابها ومنائرها بالذهب الخالص. انهم كانوا يبنون المساجد والزوايا والتكايا ويؤدون الصلاة في مواقيتها ويصومون ويحضرون خطب الجوامع والجمع أو يحجون الى بيت الله الحرام ويسكبون دموعاً ساخنة على استاره كل ذلك لا يمنعهم بعد ذلك من سفك دماء الناس ظلماً وعدواناً أو الاتيان بكل ما نهى عنه الله.

يعرف هذا السلوك في علم الاجتماع بـ (الازدواجية)، وهو غير (الانفصام) في علم النفس أي الجنون. المزدوج، انسان عاقل وقد يكون على درجة كبيرة من

الذكاء، ولكن علّته هي: أن الفكر او الدين وهنا الاسلام الذي يؤمن به المزدوج وهنا صدام حسين، لم تتغلغل مبادئه السامية في اعماقه في الاخوة والمساواة في الحقوق والتسامح والتعايش السامي بين بني البشر بغض النظر عن اختلاف العرق او الدين او المعتقد السياسي بحيث تصبح عنده سلوكاً يومياً ومنهجاً له في الحكم والحياة. لذلك ففي كل تجربة له مع هذه القيم والمثل الرفيعة، فان غريزته البدائية غير المشذبة في القتل والتدمير والتملك ورغبته في الاستحواذ تتغلب على مثله الاسلامية التي لم تأت الا لكبح جماح هذه النزعات الحيوانية عند الانسان.

وهكذا ان تدين المسلم يتحدد بمدى امتثاله لأوامر الله ونواهيه، أي تطبيق مبادئه في مفردات حياته اليومية وليس بحمله للقرآن الكريم او تلاوته الببغائية له او حتى كتابة آياته الكريمة بدمه، كما يشاع عن صدام حسين، وان دل عمله هذا على شيء فأنما على جهله المطبق بفلسفة الدين وحكمته او دعيّاً لايبغى من وراء ذلك سوى خداع الناس والضحك على ذقونهم.

هذا الدجل ليس بالأمر الجديد على صدام حسين، فقد سبق وأن نظم شجرة تعود بنسبه الى العترة النبوية أي الى فاطمة الزهراء بنت الرسول عليهما افضل الصلاة والسلام. كما لقب نفسه بـ (عبدالله المؤمن) وأضاف بخطه كلمتي (الله اكبر) الى العلم العراقي وفرض على العباد، كلما أتوا على ذكر اسمه شفاهاً او كتابة دعاء (حفظه الله ورعاه).

لكي ندلل كم كان عبداً مؤمناً، نقول: عندما دمر خمسة الآف قرية كُردية كان في كل قرية مسجداً وكان في المدن الصغيرة كمراكز النواحي والأقضية والتي دمرت بالعشرات ايضاً اكثر من مسجد في كل منها. وقتل من رجال الدين بالعشرات وكان عيونه مبثوثه في المساجد ومزارات الاولياء لتترصد الشباب المتدينين، ومن ثم اختطافهم الى حيث لارجعة بعده. هكذا كان نوع وحجم جرائمه وهو عبد مؤمن والسؤال هو: لو لم يكن عبداً مؤمناً فماذا يكون حال العراقيين؟!

ولكي اقنعكم استقرائياً، أي بالوقائع والشواهد أن القيم الاسلامية لم تتعدى سطح جلد صدام حسين، ناهيك عن ترجمتها عنده الى عمل ونهج في الحياة والحكم اقرأوا معي هذه الآيات القرآنية والتي قيل انه كتبها بدمه!

لقد لاحظتم من النماذج القليلة التي عرضناها لجرائم صدام حسين، كيف انه لم يكن يأبه بحياة مواطنيه ويقيم فيهم مجازر لأتفه الاسباب او بدونها وبأبشع الطرق واكثرها وحشية لالقاء الرعب في قلوب من يفكر في معارضته من الاحياء مستقبلاً. والآن لنر هل ان الاسلام ينظر بهذه الاستهانة والاستخفاف الى أرواح الناس؟ أم يحميها ويحافظ عليها من ان يتعرض لها أحد بسوء؟

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة المائدة، الآية (٣٢) مايأتي: ((من قتل نفساً بغير نفس او فساد في الارض، فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً)) (صدق الله العظيم). من هذه الآية الكريمة يتبين لكم ثقل الاثم الذي يحمله شخص عندما يقوم بقتل انسان دون وجه حق، او عظم الثواب الذي يناله عند انقاذه روحاً من الهلاك. هذا هو احترام الاسلام لحق الانسان في الحياة.

قد يجادلنا صدام في ان كل من قتلهم كان نفساً بنفس او لقطع دابر الفساد في الارض واستشرائه. اني اترك اجابة صدام الى قناعة القراء بعد ان عاينوا نتفاً من مفردات جرائمه. اما انا، فأنني أوجه اليه سؤال يحسم لنا الأمر ولكن بعد هذه المقدمة: في الجاهلية، أي قبل ظهور الاسلام، كانت هناك عادة وأد البنات فور ولادتهن، فنهى الله جل شأنه عن ذلك وقد جاء النهي في قالب سؤال يصعب الاجابة عنه وهذا السؤال ورد في الآية (٨) من سورة التكوير. والسؤال كان: ((وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت ؟!)) (صدق الله العظيم)، فكف من آمن منهم بالاسلام عن هذه العادة الذميمة.

والآن نحن نوجه نفس السؤال بعد ان عثروا في قبوره الجماعية على عشرات الاطفال الرضع او من كن اجنة في بطون امهاتهن ونسأل صدام لأي ذنب قتل هؤلاء الرضع؟ انه يعجز عن اجابة مقنعة كما عجز عنه كفار الجاهلية من قبله!

من هذا الحرص المبالغ فيه للاسلام على سلامة الانسان، انبثق مبدأ يعرف اليوم في التقنينات الوضعية الجزائية بـ (شخصية العقوبة)، أي أن العقوبة يجب ان لاتنال سوى الفاعل. كان للعرب شرف تبني هذا المبدأ قبل كافة أمم الارض على الأقل بألف عام فها هو الخالق الاعظم يقول في القرآن الكريم في سورة (فاطر) الآية (١٨): (ولاتزروا وازرة وزر اخرى) صدق الله العظيم.

ماذا كانت حكمة هذا النص؟ حكمته هي: للمحافظة على ارواح الناس الابرياء اولاً والحد من ازدياد الخسائر الروحية إذا تعدت الاوزار الى الآخرين. ولكن رأينا صدام كيف كان يعدم الوالدين مع المعدوم وفي حالة عدم وجودهما فاقربائه الاخرين الى الدرجة الرابعة! واحياناً كانت الاسرة تدفع الثمن او العشيرة والقرية، عندما تقصف بالعتاد التقليدي وحتى الكيمياوي، وفي بعض الاحيان مدينة بأكملها كـ (حلبجة) مثلاً عندما قصفت بالسلاح الكيمياوي، وقد شاهد المجتمع البشري هذه الكارثة الانسانية الأضخم من حيث عدد الضحايا بسلاح من هذا النوع، حيث مات في الحال خمسة الاف شخص دون تمييز.

وهناك تطبيق آخر لشخصية العقوبة في الاسلام ورد ايضاً في القرآن الكريم في سورة (البقرة) الآية (١٧٩) حيث يقول: ((ولكم في القصاص حياة يا اولى الالباب)) (صدق الله العظيم). وسبب نزول هذه الآية ان القبائل العربية درجت في زمن الجاهلية ايضاً أي قبل الاسلام، إذا قتل فرد منهم فلا يحصرون ثأرهم في الشخص القاتل وحده وانما تتعدى الى اسرته وعشيرته ايضاً وكل من ينتمي اليه بشكل من الاشكال، حتى وإن كانوا ابرياء، أي لم يكن لهم علاقة بما فعله القاتل، فالكل مستهدفون تماماً كشخص القاتل. والانكى من ذلك أن ذوي القتيل او عشيرته لم يكونوا يكتفون بقتل العدد الذي قتل منهم وانما كانوا يغالون في الانتقام حتى ولو وصلت الى حد الابادة الجماعية، فنهى الله عزوجل عن هذا الانتقام اللاعقلاني وقال في هذه الآية الكريمة مامعناه: لو حصرتم القصاص في شخص القاتل او القتلة لكتبت الحياة لبقية ذوي القاتل. وقد حدثتكم قبلاً كيف ان الحكومة البعثية على

هدي الجاهلية الاولى عندما يقتل مسؤول حكومي او احد الموالين لهم تقتل في موقع الحادث اضعاف مضاعفة من الموقوفين السياسيين الذين لم يكن لهم علاقة بالقتل كما فعلت مع مجموعة (خبات) المارة الذكر وكان عددهم تسعة موقوفين انتقاماً لدم نائب ضابط ظهر فيما بعد ان جندياً عربياً هو الذي قتله لوجود ثأر قديم بين اسرتيهما، فتأملوا.

ولكي اثبت لكم بأن هذا الاجراء كان نهجاً وليس حدثاً عارضاً، اعطيكم نموذجاً آخر من هذا الاجراء: هل تتذكرون القاتل المأجور (أ. ق) الذي كانت تكافئه مديرية أمن السليمانية بالف دينار عن كل رأس مقطوع؟! وقلت ايضاً انه وقع في قبضة احدى مفارزنا الداخلية فكان في ذلك نهايته ونهاية معظم طاقمه الآثم، حسناً قامت السلطة انتقاماً لدم هذا السفاك بجلب ثمانية موقوفين من سرية طوارئ الامن في السليمانية وتم تنفيذ حكم الاعدام فيها رمياً بالرصاص في موقع الكمين الذي نصب له ولطاقمه.

كان من ضمن هؤلاء الموقوفين صبي ينادي باستمرار والدته لتأتي وتنقذه من الموت! قال اخر وكان اصلب عوداً: اننا لم نسمع بمقتل (أ. ق) الى الآن لأننا موقوفون قبل مقتله بشهور، كما اننا لم نفعل شيئاً آخر حتى نستحق عليه الاعدام. وقال شيئاً اخر يبعث القشعريرة في الجسد، قال: كما سحبوا معظم مافي عروقنا من دم! لأن الحرب الايرانية العراقية كانت على اشدها وان الجرحى العراقيين كانوا بحاجة الى دماء ساخنة! ومن تلك التجربة اتعظ المنفذون، ففي المرات القادمة كانوا يضعون اشرطة لاصقة على افواه المعدومين لمنعهم من الكلام. أما انتقام صدام من قبيلة برزان، فقد كان رهيباً كما رأيتم حيث بلغ عدد الضحايا بحسب الوثائق الرسمية (٢٢٢٥) فرداً من ذكور القبيلة من عمر (١٥) سنة فما فوق حيث ارسلوا الى صحارى البادية الجنوبية الى منطقة (بصية) المتاخمة للحدود السعودية وقتلوا هناك. هؤلاء الضحايا لم يكن لهم ذنب سوى انتمائهم العشائري للبرزانيين ليس إلا!! وهكذا كان صدام يتصرف بعقلية الجاهلية وكأنه لم يعتنق الاسلام بعد. إن النبي (صلى الله عليه

وسلم) والخلفاء الراشدين الذين تولوا الخلافة بعد وفاته لم يكونوا يعانون من هذه الازدواجية. فها هو الخليفة الاول ابوبكر الصديق (رضي الله عنه) يقول في خطبة تنصيبه بعد ان بويع من قبل المسلمين: ((ايها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم..))، أي انه الغى كلياً إدعاء الاباطرة والملوك الى وقت متأخر انهم من طينة والرعية من طينة اخرى وان في عروقهم تجري دماء زرقاء وانهم خلقوا لكي يسودوا بمشيئة الهية وما على الناس الا الطاعة والخضوع.

أما الاسلام فقد ساوى بين الناس ((الانسان سواسية كأسنان المشط)) واتى بمعيار آخر للصلاح وهو (التقوى) ((لافرق بين عربي او اعجمي الا بالتقوى))، او ((إن اكرمكم عند الله اتقاكم))، أي ان سمو الانسان ورفعته وقدره مرهون بمدى اطاعته للمبادئ الاسلامية التي لم تأت الا لخير الانسان.

ثم يستمر الخليفة في خطابه ويتحفنا بنظام حكم لم يتوصل اليه المجتمع البشري الا بعد مخاض طويل استغرق اكثر من الف عام يعرف بعض اشكاله بالملكية المقيدة اي مقيدة بالدساتير فيقول: ((اطيعوني مااطعت الله فيكم ورسوله))، اي دستور الاسلام المتمثل بمبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية. ثم يستطرد قائلاً: ((فإن عصيتهما فلا طاعة لي عليكم))، أي اذا اصررت على البقاء على الرغم من مخالفتي لاوامر الله وسنة رسوله، فلكم ارغامي على التنازل بالقوة!

بعد مرور مايقارب من الف عام نادى فيلسوف فرنسي في القرن السابع عشر يدعى (جان جاك روسو) بنظرية يشبه الى حد كبير خطبة (ابو بكر) ولكن بصورة معكوسة، فقد ثار روسو في مواجهة ملوك اوربا الذين كانوا يحكمون بما يسمونه بالتفويض الالهي، قال (روسو) انكم تمثلون الشعب وليس الله. مهمتكم خدمته فاذا تهاونتم او انحرفتم عن جادة الصواب فيحق للشعب عزلكم.

كان لهذه النظرية تأثير هائل على الانظمة الديكتاتورية في اوربا واندلاع الثورة الفرنسية الذي اطاح بالملك لويس السادس عشر في تموز ١٧٨٩ كانت من نتاج هذه

النظرية. غير ان فكر (ابو بكر) كان اكثر تطوراً فبينما يأخذ (روسو) بتلابيب ملوك اوربا، كان ابوبكر هو الذي يفهم الرعية بحقها في محاسبته وتنحيته عن الحكم.

لماذا كان ابو بكر يفعل ذلك؟ لأنه كان يخاف يوم الحساب في الآخرة. فخير له ان يعزل عند اول هفوة تبدر منه، من ان يتمادى في غيه ويثقل موازينه بالآثام عند يوم الحشر. أما صدام حسين، فيظهر انه لم يكن يؤمن بالاخرة حتى يخافها، والا لما ارتكب كل هذه الاثام. لقد كان يعلم علم اليقين ان سياساته الخرقاء في الداخل والخارج هي التي ادت الى افقار الشعب العراقي وجعله لابناء الناس وقوداً رخيصة في حروبه الحمقاء وكذلك مظالم اجهزته القمعية التي لم تكن ترحم ونظامه الديكتاتوري الدموي الذي قلما شهد له التأريخ مثيلاً هو الذي ادى الى قيام الانتفاضة في عموم العراق ومع ذلك قمعها بهذه الدموية التي عرضناها عليكم، فهو باقي سواء اطاع الله او عصاه.

عندما كنت اكتب هذا الموضوع (كانون الاول ٢٠١١) اجتاحت مملكة التونس مظاهرات دامية نتيجة الفقر والبطالة والفساد الاداري والمالي للحكومة وعلى رأسها رئيس الجمهورية (زينالعابدين بن علي واسرته والمقربين اليه) وان حكمه الذي طال (٢٣) عاماً لم يجلب للشعب التونسي ماكان يأمله من حكومة رشيدة.

انا اقدر (زين العابدين بن علي) لسبب واحد على الرغم من كل مساوئه وهو (ارتضائه لنفسه بالهزيمة!) وتركه للبلاد هو واسرته بعد شهر فقط من التظاهرات وخسائر روحية قدرت بمائة متظاهر فقط.

كان في مقدور (زين العابدين بن علي) ارتكاب مساوئ اكثر، كما فعل نظيره صدام حسين الا انه لم يفعل وهذا ما دفعني الى تقديره واذا قدر له ان يحاكم فعلى المحكمة ان تعتبر ذلك كظرف مخفف له. أما صدام فلكي يجدد حكمه احد عشر عاماً اخر كلف الشعب العراقي في الوسط والجنوب فقط في اثناء الانتفاضة ثلاثمائة الف قتيل ومعدوم!! هذا عدا ضحاياه الروتينية خلال الفترة التي اعقبت الانتفاضة لحين سقوط نظامه في شباط ٢٠٠٣.

الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نهى عن التعذيب في التحقيق، ففي رسالته التشريعية الى عامله في الكوفة (ابو موسى الاشعري) التي تعتبر اقدم وثيقة في المحاكمات العادلة قال: ((ليس الانسان بأمين على نفسه اذا أُخيف او أُجيع))، اي يتخلى الانسان عن حياته اذا استمر تعذيبه وتخويفه وتجويعه فيقول لنفسه: ان الموت لحظة الم وخوف ثم تنتهي اما الوضع الذي انا فيه فهو عذاب مقيم لذلك فأنه يختار الموت لأنه اهون عليه!!.

قال عمر هذا قبل الف واربعمائة وثلاثين عاماً ولكن اوربا الى القرون الاخيرة كان يعتبر الاعترافات المنتزعة بالتعذيب سيد الادلة في ادانة المتهم لذا كان المحققون يستخدمون اكثر اساليب التعذيب ايلاماً كصب النحاس المصهور في آذان المتهمين وقس على ذلك.

وقد رأينا كيف مات ثلاثة من الموقوفين تحت التعذيب في يوم واحد من بين معتقلي الاربعة والاربعين في منع التجوال الذي اعلن عنه يوم ١٩٨٥/١٠/١٧. كل معتقل سياسي يمر في فترة التحقيق بمرحلة تعذيب لاتحتمل ينجح قلة من المتهمين من اجتيازها بدون اعتراف. ولاينجو في اجتيازه الا قلة قليلة منهم، أما البقية فأما أن يعترفوا بالحقيقة أو حتى زوراً على انفسهم للتخلص من جحيم التعذيب وليكن بعد ذلك الطوفان أو يكون من الهالكين لا محالة. ولكن اثبت لكم بأن وفاة هؤلاء الثلاثة تحت وطأة التعذيب لم يكن بالامر الشاذ، ولهذا أستعير لكم واقعة تعذيب أخرى من كتاب آخر لي سوف يأخذ طريقه قريباً الى الاسواق بعنوان (العدالة، عندما تضيع أو قضية الدجيليين).

للتعريف بهذه الواقعة نقول: بتاريخ ١٩٨٢/٧/٨ في زياره لصدام حسين الى مدينة الدجيل وهي مدينة وادعة تحيط بها البساتين كأحاطة السوار بالمعصم تقع على بعد (٦٠) كيلومتراً شمال بغداد على الطريق العام بين بغداد والموصل.

اطلقت من بستان مجاور للطريق الذي سلكه موكب الرئيس صدام عيارات نارية، ومع انه لم يصب أي فرد من حماية صدام أواية سيارة بأذى، وأن

التحقيقات الموقعية الرسمية أثبتت بأن فوهة البندقية التي أطلقت العيارات منها كانت موجهة الى الاعلى وجدار البستان المبنى من الطين كان يعلو مترين بحيث تحجب الرؤية عما يجري خلفه. ومع ذلك اعتبرت الاطلاقات محاولة لاغتيال الرئيس وليكن الله بعد ذلك في عون الدجيليين.

وصل عصر ذلك اليوم (برزان ابراهيم) الأخ لأم صدام حسين ورئيس جهاز المخابرات ومسؤول القوة الخاصة بحماية الرئيس الى مدينة الدجيل لتولى التحقيق وهو معروف بقسوته عند التصدي لمناويء نظام أخيه من الأم صدام حسين.

في الايام الثلاثة التي قضته (برزان) في الدجيل اعتقل مئات المواطنين على اساس اسروى، أي جميع افراد العائلة صغاراً وكباراً رجالاً ونساءاً، وارسلوا بعد ذلك في حافلات على وجبات الى جهاز المخابرات في بغداد.

مكثوا هناك قرابة شهرين تعرضوا خلالها الى اقسى انواع التعذيب لانتزاع الاعترافات منهم واغتصبوا عدداً من النساء، بعد ذلك تم تفريق المعتقلين فارسل القسم الاعظم منهم وخاصة الشيوخ والنساء والاطفال الى معتقل صحراوي يسمى (ليا) في صحاري محافظة المثنى. أما البقية فكان عددهم عبارة عن (١٤٨) فرداً فقد تقرر احالتهم الى محكمة الثورة برئاسة رئيسها السيء الصيت (عواد البندر).

بوصول قرار الاحالة الى المحكمة من ديوان رئاسة الجمهورية، اصدرت محكمة الثورة في مدة اقل من اسبوعين قراراً بتاريخ ١٩٨٤/٦/١٦ يقضي بأعدام جميع المتهمين البالغ عددهم كما قلت (١٤٨) فرداً دون اجراء مرافعة أو حضور المتهمين، أي على الاوراق فقط وبنفس تسلسل الاسماء الذي ورد في قرار الاحالة!!

دعونا من هذا، أن الذي يهمنا الآن هو الاتي: في اثناء تنفيذ حكم الاعدام بالمدانين، تبين غياب اربعة منهم، فكان على (حسن عبدالامير ومهدي عبدالامير وولديه صلاح وفلاح) املاء هذا الفراغ وهؤلاء كانوا محجوزين ولم يصدر أي قرار بحقهم من المحاكم!! وكان هذا تقليداً جارياً في زمن البعث!

وتبين فيما بعد أن الاربعة المفقودين كانوا من ضمن المبعدين الى معتقل (ليا) الصحراوي، أما كيف علموا بذلك؟ بعد قضاء اربعة سنوات في ذلك المعتقل القصي الصحراوي رق قلب صدام وعفا عنهم ورجع من بقى منهم على قيد الحياة وكان عددهم ثلاثمائة شخصاً.

بعد عودة المعتقلين من المنفى راجع كل من (علي حبيب جعفر وجاسم محمد الحتو) دائرتهما –إذ كانا موظفين لدى الدولة– وطلبا اعادتهما الى الخدمة. وبعد تدقيق اوراق قضية الدجيل من قبل جهاز المخابرات تبين انهما محكومان بالاعدام وقالا: كيف يمكن ذلك ونحن لم نحضر امام اية محكمة ولأول مرة نحن نسمع بهذا الخبر!

يفاتح جهاز المخابرات رئاسة الجمهورية مقترحاً عليها اصدار مرسوم جمهوري بالعفو عنهما. مضيفاً: مع العرض أنه تم تحديد المقصرين عن هذه الحالة وسوف تتخذ الاجراءات لمحاسبتهم.

فأمر صدام –كما ورد في التقرير– بأجراء التحقيق في هذا السهو باشراف العقيد حسين مدير جهاز الأمن الخاص [يقصد صهره حسين كامل– المؤلف]. وكذلك تنظيم مرسوم جمهوري بأعفائهم من عقوبة الاعدام. وقد تفلسف صدام قليلاً عند تبريره لقرار العفو هذا فهو يقول: ((لن تكون الصدفة او السهو اكثر رأفة منا حتى عند لاتكون الرأفة لمن يستحقها)).

يريد ان يقول لنا صدام بعباراته الركيكة: لو لم يكن في تنافس مع السهو والصدفة، لما استحق هذان الشخصان الرأفة، اذا لااكون مخطئاً في فهمي لقصد الرئيس، فكلمة (عند) يجب ان يكون (عندما) وان (لا) النافية يجب ان تسبق كلمة يستحقها عندئذٍ يستقيم المعنى.

وقد ورد في نفس التقرير معلومات حول هوية الشخصين كمايأتي:

١. ان عمر المدان الاول جاسم محمد رضا الحتو (٦٣) سنة واعدم ثلاثة من ابنائه وقتل الرابع في موقع الحادث اما المدان الثاني، فعمره (٥٠) سنة واعدم احد ابنائه وفقد الاخر. والآن يمكنكم تصور قسوة صدام حسين وتحجر مشاعره تجاه أب

اعدم ثلاثة من ابنائه وقتل الاخر اثناء حادثة الدجيل عندما اطلق حمايته النار على الاهالي عشوائياً في اثناء المحاولة المزعومة لاغتياله والآخر اعدم احد أولاده وفقد الثاني ولم يعثروا له من اثر. هؤلاء لم يكن يستدر شفقة صدام إن لم يكن في سباق مع الصدفة والسهو؟!! فتأملوا.

هذا التقرير واحد من اهم الوثائق التي اعتمدتها المحكمة الجنائية العليا في كيفية قيام محكمة الثورة بمحاكمة متهمي قضية الدجيل لأن هذا التقرير صادر من لجنة رسمية شكلته صدام حسين كما قرأتم.

وقد ورد فيه ايضاً، تم تدوين اقوال هذين الشخصين مع عدد آخر من المدانين صورياً وبنفس هذه الحالة جرت مرافعتهما مع بقية المتهمين بالقضية وصدرت الاحكام بحقهم من قبل محكمة الثورة بالاعدام شنقاً حتى الموت على اوراق القضية (من دون مرافعة) العبارة (من دون مرافعة) ورد في التقرير وليس توضيحاً مني.

وحول وفيات التعذيب في صفوف متهمي الدجيل يقول التقرير: تم التنفيذ بالمدانين المتبقية ((حيث مات عدد منهم اثناء التحقيق)).

وقد ورد في مكان آخر من التقرير مايلي: وخص في تنفيذه لجهاز المخابرات [أي تنفيذ حكم الاعدام بمداني الدجيل- المؤلف] وحين وروده الى الجهاز، تم الامر بتنفيذه فوراً، وكلف ضابط التحقيق حكمت عبد الوهاب بذلك، وقام هذا الضابط بالتنسيق مع الجهات المعنية، وطلب من قطاع موقف جهاز المخابرات في سجن ابي غريب، بتهيئته القوائم الموقوفين في جريمة حادث الدجيل النكراء، وتم تزويده باسمائهم البالغة (٩٦) شخصاً من بينهم اربعة وهم: (مهدي عبد الامير وحسن عبدالامير وصلاح مهدي عبدالامير وفلاح مهدي عبدالامير كانوا محجوزين مع المدانين دون ان يصدر بحق هؤلاء) وبإستبعاد المغدورين الاربعة، عدد المتبقى من مداني الدجيل الذين سلموا الى الضابط حكمت عبد الوهاب كانوا عبارة عن (٩٢) فرداً وبطرح هذا الناتج من مجموع المتهمين الذين حكمت عليهم محكمة الثورة

بالاعدام والذي قلنا انهم كانوا (١٤٨) فرداً نحصل على ماذا؟ على عدد الذين ماتوا تحت التعذيب اي (٥٢) فرداً!!

إن صدام حسين لم يشكل لجنة للتحقيق، فكيف يمكن ان يحاكم متهمون بدون اجراء مرافعة وتوكيل محامي للدفاع عنهم وغيرها من ضمانات المتهمين وبعد ذلك تحكم على (١٤٨) مواطناً بالاعدام، كما لم يشكل ايضاً لجنة تحقيقية للوقوف على ملابسات موت (٥٢) مواطناً اثناء التحقيق هل ادركتم لماذا؟ لأنه بكل بساطة يعلم ان بقاء حكمه مرهون بهذه الاعدامات والوفيات جراء التعذيب.. والغريب في الأمر ان (محضر تنفيذ حكم الاعدام) الذي نظم بهذا الخصوص ينص على تنفيذ حكم الاعدام بجميع المحكومين بالاعدام البالغ عددهم (١٤٨) مداناً ويذكر المحضر اسماءهم واحداً واحداً واليكم مقدمة المحضر التي وردت قبل ذكر الاسماء.

(محضر تنفيذ حكم الاعدام)

قسم الاحكام الطويلة

١٩٨٥/٣/٢٣

استناداً الى المراسيم الجمهورية المرقمة (٧٧٨ لسنة/١٩٨٤) وقرار الحكم الصادر من رئاسة محكمة الثورة بالدعوى المرقمة ٩٤٤/ج/١٩٨٤، فقد تم تنفيذ حكم الاعدام شنقاً حتى الموت بالمذكورين ادناه يوم ١٩٨٥/٣/٢٣.

اسماء المدانين اسماء المدانين اسماء المدانين اسماء المدانين

وذكرت تحت هذه العناوين الاسماء الثلاثية للمدانين (١٤٨) بتمامها!!. ولكن الغريب في الأمر ان المحضر لايذكر اسماء المعدومين الاربعة!

وقد ذيل المحضر بتواقيع: الرائد الحقوقي هاشم طه حمد (مدعي عام محكمة الثورة)، العقيد الحقوقي طارق هادي شكر (عضو محكمة الثورة) وحامد ضهد لعبوسي (و/مدير قسم الاحكام الطويلة)، نقيب الشرطة علي صالح محل (ضابط مركز شرطة الاصلاح الاجتماعي/ممثل وزارة الداخلية) واخيراً الدكتور ماهر ضامن (الطبيب في مستشفى نور الجمهوري) أؤيد بأن المدانين اعلاه قد فارقوا الحياة في ١٩٨٥/٣/٢٣.

أن الجرد يحصل لبضائع تافهة الاقيام او عند حضور التلاميذ في مدارسهم، فهل يعقل ان هؤلاء المنفذين المحترفين لم يقرأوا عدد المعدومين بالاسماء التي وردت بقرار المحكمة او المرسوم الجمهوري المشار اليهما في صدر المحضر ولم يسألوا (واين البقية)؟ خوفاً من المسؤولية على الاقل، إن لم يتلقوا ايعازاً من الجهات العليا وهو جهاز المخابرات برئاسة برزان ابراهيم أخ لأم صدام حسين؟ انا كمختص في قضية الدجيل أتصور السناريو كالآتي: إن هذه الاجهزة القمعية تكمل احداها الاخرى، كيف؟ عندما وردت اضبارة القضية من ديوان رئاسة الجمهورية مكتوب عليها: أمر السيد رئيس الجمهورية (حفظه الله ورعاه) اعدامهم وما على محكمة الثورة الا اصدار قرار بذلك على الاوراق فقط، كما ثبت ذلك بتقرير رسمي في قضية الدجيل من خلال اقل من اسبوعين، وتم تصديقه من قبل رئيس الجمهورية بعد يومين فقط من صدور القرار، ويتم الايعاز الى منفذي الاعدام بتنظيم محضر بالعدد الوارد في قرار الحكم وتصديق رئيس الجمهورية والويل بعدئذٍ اذا رفع احدهم اصبع الاحتجاج واكاد اجزم أن عواد البندر عندما اصدر قراره باعدام الدجيليين لم يكن يعلم انه يصدر حكماً بالاعدام على (٥٢) متهماً وهم تحت الثرى. لأنه لم ير وجوه المتهمين ولاقام بعدهم.

في التأريخ الاسلامي المجيد، هناك مئات من القضاة اشتهروا بالعدل والصلاح، ووقفوا بوجه الخلفاء المتأخرين، عندما ارادوا فرض اراداتهم على العدالة. اما الخلفاء الاتقياء، فقد نأوا بأنفسهم عن التدخل في شؤون القضاء، وحافظوا على استقلاليته، لأنهم كانوا يطبقون الشريعة الاسلامية. نصاً وروحاً. يروى عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه)، انه فقد احد دروعه، فعثر عليه عند تاجر يهودي يتعامل مع مثل هذه البضائع.

كان في مقدور أمير المؤمنين ان يسترد درعه خلف ظهر القضاء، ويزج بالتاجر اليهودي في السجن او يقطع حتى رقبته، ولكنه لم يفعل اي شئ من هذا القبيل،

وانما سلك طريق القضاء وسجل شكوى كأي مواطن عادي. في يوم المرافعة وقف الامام مدعياً والتاجر اليهودي مدعى عليه نداً بند.

قال القاضي: يا (ابا الحسن) وكان هذا لقباً تكريمياً يميزه عن خصمه قال للقاضي: طالما اني متداعي فأنني (علي) فقط. قال القاضي:

– ياعلي، اين بينتك حتى تثبت بها ان الدرع هو درعك؟

– ليس لي بينة.

– إذاً انك عاجز عن الاثبات. لك الحق في تحليف المدعى عليه اتباعاً لقول الله ((البينة على من ادعى واليمين على من انكر)).

عندئذٍ طلب القاضي من اليهودي المدعى عليه، ان يحلف بتوراته ان الدرع ملكه. قال اليهودي: انني لا احلف، انه درعه وانني اشهر اسلامي جراء هذه العدالة التي لاتميز بين الامير والرعية!

ثم يأتي واحداً كصدام حسين، يضرب بلامبالاة المجانين بكل هذا التراث الثر، في العدالة والانسانية والريادة ويحكم الناس بشريعة (القبضايات والقراصنة).

والآن وبعد هذا السرد المختصر، لنتف من جرائمه وعصيانه على كل ما نهى عنه الله، ألا تصبح حمله بعد ذلك لنسخة من القرآن الكريم او كتابته بدمه الملوث تمثيلية هزلية فاشلة لاتضحك احداً. في اللحظات التي تحيط بالانسان اخطار محدقة، كما احاط بصدام في اواخر ايامه، يستنجد العبد بخالقه الذي لم يكن يعرفه عندما كان ذو ذا سطوة، فيكون امراً طبيعياً ان لايعرفه الله بدوره، وهذا اقرب تفسير لسر حمله لنسخة من القرآن الكريم او كتابته بدمه.

بنكەی ژین
www.zheen.org

(١٦)

صدام حسين في نظر غير العراقيين

نادراً ما التقيت بمواطن عربي او غير عربي من خارج العراق، قدّر معاناة الشعب العراقي في ظل حكم صدام حسين حق قدرها. من كونه ديكتاتوراً دموياً قلما ابتلى به شعب من الشعوب بواحد مثله حتى في الازمنة الغابرة لأن ماقتله صدام حسين من العراقيين لم يقتله –دون مبالغة– كل الغزاة الذين تعاقبوا على حكم العراق مجتمعاً بدءاً من هولاكو المغولي عام ٦٥٦هـ مروراً بقرون من الحكم العثماني ومنتهياً بالاحتلال الانكليزي عام ١٩١٨.

بتأسيس الحكومة العراقية في عشرينيات القرن الماضي ظن الناس انهم تخلصوا من مظالم حكم الاجانب لهم، ولكنهم كانوا واهمين، فالمحنة الحقيقية للشعب العراقي لم تبدأ الا بعد تأسيس هذا النوع من الحكومات التي نعتت بالوطنية، فالاضطهاد الذي لاقوه من هذه الحكومات، وخاصة في عهد صدام حسين، فاق كل التصورات، بحيث بات الناس يترحمون على حكم الاجانب. وارجو ان لا أتهم بالخيانة اذا قلت: أن المحتلين الاجانب كانوا على الدوام ارحم بالشعب العراقي من حكامه الذين من لحمه ودمه وعظمه!!

والآن يتبادر الى الذهن هذا السؤال: إذاً لماذا في خارج العراق كانوا يحسنون الظن بصدام حسين ويكذبون معارضيه في كل مايقولونه عن جرائمه بحق الشعب العراقي؟ وأنا اجيب على هذا السؤال واقول: أنه أمر طبيعي أن يجهل الناس في الخارج بحقيقة مايجري في العراق، مثلما نجهل نحن العراقيين بما يجري بدقة في البلدان العربية او امريكا اللاتينية، بالاضافة الى التعتيم الاعلامي الذي فرضه صدام على الاوضاع في العراق دونه تعتيم الستار الحديدي للاتحاد السوفيتي، فلا

يسمح بزيارة المنظمات المهتمة بحقوق الانسان الى العراق او مراسلي الصحف فكل هؤلاء في نظر الحكومة البعثية جواسيس وعملاء.

يقابل هذا التعتيم، اعلام طاغ في مديح صدام حسين ونظامه. ففي اعتقادي لم يكن هناك دولة تصرف على الاعلام بسخاء السفهاء مثلما كان يصرفه صدام حسين، حيث على مدار السنة هناك مهرجانات للشعراء والفنانين والاعلاميين ورجال الدين و... و... الخ، يدعى اليها من كافة انحاء الوطن العربي او حتى من العالم يمنحون مكافآت سخية وينزلون في أفخم الفنادق. ولا غرو أن يلهج هؤلاء بشكر ومديح صدام حسين، ولايبرز واحد في أي مجال (سياسة، فن، صحافة، اعلام، دين، معارض لدولة مناوئة... الخ) ويكون قابلاً للبيع ولايشتريه صدام بثمن مضاعف وحتى الشاعر المعجزة "نزار القباني" الذي قال في يوم ما من الايام في احدى قصائده ((كانت الكلمة عصفوراً وجعلنا منها سوق بغاء!)) يقع ايضاً في شباكه، ففي احدى مهرجانات "المربد" الشعري الذي كان يقيمه صدام حسين سنوياً ويصرف عليه ملايين الدولارات ويدعو اليه معظم شعراء الوطن العربي، وصف فيه نزار قباني، صدام حسين بـ(منصورنا الجديد)!

كما يملك صدام عديد من الصحف والمجلات على الصعيد الوطن العربي او يملك اصحاب امتيازاتها او محرريها وهؤلاء لاعمل لهم سوى التغني بمآثر (منصورنا الجديد)، كل ذلك له تأثير على تضليل الرأي العام العربي إن لم اقل عالمياً خاصة الجاهلين بما يجري في العراق على ارض الواقع.

وإلا بماذا نفسر موقف الفيلسوف والسياسي الفرنسي المشهور (روجيه كارودي)، بعد أن يلقى الطاغية صدام حسين جزاءه العادل على جرائمه بحق شعبه، يأتي هذا المفكر العالمي ليصف محاكمته بالفضيحة! هل هو مخدوع او جاهل بحقيقة صدام او كمئات غيره كان يأكل من المعلف الصدامي؟! قد يرجح (المستقبل) احدى هذه الاحتمالات وقد يبقى المستقبل اكثر جهلاً منا.

كان لصدام حسنة (ولنذكر الحسنة والسيئة معاً) وهو دعمه لكل الحركات التحريرية في العالم إن لم يكن فعلاً فعلى الأقل اعلامياً ولكن بشرط واحد وهو أن لايكون المطالب بها هو العراق والا فان حاله يكون حال الأكراد الذين يطالبون العراق بحقوقهم القومية ضمن عراق موحد فاذا لم تكف الاسلحة التقليدية لقهرهم، فأنه يستعمل الغازات السامة المحرمة دولياً لابادتهم والعياذ بالله. بينما يدعم صدام هذه الحركات التحريرية، كان الانسان العراقي كعبيد (روما) محروم من ابسط حقوقها الديمقراطية والانسانية.

في ظل أنظمة ديكتاتورية كهذه، هو أمر طبيعي أن يحرم المواطن من حق انتقاد نظامه أما أن يحرم ايضاً من مدحه، فهنا وجه الغرابة! فالمديح ايضاً حكر على الحزب القائد (أي حزب البعث) والحكومة. أن من لم يعاصر عهد صدام يعتبر قولي هذا نكتة ولكن لنر: في المناسبات البعثية كانقلاب السابع عشر من تموز ١٩٦٨ الذي اعتلى فيه حزب البعث دست الحكم وتأسيس حزب البعث وميلاد صدام وغيرها كثير، تعلق مئات الشعارات في كل مدينة كبيرة وصغيرة، على الشوارع وفي الساحات العامة وفي واجهات الدوائر والمنظمات الحزبية ولو جمعت هذه الشعارات ووضعت جنباً الى جنب والتي كتبت طيلة حكم البعث الذي دام خمسة وثلاثين عاماً ربما ضربت لطولها نطاقاً حول الكرة الأرضية!!

كل هذه الشعارات تلتقي في نقطتين الاولى مدح الرئيس القائد صدام حسين وحكومة البعث والحزب القائد والثانية قدح خصومهم ليس هذا بالأمر الغريب، فهو ديدن كل الأنظمة الديكتاتورية في كل زمان ومكان. أما ماهو غريب فهو أن المواطن لم يكتب أي من هذه الشعارات ولو فعل ذلك فأنه يعرض نفسه للمساءلة وربما للعقوبة ولايفيده القول: بأنه اراد أن يعبر عن حبه وتقديره للرئيس. فعلى المواطن أن يمدح او يقدح كما تريده له الحكومة والحزب القائد.

ففي كل بضعة أشهر وبحسب المتغيرات على الساحة السياسية تصدر الحكومة او الحزب القائد او الاثنين معاً وربما بأشراف صدام حسين، مجموعة من

الشعارات يتراوح بين (٦٠-٧٠) شعاراً يسمونها بالشعارات المركزية وعلى الدوائر والمواطنين أن يختاروا أي عدد يشاؤون من هذه الشعارات يكتبونها ويعلقونها على نفقتهم الخاصة. أما أن يأتي المواطن ويؤلف ويلحن الشعارات حسب اهوائه ولو في مدح الرئيس او الحكومة، فهذا محذور وغير جائز اطلاقاً، فللحكومة مدائحها وهي المسطرة في هذه الشعارات ولك الحق في اختيار العدد الذي تريده!! حسناً اذا كان المواطن لايحق له مدح الحكومة والسيد الرئيس فكيف يكون حاله اذا انتقدهما!؟ اني اترك للقارئ تصور مايحدث له.

الى ماذا رميت من هذه التوطئة ؟ لقد رميت الى تبيان حقيقة وهي: أن النظام البعثي الذي كان يمثله صدام حسين له وجهان مختلفان غاية الاختلاف الوجه الخارجي الذي يريد ان يوحى الى من لم يكن له أطلاع على الوضع المزري الذي يعيشه العراقيين (وهم الكثرة الكاثرة) ان صدام حسين، زعيم وطني وديمقراطي واشتراكي عدو للاستعمار والصهيونية ونصير الشعوب المستضعفة وعلى رأسها فلسطين المحتلة، ويدعم الحركات التحررية في العالم، وان من يعاديه في بلده او في خارجه، لابد وانهم عملاء خونة، يحركهم من لايضمر الخير للشعب العراقي والأمة العربية.

في ربيع عام ٢٠٠٨ كنت في العاصمة الاردنية (عمان) لغرض المعالجة الطبية، وكنا نتنقل بسيارات الاجرة (تكسي)، في احدى المرّات كان سائقنا من أصل فلسطيني. تبادلت مع ابني -الذي كان يرافقني في زيارتي- بعض الاحاديث باللغة الكُردية، فأستفسر السائق منا: من أية ملة نكون؟ قلنا نحن من اكراد العراق. قال أنا احب اكراد تركيا، احب (اوج الان)، ويعني هذا من الطرف الآخر أنه يكرهنا والعلة واضحة، لأننا عادينا صدام حسين في الماضي، ورحبنا بالأمريكان عند قدومهم الى العراق ونساند الحكومة العراقية الحالية. ثم انتقل الى ذكر القاضي (رزگار) وقال (رزگار) يعني (حر) باللغة الكُردية. علقت صورته بكل تقدير واحترام في غرفة الاستقبال في مسكني، لأنه أمتنع عن رؤية قضية صدام، أما هذا الفرعون رؤوف [أي القاضي الذي اصدر حكم الاعدام على صدام حسين- المؤلف]، فقد

وضعت صورته على عتبة الباب، لكي ادوس عليه جيئة وذهاباً! ثم قال: في زمن صدام جميعنا، نحن وانتم كنا نأكل من خيرات العراق، وكان يشير بذلك الى الرواتب المجزية التي خصصها صدام لأسر الشهداء الفلسطينيين وربما مساعدات مالية اخرى نجهلها، أما الرواتب فقد اعلنتها الحكومة البعثية في حينه.

قلت له أما نحن الكُرد فقد حرمنا من هذه الخيرات، فعندما كنا تحت نير الحكم الصدامي كانت حصيلتنا من هذه الخيرات تشترى بها القنابل وتصب على رؤوسنا، وبعد الملاذ الامن عام ١٩٩١ والى دخول قوات التحالف عام ٢٠٠٣ كنا نعاني من حصار صدامي خانق كدنا ان نهلك جوعاً مع اسر ضحاياه في عموم العراق، وهم بمئات الآلوف كنا نعاني من انعدام الرعاية والفقر هكذا كان صدام خيره للغرباء وشروره للشعب العراقي وهنا وصلنا للمستشفى فودعناه. والآن ماذا كان يحدث لو قلت له: أنني قاضي كالفرعون رؤوف في المحكمة نفسها وصادقت مع زملائي بقية اعضاء الهيئة التمييزية على اعدام صدام حسين!؟

يقول (فوزي ربيع) في كتابه (محامي صدام، يتكلم لله.. ثم للتأريخ مايأتي: قام الزميل عضو هيئة الاسناد للدفاع [يقصد المحامي خليل الدليمي] بتعريف الرئيس –أي صدام حسين– بهيئة الدفاع، رفاقه والتي تتكون من (١٥٠٠) محامي عربي واجنبي، وفيهم عدد من المحامين الامريكان والانكليز والايطاليين والماليزيين ومن جميع الأقطار العربية وطلب الرئيس بمسيتها بهيئة الاسناد للدفاع عن كافة الاسرى والمعتقلين العراقيين والعرب. الا ان عائلة الرئيس العراقي السابق حلت هذا الفريق ويضيف: وكان هذا الفريق التي تم حله برئاسة المحامي الاردني محمد رشدان وكان يضم محامين عرب واجانب أمثال: عائشة القذافي نجلة الزعيم الليبي معمر القذافي وكيرتس دوبلر من الولايات المتحدة وايما نوئيل لودوت من فرنسا ومارك هينزلين من سويسرا وجيوفاني ديستيفانو من المملكة المتحدة.

أنا لا أستبعد تطوع عدد كهذا من المحامين للسبب الذي ذكرته وهو فهم صدام حسين على غير حقيقته في خارج العراق ومن الجانب الآخر لدى شكوك في

العدد الحقيقي للمحامين المتطوعين ولا استبعد ايضاً وجود شئ من المبالغة فيه، فمؤلف الكتاب فوزي ربيع لايخفى تعاطفه واعجابه بصدام حسين أما المحامي خليل الدليمي فهو مريد من مريديه بحق وحقيقة وكان يقبل يديه كلما التقى به.

اغلب الظن أن الدليمي بالغ في العدد لكي يوهم صدام حسين، بأنه شخصية محبوبة على الصعيد العربي والدولي لعل فيه شئ من السلوى والراحة له وهو في محنته هذه. كان لهؤلاء المتطوعين دوافع مختلفة منها: اتحادهم الفكري والعقائدي مع صدام حسين في شرعية تسلط الاقلية العربية السنية على رقاب بقية مكونات الشعب العراقي بقومياته واديانه ومذاهبه. أما كيف يتم ذلك وبأية وسيلة فلا يهمهم ذلك، المهم هو التسلط ولو تم ذلك عن طريق القهر والارهاب كالمحامي خليل الدليمي مثلاً الذي كان احد ضباط جهاز المخابرات الذي تحدثت عنه عند تطرقي الى التعذيب في قضية الدجيل.

كما يجب ان لاننسى ان المحاماة مهنة كأية مهنة اخرى تستهدف الربح وهناك كثير من المحامين يضحون بالمبادئ من اجل واردات مالية اوفر، واذا نظرنا الى المحاماة من الزاوية المهنية نجد أن التوكل عن شخصية مشهورة كصدام حسين له منافعه للمحامي، كيف؟ يقال عن احد الاطباء أنه طبيب العائلة المالكة او رئيس الجمهورية وهذا يترك انطباعا لدى عامة الناس، أنه لو لم يكن طبيباً ماهراً ومؤهلاً لما استعان هؤلاء الكبار بعلمهم وخبرتهم الطبية ويمكن ان يقال نفس الشئ عن المحامي عندما يتوكل عن اناس مشهورين حتى ولو كان مجاناً لأنه يصبح سوقه اكثر رواجاً بعد ذلك. كما توقعوا مكافآت مجزية من اسرة صدام حسين ممن يعيشون في خارج العراق جراء ولائهم لرأس الاسرة، فبعد أن رفع صدام الحواجز بين ممتلكاته الشخصية الشحيحة والثروة القومية وتصرف بالأموال العامة وكأنها شركة أشخاص، هرب صدام مليارات الدولارات الى خارج العراق واودعها في البنوك الاجنبية، فهؤلاء المتطوعون كانوا يتوقعون من آل صدام ان

لايبخلوا عليهم بالمال. وبعد ان يئسوا منهم ذهب كل محامي لحال سبيله. فكما قلت أن المحاماة ككل مهنة تهدف الى جني الارباح وهذا هو تحليلي لما حصل.

وفي النهاية تشكلت لجنة الدفاع عن صدام او هيئة الاسناد للدفاع عن صدام حسين وكافة الاسرى والمعتقلين العراقيين والعرب بناءً على اقتراح منه من عشرين محامياً اتخذوا من (عمان) مقراً لهم، ولم يحضر منهم المرافعة سوى عدد قليل لم يكن يتجاوز عدد اصابع اليدين.

اما بخصوص تطوع محامين عراقيين، فلم اقرأ ولم أسمع مباشرة بتطوع محامين عراقيين للدفاع عن صدام حسين ومع ذلك اكد لي اكثر من قاضٍ ومدعٍ عام في محكمتنا بحدوث ذلك الامر. ليس من تقاليد القضاة مناقشة المحامي لماذا تتوكل عن متهم أو لا تتوكل فللمحامي كامل الحق والحرية في ذلك، فالمحامي النزيه والمتمكن في القانون جزء لا يتجزأ من أية محاكمة عادلة.

قبل بدأ محاكمة صدام حسين في قضية الدجيل اجرت معي قناة (A.R.T) الفرنسية لقاءاً اخبرني فيه بأن وزير العدل الفرنسي السابق يريد أن يدافع عن صدام حسين. أنا لم اقل واين كان معالي وزير العدل الفرنسي السابق لكي يدافع عن معارضي صدام حسين في محكمة الثورة؟ كلا، بل قلت: اننا نرحب به، فمحامو الدفاع عن المتهمين اكبر عون للمحكمة للتوصل الى حكم اقرب ما يكون من العدالة.

لنرجع الى المحامين المتطوعين العراقيين ونتساءل لماذا لم يظهر لهم أثر في المحاكمة بعد ذلك؟ على الأقل واحد منهم، الا يدل ذلك أن هذه المعلومة لا تعدو أن تكون اشاعة؟ ومع ذلك إذا كان لدى غيري معلومات حول هذه الواقعة فليسعفنا بها واكون له شاكراً[١٦].

---

[١٦] واخيراً ظهر في الاسواق مصدراً يشير الى حكاية المحامين العراقيين المتطوعين عن صدام حسين. الكتاب بعنوان (صدام حسين في الزنزانة الامريكية/ هذا ماحدث!)، تأليف المحامي (خليل الدليمي) رئيس هيئة الدفاع عن صدام حسين امام المحكمة الجنائية العراقية العليا. ولأن المؤلف لايخفى انحيازه الى صدام حسين لااعلم الى اي مدى اثر انحيازه على مايرويه من وقائع بهذا

الخصوص، انني اترك ذلك الى فطنة القارئ والآن اليكم ماكتبه بهذا الخصوص: في اليوم التالي للقبض على الرئيس صدام حسين اعلن محامو الاردن الابطال تطوعهم للدفاع عن الرئيس. وفي الاسابيع اللاحقة أسسو هيئة تضم بالاضافة الى الاردنيين، محامياً فرنسياً للدفاع عن الرئيس صدام حسين والاستاذ طارق عزيز، ومحامين عرباً ابطالاً تتقدمهم المحامية الدكتورة عائشة القذافي. تساءلت مراراً: اين محامو العراق؟ فهاهم الامريكان يستفزون مشاعر كل عربي غيور يأسرهم الرئيس واظهاره بالصورة التي لاتليق بهذا الزعيم الكبير.

في اليوم التالي، توجهت كالعادة الى محكمة الرمادي واجتمعت هناك بالزملاء واقترحت عليهم تشكيل هيئة للدفاع عن الرئيس بشكل تطوعي بدءاً بنفسي، وقد وافق البعض وتحفظ اخرون بينما رفض البعض الآخر. وكان من بين الذين تطوعوا آنذاك للدفاع عن الرئيس صدام حسين ثلاث محاميات بينهن واحدة تضررت عائلتها في الماضي، الا انها كانت متحمسة للدفاع عن الرئيس. اما الذين تحفظوا، فكانوا يقدرون خطورة الوضع ومخاطر الطريق، وحسبوا ان عهد صدام حسين لن يعود، ولافائدة بأن يلقوا بأنفسهم في دوامات يعرفون نهايتها. وكان اغلب هؤلاء من الزملاء المهنيين الذين يسعون للعيش بسلام. اما الذين رفضوا الدفاع عن الرئيس، فقد كان اغلبهم ينتمون الى تيارات واحزاب مختلفة. شعرت عندها بأن علينا واجباً كبيراً نقف حياله وقفة واحدة مع الأخوة الأردنيين والعرب. وكنا نأخذ بعين الاعتبار خطورة الوضع الأمني بالنسبة للمحامين العراقيين. في هذا الاجتماع، تقرر ان تكون الاسماء سرية، وان يكون نقيب المحامين في الانبار رئيساً لهذه الهيئة. لكن النقيب كلفني كمؤسس للهيئة ان اكون رئيساً لها.

في صبيحة اليوم التالي، ذهبت الى نقابة المحامين العراقيين لاخذ الموافقة على تأسيس الهيئة بشكل رسمي. وتمت الموافقة، وكان المحامي الاستاذ ضياء السعدي، امين سرّ النقابة يشدّ على أيدينا، وهو الساعد الأيمن لكل محامي العراق، عربي اصيل وطني لاعلاقة له بالرئيس صدام حسين لا من قريب ولا من بعيد.

كانت الفلوجة هي محطتنا في اليوم الثالث. وقد امتنع نقيب المحامين فيها عن اعطاء اسماء المتطوعين خوفاً عليهم. ولانه كان حريصاً، فانه لم يصدق نوايانا، ولعله كان محقاً في ذلك. وبعد التداول في الموضوع تمت الموافقة على الفكرة، وسلمنا الاسماء لاحقاً بعد ان وثقوا بنا. محطتنا التالية كانت مدينة حديثة، ثم كل مدن محافظة الانبار، حتى اصبح عدد المحامين (٩٠) محامياً ومحامية، وأسمينا الهيئة "هيئة الدفاع في الانبار".

اما المحطة الاكثر أهمية فيما بعد فهي بغداد، اذ تطوع عشرات المحامين والمحاميات، ووصل العدد بعد ذلك الى المئات بمن فيهم السني الشيعي والمسيحي والكردي والتركماني. ثم فيما بعد عقد مؤتمر في نقابة

الدفاع عن صدام حسين ليس بالأمر الجديد، فباعترافه هو عند زيارة له الى نقابة المحامين في الثمانينات ان عدداً من المحامين قد تطوعوا للدفاع عنه عندما كان موقوفاً في سنوات (النضال). وهذا يعني ان حق الدفاع للمتهم السياسي كان مكفولاً امام المحاكم، حتى ولو كان معارضاً للسلطة في العهود التي سبقت حكم البعث.

كان على صدام حسين طالما ثمن هذه المبادرة ان يقول لنقابة المحامين: في مقدور اي محامٍ أن يتطوع امام محكمة الثورة لمن شاء من المتهمين، ولكن هذا غير جائز في عرفه اما لماذا، فالبعثيون عندما كانوا في طور المعارضة كانوا يناضلون من أجل (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) وشعارهم (وحدة، حرية، اشتراكية)!! أما بعد ان اعتلوا دست الحكم، فالذي يعارض هذه الشعارات ما هم الا عملاء وجواسيس وخونة، فالمحامي الذي يدافع عن معارض كهذا يصبح واحداً منهم يستحق هو ايضاً الشنق. ثم كيف يسمح لنقابة المحامين او أية منظمة مدنية ان تدس انفها في مهام مؤسسة سرية وقمعية كمحكمة الثورة او أية مؤسسة مشابهة. فمثل هذه المؤسسات تعمل حسب منهج معين وخطة مرسومة لها لا تحيد عنها ولهذا لن يسمح لأية –جهة كائناً من تكون– ان تتدخل في شؤونها او تغير مسارها.

في برنامج (الضوء) الذي يتحدث عن مظالم النظام البعثي والذي يقدم اسبوعياً من قناة (الحرة) الفضائية، تحدث احد الضحايا بأسهاب عن صنوف التعذيب الذي تعرض لها في معتقلات الاجهزة القمعية ولكي يتخلص من هذا العذاب المقيم اقدم على الانتحار ولكنه لم يوفق. قال هذا المواطن: بعد ذلك احالوني على محكمة الثورة وكان يترأسها ايامئذٍ القاضي عواد البندر، فحكم علي

المحامين، وتم بالإجماع انتخاب المحامي خليل الدليمي رئيساً لهيئة الدفاع في العراق، والمحامي الشهيد خميس العبيدي نائباً للرئيس، والدكتور مجيد السعدون ناطقاً رسمياً باسم الهيئة.

في الايام الأولى من تشكيل الهيئة، كان يؤازرني في بغداد زملائي في الانبار. وقد تم عزل جميع المحامين لاحقاً بكتاب موجه الى المحكمة من عائلة الرئيس صدام حسين باستثنائي، بناءً على مشورة المستشار القانوني للعائلة لاغراض تنظيمية.

بالسجن المؤبد. فقال المحامي الذي انتدبته المحكمة للدفاع عني لرئيس المحكمة: سيدي أن السجن المؤبد عقوبة قليلة بحق موكلي! إنه يستحق الاعدام!.

بالله انتوا شايفين هيجي محامي بدال ما يدافع عني يطالب باعدامي بعد أن حكمت المحكمة عليّ بالمؤبد! قال هذا المواطن الجمل الاخيرة بحماس واستغراب اثار موجة ضحك بيننا نحن مشاهدي البرنامج، وقديماً قيل (شرّ البلية مايضحك) هذا هو نوع المحامي المطلوب في محكمة الثورة.

امامي الآن احصائية بعدد المتهمين الذين ادانتهم محكمة الثورة وحكمت عليهم بالاعدام شنقاً حتى الموت. هذه الاحصائية اصدرتها (جمعية السجناء السياسيين) بعد تحرير العراق في عام ٢٠٠٣ وان احصائية تأتي في ظرف غير طبيعي كهذا لابد وان تعتورها النقص، اي قد لاتمثل عدد المعدومين الحقيقين، فهناك احتمال فقدان بعض الاضابير او لاتغطي كل السنوات، وهذا النقص يأتي في مصلحة محكمة الثورة، حيث يقلل من عدد ضحاياها ولكن القضايا التي وضعت اليد عليها واجرت الجمعية فيها الاحصاءات المذكورة هي واقعية حيث تتضمن رقم الدعوى وتأريخ القرار واسم المعدوم وتأريخ تولده ومهنته وتهمته ومحل سكناه.

www.zheen.org

هل تعلمون كم كان عدد المعدومين؟ ارجو ان لاتصدموا انه (٤٤٠٠٠) اي اربعة واربعون الف معدوم!! تمكنت من التعرف على المعدومين الاكراد من اسمائهم ومحل سكناهم وكذلك من نوع تهمهم فكان عددهم سبعة الاف معدوم اما البقية كانوا عرباً وتهمة ٩٩٪ منهم هي انتمائهم لحزب الدعوة الاسلامية.

موضوعنا –إن لم تنسوه– كان (صدام في نظر غير العراقيين) لنرجع اليه ونقول: ككل الانظمة الديكتاتورية، الرعية آخر من يعلم بسياسة وخطط الديكتاتور في ادارة دفة الحكم من ذلك سياسته الخارجية والقليل الذي كنا نعلمه كان يأتينا من بعض خطب صدام حسين او احاديثه عند لقائه بالمواطنين في بعض المناسبات وقد تكون زلة لسان من جانبها.

من تلك الخطب واللقاءات علمنا –مثلاً– انه انشأ في احدى الدول الافريقية (لايحضرني الاسم الآن)، لأنني لااحمل معي دفتر مذكرات، وهذا عيب كبير في كل من يمتهن الكتابة، طرقاً وجسوراً لم تكن موجودة في العراق قبل ثورته في ١٧/تموز/١٩٦٨ في الوقت الذي كنا نستخدم الدواب في مناطق كثيرة لانعدام الطرق المبلطة لسير العجلات عليها!!

كان لصدام هدف قومي من مساعداته المالية للدول الافريقية، فقد تبين له ان المنح الامريكية هي التي تدفع الدول الافريقية الى الانصياع لما يريدها منها الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل. فاذا حل العراق محل الولايات المتحدة عندئذٍ يمكن لهذه الدول ان تغير سياستها الى مافيه مصلحة العرب وبالأخص فلسطين، وفعلاً دفعت المنح العراقية عدداً من الدول الافريقية الى سحب سفاراتها من اسرائيل، ولكن بعد ان افلس صدام، استأنفوا علاقاتهم الدبلوماسية معه وذهبت كل الاموال العراقية هدراً.

عندما كان صدام في اوج عزه خاصة بعد تأميم النفط –أي بعد السبعينيات–، لايغادر رئيس دولة حتى يحط في مطار بغداد رئيساً اخر عربياً او افريقياً او غيرهما لاغرض لهم من الزيارة سوى تلقي المنح المالية السخية من صدام، وخاصة الرئيس (عيدى امين) الذي يزور العراق كل بضعة شهور للحصول على الاصفر الرنان ورواية احلامه العجيبة لصدام حسين. هذا عدا المنظمات الانسانية والنقابات ورجال الدين من الدول العربية وحتى البعثات التبشيرية. فقد كانوا يتفننون في وسائل تقربهم من صدام وبالتالي تلقي المنح السخية منه. وبعد هزيمة الجيش العراقي في حرب الكويت ١٩٩١ وافلاس العراق انقطع سيل الزيارات.

قديماً يكاد لايخلو جسد احد من حشرة القمل، كيف يعرفون ان المريض قد مات؟ عندما يغادره القمل. لأنه لم يبق في جسده الدم لكي يمتصه!! هكذا كان حال صدام وزائريه. من الصعب ان يقبل مني القارئ هذه المعلومات العامة غير المدعمة بالمصادر والتواريخ والاحصائيات، انا ادرك ذلك جيداً، ولكن هناك معلومة وردت في

مصدر موثوق حول هذه المسألة –أي المنح والمساعدات المالية لغير العراقيين–، ليس فقط يغنيني عن ايراد أية شواهد اخرى وانما يقنعكم بأن ما رويته لكم أمر ممكن الحدوث.

وردت هذه المعلومة في كتاب يحمل عنوان (صدام حسين/ من الزنزانة الامريكية: هذا ماحدث!) لمؤلفه المحامي خليل الدليمي. مؤلف هذا الكتاب ضابط سابق في جهاز المخابرات السئ الصيت في عهد البعث ترأس هيئة الدفاع عن صدام حسين عند مثوله امام المحكمة الجنائية العليا ولأنه لم يظهر اية براعة في مهنته عند دفاعه عن صدام حسين، فأغلب الظن انه كان من ضمن المسؤولين والضباط الذين كانوا يلتحقون بكلية القانون دون ان يحضروا المحاضرات ويرسلون لهم بعد ذلك شهادات تخرجهم الى دورهم!

وكان يغطي ضعفه المهني بأظهار الولاء المبالغ فيه لصدام كتقبيل يده وخلق الفوضى في المحكمة، وعند زياراته له في معتقله كان ينقل اخبار (المقاومة) له ووضع خطط خيالية غير عملية لهروبه! كما ذكر ذلك في كتابه وهو سرّ احتفاظه بموقعه في هيئة الدفاع الى النهاية.

الكتاب بمجمله عبارة عن مدح صدام حسين وقدح خصومه ومن هؤلاء الخصوم الامريكان والعهد الجديد في العراق، ومع ذلك إن هذا الكتاب متوفر في المكتبات وفي مقدور القراء اقتنائه كأي كتاب آخر وهذا الكتاب لو الف ضد صدام حسين كان سطراً واحداً منه يكفي لاعدام قارئه والدليمي كضابط جهاز مخابرات سابق يعلم هذه الحقيقة خيراً مني. لهذه الاسباب بقى في منصبه كرئيس هيئة الدفاع على الرغم من عزل معظم المحامين الاخرين لانه علم من اين يؤكل الكتف.

قبل ان اروي لكم الواقعة التي تتحدث عن المنح المالية في هذا الكتاب، اروي لكم واقعة اخرى رواها صدام حسين للدليمي ورد ايضاً في هذا الكتاب حول طيبته ونقاء سريرته. مرّ بنا كيف عثروا في القبرين الجماعيين (نينوى/٢) و(نينوى/٩)

على (١٦٧) طفلاً بين جنين في بطن أمه واطفال رضع صعوداً الى عمر (١٣) سنة وامهات هؤلاء الأطفال البالغ عددهن (٢٧) امرأة وهذه واقعة مادية اجرى التنقيب في هذين القبرين خبراء دوليون اجانب لايمكن الطعن بعلمهم او نزاهتهم. والآن انتقل بكم الى الواقعة الثانية والتي رواها صدام حسين لخليل الدليمي كما ورد في الكتاب المذكور، ص٣٥٣ تحت عنوان: (علاقة الرئيس بابناء شعبه) وهذا نصها: ((كنت احب تربية ورعاية المواشي والابل، وانواع اخرى من الحيوانات وخاصة الأليفة. وذات يوم، واثناء زيارتي لمحافظة صلاح‌الدين انتهزت الفرصة لأتفقد الاغنام العائدة لي شخصياً. كان الوقت ربيعاً، وكانت الارض مغطاة بالعشب، لكنني حال وصولي، فوجئت براعي الغنم يضع تلك الاغنام في مكان لاعشب فيه، او فيه القليل. وكنت امسك عصا في يدي، اتوكأ عليها في تلك الارض الموحلة وانبش بها الأرض لجني الكمأة. فسألت الراعي لماذا لايرعى الاغنام في مكان مجاور افضل. وكنت قد تأثرت جداً لوضع تلك الاغنام الجائعة. فقمت بوخز الراعي في كتفه، لكن بشكل لايؤذيه، وتنبيهه بألا يحصل ذلك في المستقبل. وعدت الى بغداد. لكنني لم أنم تلك الليلة، لاحتمال أنني ربما اذيت ذلك الراعي. في اليوم التالي، أبلغت السكرتير بضرورة احضار الراعي. وحين جاء، كان خائفاً، متوقعاً ان اعاقبه. استقبلته، وعانقته، واعتذرت منه. ثم كرمته وانصرف غير مصدق ماحصل عندها شعرت براحة البال والضمير)).

الرفات في القبرين الآنفي الذكر واقعة مادية لايمكن انكارها اما حكاية صدام حسين كما رواها احد (ايتامه)، فهو كلام مجرد يحتمل الصدق والكذب، اما القبران وألوف الجرائم الاخرى التي لاتدل الا على قساوة قلب صدام حسين ومشاعره المتحجرة فتجعلنا نشك في رواية كهذه.

إن هذه الواقعة يذكرني بقصة لـ (جحا): يقال كان لجحا (حمار)، توسل منه جاره ان يعيره اياه لنقل حمل من الحطب ولم يرد جحا ان يعيره على الرغم من وجود الحمار في الاسطبل الا أنه ادعى بأن الحمار غير موجود حالياً في القرية والا كان يعيره اياه.

فاقتنع الجار بكلام جحا وفي هذه الاثناء وقبل ان يغادر الجار دار جحا نهق الحمار! قال الجار لجحا ان الحمار موجود في الاسطبل. فأجابه جحا غاضباً: هل تصدق نهيق الحمار ولاتصدق رجل عالم ومتدين وابيض اللحية مثلي؟!

نعم إن هذا الكتاب يصور لنا صدام حسين، كأصلح حاكم من الذين لايجود الزمان بأمثاله الا قليلاً. والآن الى حكاية المنح المالية كما رواها صدام حسين لخليل الدليمي (ص٢٤٧و٢٤٨) من الكتاب المذكور:

((وأذكر [الكلام لصدام حسين– المؤلف] ان الاردن الشقيق كان يمر في إحدى السنوات بضائقة مالية، وقد علمت ان الملك حسين كان في طريقه الى الكويت. وقد ابلغ الكويتيون الملك ان وزير الخارجية الكويتي سيكون في استقباله في المطار، على الرغم من وجود امير الكويت جابر، ولم يكن هناك مايشغله لنقول ان لديه عذراً. وهذا التصرف لاينسجم مع البروتوكول الرسمي واخلاقنا العربية.

تضايق الملك، فأتصلت به وطلبت تغيير مسار رحلته والتوجه الى بغداد. وعلى الفور، ذهبت الى المطار لأستقباله حتى ان بعض الرفاق، فوجئوا لعدم وجود علم مسبق بالزيارة. كان العراق آنذاك تحت الحصار الظالم، ولسرعة الاجراءات، طلبت من السكرتير إحضار محافظ البنك المركزي ووزير المالية، وطلبت منهما جرداً بالموجود الفعلي من العملة الصعبة للخزينة العراقية. ثم طلبت منهما ان تقسم الى نصفين، نصف يبقى في الخزينة والنصف الآخر لأخواننا في الاردن. فقد كانت طلبات الملك حسين مستجابة، لأننا كنا نعتبر العراق والاردن حالة واحدة)).

((حصلت حالة مشابهة مع الرئيس حسني مبارك، حيث كانت اوضاع مصر المالية صعبة واتخذنا موقفاً لانريد الدخول في تفاصيله، اما ان يقف موقفاً ضدنا، فهذا امر غريب ولايوجد مايستوجب ذلك)).

حصلت هذه التبذيرات في المال العام والعراق كما يعترف صدام حسين (تحت الحصار الظالم) هل تعلمون كيف كان الحصار الظالم؟ كانت بعض النساء يبعن اعراضهن واولادهن للحصول على لقمة العيش. وصدام حسين يبني القصور دونها

قصور الف ليلة وليلة حتى بلغ اعدادها اكثر من اربعمائة قصر! اليست لمحكمة الاحوال الشخصية الحق –إذا تمكنت– أن تحجر على هذا الرئيس بسبب التبذير والسفه ويقرر ان لايتصرف بالمال العام الا بعد الحصول على اذن من المحكمة!

خليل الدليمي، اعتبر هذه المنح التي كان الشعب العراقي احوج مايكون اليها واحدة من اكبر مآثر صدام، بينما اضرّ به من حيث يعتقد انه ينفعه. علاقة الدليمي بصدام تذكرني بقصة رجل كان يربي دباً ضخماً وفي احد الايام كان صاحب الدب نائماً في العراء، فحطت ذبابة على وجهه وحرصاً من الدب على راحة صاحبة من ان توقظه الذبابة وتفسد عليه نومه قرر الدب ان يقتل الذبابة ويخلص صاحبه من ازعاجاتها: فتناول صخرة كبيرة وانزلها على الذبابة، فهشم رأس صاحبه وكأنها تينة ناضجة داس احدهم عليها بحذائه سهواً فمات على الفور وطارت الذبابة!

والآن هل ادركتم سرّ حسن ظن غير العراقيين بصدام حسين، لأن صدام حتى في هذا خالف مبدءاً اساسياً في الاسلام الا وهو (الاقربون أولى بالمعروف)، وهي ماتفعله كل الدول الراشدة إن لم يحكمها صدام حسين ولكن عنده –كما يظهر– الابعدون اولى بالمعروف أي يضحي بولده من اجل ابنة الجيران كما يقول المثل الدارج وهذا مالايفعله الا من في عقله عطب.

بنکەی ژین
www.zheen.org

(١٧)

لو كنت مكان صدام- لاسمح الله

لما ضيعت وقتي في قرض الشعر -كما فعل في معتقله- لقد هيأت له ظروف الاعتقال متسعاً من الوقت وجواً هادئاً وكراريس واقلام كان عليه أن يستغل هذه الظروف المؤاتية لكتابة مذكراته لكي يسبر اغوار اعماقه النفسية والعقد التي عانى منها، بسبب اليتم والفقر وزواج والدته بأكثر من رجل ونوع المعاملة التي عومل بها من قبل ازواج أمه، وهل كانوا قساة أم رحماء معه، كيف تعامل الناس معه في المدرسة وفي الشارع مع طفل معدم مثله، وماذا عن خاله خيرالله طلفاح الذي كفله هل كان يحترمه او يحتقره هل كان في اسلافه افراد عانوا من السادية او الجنون هل كان يتلذذ بايذاء الحيوانات -كما يشاع عنه- وهل كان مندمجاً مع المجتمع ام معادياً له ولماذا؟ بأختصار كان عليه ان يدقق في كل صغيرة وكبيرة للتوصل الى مدى مسؤوليته عن تصرفاته اي هل كان مسيراً جراء نقص عقلي او عقد يعاني منها ام مخير والى أي مدى لكي يجيب على سؤال طالما راود العراقيين وغير العراقيين وهو: لماذا لا يتعاطف مع معاناة ضحاياه أو يستهين بأرواحهم مهما بلغ اعدادهم عشرة، مائة، الف، مليون!! حيث بلغ عدد ضحاياه من حروبه ضد دول الجوار نصف مليون جندي على الأقل وحربه مع الكُرد واستعماله السلاح الكيمياوي والاحتفاءات الجماعية التي بلغت تعدادها مئات الالوف نساءاً ورجالاً وشيوخاً واطفالاً رضع ومن كن أجنة في بطون أمهاتهن. اعداماته التي لا أول لها ولا آخر، أجهزته القمعية التي أصبحت مجازر بشرية، لقد وضعه البعض في عداد هولاكو وتيمور لنك وجنكيزخان في تعطشه للدماء. ألم يعرض نفسه على طبيب نفسي واذا حصل ذلك فماذا كان تشخيصهم لحالته؟

في ستينيات القرن الماضي ظهر في الولايات المتحدة مجرم عرف بـ (ذو المصباح الأحمر) كان يتجول ليلاً بسيارته في الأماكن الخلوية في ضواحي المدينة ويصطاد ضحاياه من العشاق الذين يختفون تحت الاشجار او بين الاحراش غير بعيدين عن الطريق العام لكي يتبادلوا القبلات والعناق والجنس احياناً بعيداً عن أعين الفضوليين والرقباء. ثم يأتي (هو) بسيارته، يسوقها بتأن موجهاً مصباحه الكهربائي ذو الضوء الأحمر الى الاحراش والاشجار الممتدة بجانب الطريق حتى يعثر على اثنين من هؤلاء العشاق. مصباحه الأحمر لايثير اي قلق عند العاشقين، لأنهم يعتقدون أنه من رجال الشرطة القائمين بحماية الطريق، فالشرطة وحدهم يستعملون المصباح الأحمر وعندما يتبين لهما عكس ذلك يكون الاوان قد فاتت!

وهكذا كثرت ضحايا المجرم ذو المصباح الأحمر بين مغتصبات ومقتولين ايضاً. أعطت بعض الضحايا، ممن قدر لهم النجاة من براثن ذلك المجرم مواصفاته وكذلك مواصفات سيارته. في أحد الأيام اوقف الشرطة سيارة تنطبق عليها مواصفات السيارة التي وصفتها الضحايا، يقودها شاب في عمر المجرم ذو المصباح الاحمر والغريب في الأمر عثرت الشرطة بعد تفتيش السيارة على مصباح أحمر في صندوقها الخلفي كما تبين فيما بعد ان السيارة ايضاً كانت مسروقة. أن الشاب الذي كان يقود السيارة يدعى (كاريل جيسمان) الذي قضى بضع سنوات في اصلاحية للأحداث، بسبب ارتكابه عدداً من الجرائم في صباه. وهكذا حامت حول (كاريل جيسمان) شبهات قوية في احتمال كونه هو المجرم ذو المصباح الأحمر.

أنكر كاريل التهمة وادعى بأنه استعار السيارة من احد اصدقائه وعندما سأله المحقق عن اسم الشخص الذي استعار منه السيارة، اجاب بأنه لايليق به أن يشي بأسمه، وفيما بعد ذكر ايضاً بأن من استعار منه السيارة، قد هدده بايذاء اسرته، فيما اذا ذكر اسمه للشرطة، وفي النهاية اقتنعت المحكمة بالأدلة والقرائن المتوفرة لديها وتشخيص الضحايا له بأن كاريل جيسمان هو المجرم (ذو

المصباح الأحمر) وليس غيره لذلك فقد حكمت المحكمة عليه بعقوبة الاعدام خنقاً بالغاز حتى الموت.

بعد ذلك خاض (كاريل) ومحاموه نضالاً مريراً طالت لسنوات عن طريق جملة طعونات بقرار المحكمة، ولكن دون جدوى واخيراً حاز القرار درجة البتات ونفذ فيه حكم الاعدام والى ساعة استنشاقه الغازات السامة في غرفة الاعدام، كان ينكر بشدة ان يكون هو المجرم الحقير ذو المصباح الأحمر. استغرق التحقيق في قضية كاريل ومحاكمته ولحين تنفيذ حكم الاعدام فيه، قرابة احد عشر عاماً.

إن هدفي من ايراد سيرة هذه الشخصية هو الآتي: إن هذا الجو المشحون الذي كان يعيش فيه كاريل والقلق المستمر من مصيره المجهول ورهبة الموت التي كانت تنتظره، لم يقف عائقاً امامه من تثقيف نفسه تثقيفاً قانونياً وادبياً، مستعيناً بمكتبة السجن، فأصدر خلال مدة سجنه وقبل تنفيذ حكم الاعدام فيه كتابين كان لهما صدى كبير في الاوساط الأدبية والقانونية ليس في امريكا وحده، وأنما في جميع انحاء العالم حيث ترجم الكتابان الى كل اللغات الحية ومنها العربية. الكتاب الأول كان بعنوان (رواق الموت). هذا الرواق كما يصفه كاريل في كتابه كان عبارة عن صفين متقابلين من الغرف الصغيرة وهي بمثابة المحطة الأخيرة التي تأوى المحكومين بالاعدام لفترة طالت او قصرت قبل تنفيذ حكم الاعدام فيهم.

يروى لنا (كاريل) لوحات انسانية مؤثرة عديدة حدثت في هذا الرواق بهدف جلب عطف الناس على المحكومين بالاعدام. أما الموضوع الرئيس للكتاب، فهي عقوبة الاعدام ولاانسانيتها كمبدأ وتفاوتها من ولاية امريكية الى اخرى.

كتابه الثاني يتحدث عن سيرته الذاتية منذ طفولته والى الملابسات التي اوصلته الى ما هو عليه الآن، فهو يذكر كيف كان طفلاً سوياً مرحاً، ولكن الفقر والظروف الاجتماعية السيئة المحيطة به، قد حرفته عن جادة الصواب. وهكذا تمكن كاريل ان يدخل عالم الكتابة من أوسع أبوابه ويصبح بين عشية وضحاها واحداً من أشهر كتاب امريكا وأن يجلب عطف الرأي العام الامريكي العالمي الى

قضيته، فطالبت عدد كبير من الشخصيات المعروفة على الصعيد العالمي واتحادات الكتاب في كثير من دول العالم وحتى من الاتحاد السوفيتي رئيس الولايات المتحدة ايامئذ الغاء الاعدام بحق كاريل، ولكن دون جدوى، فأهالي الضحايا بدورهم كانوا يضغطون على الحكومة لتنفيذ الحكم وكان ما كان.

كان على صدام حسين أن يفعل مافعله (كاريل جيسمان) أي أن يكتب مذكراته بدلاً من قرض الشعر ويحاول في تلك المذكرات أن يقنع الشعب العراقي، بأنه مصاب بمرض السادي الخبيث او أن ظروفه الاجتماعية هي التي شوهت طفولته وشخصيته وجعله انساناً ناقماً منتقماً من الانسانية. ربما قد انصفته المحكمة او على الأقل اعترافاته هذه قد تحسن صورته القبيحة قليلاً امام الرأي العام العراقي والعالمي الا أنه لم يفعل ذلك. ولكن يظهر ان عقد صدام ونرجسيته وعقليته الفجة التي لاتقبل النفخ، مستكحمة فيه بحيث تقف حائلاً بينه وبين كل تفكير سليم او مراجعة للنفس. اسقموا اليه كيف يرى نفسه في المرآة بعد كل هذه الجرائم والهزائم والانكسارات التي تعيد حتى المجانين الى وعيه:

((انا رجل دولة حازم ودقيق. سيفي يميني ولكن بالحق. عادل وغيور وشريف. لا اقبل من احد كبر او صغر، قرب او بعد، التلاعب واللعب على الذقون والقانون. وفي نفس الوقت، رؤوف بالناس تملأ الرحمة نفسي، والحزم بالحق قلبي، فمن يعين نفسه في العودة عن الخطأ بمثقال، أعينه بما يرفع عنه الاثقال ويمهد أمامه السبيل بعد عثرة بأرطال. واشعر بأخوة وأبوة خاصة تجاه فقراء الحال من الناس، ليس تطبيقاً لاعتقاد فحسب، وانما حنوا خاصاً ازاءهم. كريم مع الكرماء، شديد مع اللؤماء. افضل ان أُخدع على ان أخدع احداً او اشكك مسبقاً به، وأن أُظلم على ان أظلم احداً، حريص على أموال الدولة، واذ أجمعها بالملعقة، اجزل بها لضرورات وطنية او انسانية، وطبقاً لصلاحياتي الدستورية، بالمغراف. أخشى التاريخ اكثر مما اخشى الحاضر، ولا أخطو خطوة في الحاضر الا وضعتها طبقاً لرؤياي وسط المستقبل. اعرف السياسة الدولية واساليبها بالتورية والمباشرة في

العصر الحاضر، ولكنني لااحبها حتى وانا امارس القسم الاقل نجاسة واكثر طهارة فيها)).

[من مذكرات الرئيس صدام حسين في المعتقل] نقلاً عن كتاب [صدام حسين في الزنزانة الامريكية/ هذا ماحدث] تأليف المحامي خليل الدليمي، رئيس هيئة الدفاع عن صدام حسين امام المحكمة الجنائية العليا، ص١٣.

يظهر ان الظروف والاوضاع عاجزة عن تغيير هذا الرجل، فهو في الزنزانة كما كان شأنه في السلطة، بتبجحاته واكاذيبه.

تذكرني جهل صدام حسين بشخصيته، مدائحه لنفسه بحادثة وقعت في احدى المدن الامريكية وملخصها: احد رجال شرطة المرور في احد الايام يوقف ويطلب من سائقها رخصة القيادة فمد السائق يده الى جيب سترته وبدلاً من الرخصة يخرج مسدساً، ويُفرغ ما فيه من طلقات في صدر الشرطي المسكين!

هذه جريمة واحدة من مئات الجرائم التي ارتكبته مجرم عرف بـ (كراولي ذو المسدسين). حوصر هذا المجرم في احدى احياء نيويورك من قبل الشرطة وقبل ان يُقتل كتب في دفتر مذكراته ما يأتي: ان جوانحي تضم أرق قلب، كنت مصلحاً ولكن ما ذنبي والمجتمع لم يفهمني!!

www.zheen.org

بنکەی ژین
www.zheen.org

(١٨)

الخلاف الكبير

اتهم كثيرون في الداخل والخارج، الساسة العراقيون المعارضون للنظام البعثي الصدامي، بالخيانة العظمى لتشجيعهم قوى اجنبية (الولايات المتحدة، بريطانيا وحلفائهما) على احتلال بلدهم ومن ثم تقديمهم العون والدعم لتلك القوى بعد ان فعلت ذلك في التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣.

القائلون بتخوين المعارضة العراقية على فعلتها هذه فريقان: الفريق الاول هو بقايا نظام البعث الصدامي الذين يعرفون جيداً كيف حكموا العراق حكماً دونه حكم غلاة الغزاة كهولاكو وجنكيزخان وتيمور لنگ واتيلا... و... الخ.

انني اظلم هؤلاء الغزاة لأنهم عاشوا في حقبة لم يكن يتحرك فيها التأريخ ان لم يبنوا اهرامات مصغرة من جماجم اعدائهم، ولو عاشوا في زماننا على الارجح يكونون رؤوساء جمهوريين ديمقراطيين. أما صدام فقد عاش في القرن الحادي والعشرين وعاين مختلف الأنظمة الديمقراطية الصالحة ومع ذلك كان حكمه لايختلف عن حكم هؤلاء الطغاة إن لم يكن اسوأ منهم لأن هؤلاء كانوا يقسون على اعدائهم اما صدام فكان جل قسوته منصب على ابناء شعبه والذي كان من المفروض ان يكون رحيماً بهم. وهنا تكمن محنة الشعب العراقي.

هذا الفريق يحاول اليوم اعادة (مجد) البعث عن طريق مايسمونه بـ (المقاومة الشريفة) اي العبوات الناسفة والسيارات المفخخة التي لاتقتل سوى المدنيين العزل بالآلاف دون تمييز بين الصغير والكبير وفي اكثر الاماكن ازدحاماً.

نعم بدلاً من ان يطلبوا الصفح من الشعب العراقي، يرتكبون مزيداً من الآثام بحقه لأنهم لايعرفون غير العنف. كان عليهم ان يقولوا للرأي العام: ان حزب البعث

كان حزباً سياسياً له مبادؤه ومثله وقيمه، يهدف الى وحدة الأمة العربية لكي تكون لها رسالة خالدة وشعاره وحدة وحرية واشتراكية ولكن صدام حسين حرفه عن طريقه القويم وحوله الى مؤسسة اجرامية لاعمل لها سوى قتل الناس واقامة المجازر فيهم وزجهم في السجون والمعتقلات واشعال نار الفتن الداخلية والخارجية وتبذير المال العام بسفه حتى بات العراق من أفقر دول العالم على الرغم من ثرواته البترولية الهائلة. اما ان تطمح –هذا الفريق– الى الرجوع عن طريق الارهاب ليحكم العراق كما حكموها سابقاً فهذا حلم لن يتحقق لهم لأن الداخل قد تغير والعالم الخارجي قد تغير اكثر. لذلك يلفظهم الداخل والخارج معاً!

إذاً أنتم معي بأن اقناع هذا الفريق ضرب من المحال وضياع وقت لااكثر. أما الفريق الثاني فقد كانوا يجهلون ماكان يجري في العراق من آثام بحق الشعب. لذلك فأن املي كبير في اقناع هذا الفريق بصواب موقف المعارضة العراقية، لان هذا الفريق كان معذوراً لأنهم، كما قلت، كانوا يجهلون ماكان يجري في العراق على يد حزب البعث ورئيسه صدام حسين فاذا قدر لهم معرفة ذلك، فأنهم سوف ينصفون حتماً المعارضة العراقية في موقفها الآنف الذكر.

دعوني اضع بعض الثوابت اولاً تمهيداً لاقناع هذا الفريق ولأبدأ بتوجيه هذا السؤال: بعد اطلاعكم على تركيبة النظام البعثي وعقليته ونماذج قليلة من جرائمه تبين لكم ان هذا النظام اقرب الى منظمة مافيوية تحترف العنف والجريمة لبسط سيطرتها على محيطه اكثر من كونه نظاماً يهدف الى خدمة المواطنين كما تفعل كل الانظمة الاخرى والآن السؤال هو: الا تعطون الحق للشعب العراقي في استبدال هذه الطغمة الفاسدة التي جاءت بنتيجة انقلاب واستمرأت سفك دماء الشعب العراقي وتبذير امواله الطائلة دون ان يجرأ احد على رفع اصبع الاحتجاج؟

يقول هذا الفريق ان تغيير نظام الحكم والحكام حق مشروع لجميع الشعوب وهذا لا ينكره احد على الشعب العراقي، ولكن اعتراضهم ينصب على الطريقة التي تتم به ذلك ويقولون: لماذا يتم هذا التغيير عن طريق الاحتلال واراقة الدماء، وقد

كان لكم مجلس نيابي يجب ان ينتخب اعضاؤه كل اربع سنوات، فاذا كانت المعارضة اكثرية، فيمكنكم اجراء هذه الاصلاحات عن طريق الاغلبية البرلمانية وكفى الله المؤمنين شرّ القتال.

ولكن هذا الفريق كان يجهل انه لم يكن هناك مكان للمعارضة في المجلس النيابي البعثي، فالكل يجب ان يدور في فلك البعث، لان القانون ينص على ان المرشح يجب ان يؤمن بمبادئ حزب البعث اي ان يكون بعثياً منظماً في حزب البعث واثبت عملياً اخلاصه للسيد الرئيس صدام حسين (حفظه الله ورعاه) والا فيستبعد من العملية الانتخابية ولم يبلغ الحمق بأحد ان يرشح نفسه ان لم يكن بعثياً ويعرض بالتالي نفسه للعقاب.

وهكذا مهما اجتهد الناخب في الاختيار لايكون في النهاية ممثله في البرلمان إلا بعثياً يهتف: اذا قال صدام قال العراق. ويصفق له جميع اعضاء البرلمان كما لايحق لك مقاطعة الانتخابات لانهم يلغون بطاقتك التموينية لتتضور انت واسرتك جوعاً، واذا ذهبت فلايمكنك ادخال استمارة بيضاء في صندوق الاقتراع علامة الاحتجاج لان مراقب الصندوق يدقق في استمارتك الانتخابية والويل لك ان لم تؤشر على بعض الاسماء وفي بعض المناطق المراقب هو الذي يقوم بمهمتك خاصة اذا كنت امياً واذا رشوه بعض المرشحين. واخيراً وليس أخراً ككل المجالس النيابية التي تتشكل في ظل الانظمة الديكتاتورية، تكون خائفة هزيلة تخدم الديكتاتور بدلاً من الشعب.

كانت لنا مقاومة مسلحة في كُردستان ولكن هذه المقاومة تلقت ضربات مدمرة استعملت ضدها افتك انواع الاسلحة الجوية والارضية دون رحمة ومنها السلاح الكيمياوي دون تمييز بين المدني الاعزل والمقاتل. ولكي لايبقى للمقاتل مكان يأوى إليه او يتناول فيه وجبة غداء قام الجيش بحملة تدميرية للقرى والمدن الصغيرة لم يشهد له التأريخ القديم ولاالحديث لها مثيلاً حيث بلغ عدد القرى المدمرة خمسة آلاف قرية وخمسين مدينة صغيرة وهي مراكز النواحي والقائمقاميات.

قديماً وقبل اختراع الديناميت (تي ان تي) والمكائن العملاقة تعذر القيام بتدمير المباني والمنشآت بهذا النطاق الواسع وحديثاً لن تقوم حكومة تحترم نفسها بتدمير كل هذه القرى والمدن وتهجير سكانها الى المجمعات القسرية دون مورد واخر حلقة من هذا المشروع التدميري عرفت بحملات الانفال العسكرية وسكان هذه المجموعة من القرى والتي بلغت (١٨٢٠٠٠) مائة واثنين وثمانين ألفاً ذهبوا الى القبور الجماعية او معتقل (نقرة السلمان) الصحراوي مات القسم الاكبر منهم نتيجة نقص التغذية والحرارة الشديدة وانعدام الرعاية الصحية.

وهكذا ابقوا على مراكز المحافظات اي مدن: دهوك واربيل والسليمانية واجزاء من كركوك والموصل وديالى والخروج من حدود بلديات هذه المدن يعرضك الى موت محقق استناداً الى البرقية الصادرة من قيادة مكتب تنظيم الشمال (الذي كان يترأسه علي حسن المجيد) الموجهة الى قيادة الفيلق الاول/ قيادة الفيلق الثاني/ قيادة الفيلق الخامس. تحمل هذه البرقية رقم ٤٠٠٨/٢٨ وتأريخ ٢٠/حزيران /١٩٨٧ موضوعه /التعامل مع القرى المحظورة امنياً وإليكم نصها:

بالنظر لانتهاء الفترة المعلنة رسمياً لتجميع القرى المحظورة امنياً والتي سينتهي موعدها يوم ١٩٨٧/٦/٢١، قررنا العمل ابتداءاً من يوم ١٩٨٧/٦/٢٢ صعوداً بمايأتي:

١. تعتبر جميع القرى المحظورة امنياً والتي لاتزال لحد الان اماكن لتواجد المخربين عملاء ايران وسليلي الخيانة وامثالهم من خونة العراق.

٢. يحرم التواجد البشري والحيواني فيها نهائياً وتعتبر منطقة عمليات محرمة ويكون الرمي فيها حراً غير مقيد بأية تعليمات ما لم تصدر من مقرنا.

٣. يحرم السفر منها واليها او الزراعة والاستثمار الزراعي او الصناعي والحيواني وعلى جميع الاجهزة المختصة متابعة هذا الموضوع بجدية كل ضمن اختصاصه.

٤. تعد قيادات الفيالق ضربات خاصة بين فترة واخرى بالمدفعية والسمتيات والطائرات لقتل اكبر عدد ممكن يتواجد ضمن هذه المحرمات وخلال جميع الاوقات ليلاً ونهاراً.

٥. يحجز جميع من يلقى القبض عليه لتواجده ضمن قرى هذه المنطقة وتحقق معه الاجهزة الامنية وينفذ حكم الاعدام بمن يتجاوز عمره (١٥) سنة داخل صعوداً الى عمر (٧٠) سنة داخل بعد الاستفادة من معلوماته.

٦. تقوم الاجهزة المختصة بالتحقيق مع من يسلم نفسه الى الاجهزة الحكومية او الحزب لمدة اقصاها ثلاثة ايام واذا تطلب الامر لحد عشرة ايام لابد من اعلامنا عن هذه الحالات واذا استوجب التحقيق اكثر من هذه المدة عليهم اخذ موافقتنا او برقياً وعن طريق الرفيق (طاهر توفيق العاني).

٧. يعتبر كل مايحصل عليه مستشارو افواج الدفاع الوطني او مقاتلوهم يؤول اليهم ماعدا الاسلحة الثقيلة والساندة والمتوسطة أمّا الاسلحة الخفيفة فيتم اعلامنا بأعداد هذه الاسلحة فقط.

بنكەی ژین
www.zheen.org

التوقيع
الرفيق
علي حسن المجيد
عضو القيادة القطرية
امين سر مكتب تنظيم الشمال

عندما عرضت المحكمة هذه الوثيقة في محاكمة الانفال القضية المرقمة (١/ج ثانية/٢٠٠٦) ادعى (علي حسن المجيد) انها كانت لمجرد التخويف حتى يتركوا القرويين المناطق المحظورة ليس الا، ولكن لدينا عشرات الوثائق تكذب ادعاء علي حسن المجيد كهذه الوثيقة مثلاً:

رئاسة الجمهورية

السكرتير — العدد: ٤٥١٦٣

مديرية الامن العامة — التاريخ: ١٩٨٨/١٠/٢٩

مديرية امن السليمانية — سرّي/ ٨٨٦

سرّي وشخصي ويفتح بالذات

السيد م م ٤ لمنطقة الحكم الذاتي المحترم

تحية وتقدير اشارة الى المكالمة الهاتفية ندرج ادناه الاحصائية المطلوبة:

أولاً: (٩) مجرمين من عناصر الزمرة المعادية تم تنفيذ حكم الاعدام فيهم من قبل هذه المديرية حسب موافقة مكتب تنظيم الشمال الموقرة.

تعليق

١. الزمرة المعادية: يعني المعارضة الكُردية مسلحة او غير مسلحة.

٢. مكتب تنظيم الشمال الموقر:اي علي حسن المجيد (المؤلف).

ثانياً: (١٩) متهماً تم تنفيذ حكم الاعدام فيهم من قبل هذه المديرية لتواجدهم في القرى المحرمة امنياً وحسب توجيهات امن تنظيم الشمال (٤٠٠٨) في ١٩٨٧/٦/٢٠ الفقرة (٥) منها:

تعليق

الا تكذب هذه الفقرة زعم علي حسن المجيد من ان برقيته كانت للتخويف فقط بينما نرى انهم كانوا يطبقونها حرفياً منها هي الاحصائية تشير الى سبب الاعدام وهو (لتواجدهم في القرى المحرمة أمنياً وتشير ايضاً حتى الى رقم البرقية وتأريخها والجهة المصدرة واخيراً الفقرة الخاصة بالاعدام في البرقية (المؤلف).

ثالثاً: ست عوائل عدد نفوسها (١٨) نسمة من ذوي المجرمين موضوع الفقرة تم تنفيذ حكم الاعدام فيهم من قبل هذه المديرية وحسب توجيهات مكتب تنظيم الشمال الموقر.

تعليق

ألم اقل قبلاً انهم كانوا يعدمون الوالدين مع المعدوم هذه الوثيقة تؤكد هذه الحقيقة.

رابعاً: (٧) متهمين من عناصر الزمر المعادية، واحيلوا الى رئاسة محكمة الثورة لقضايا تحقيقية وصدر بحقهم حكم الاعدام.

تعليق

اي لم يتم تنفيذ حكم الاعدام بحقهم لوجود قضايا تحقيقية تخصهم في محكمة الثورة– المؤلف.

خامساً: ٢٥٣٢ شخص ١٨٤٩ عائلة تعدادها ٩٠٣٠ نسمة، ارسلوا الى معسكر الجيش الشعبي في محافظة التأميم من الذين القي القبض عليهم اثناء عمليات الانفال البطولية راجياً التفضل بالاطلاع مع التقدير.

التوقيع

مدير امن السليمانية

١٩٨٨/١٠/٢٩

بنكەی ژین
www.zheen.org

تعليق

لا اعلم هل ان (معسكر الجيش الشعبي في محافظة التأميم) هو معتقل (طوبزاوا) الذي اتينا على ذكره في السابق ام معتقل آخر. اما بخصوص حجم المعتقلين، فنقول ان هذه الاحصائية تخص اعداد المؤنفلين في محافظة السليمانية او ربما قاطع منها، وقد بلغت جمعاً (١١٥٦٢) احد عشر ألفاً وخمسمائة واثنان وستون فرداً، وماذا عن اعداد المؤنفلين في بقية المحافظات: ديالى وكركوك واربيل ونينوى ودهوك والتي اجتاحتها حملات الانفال العسكرية في عام ١٩٨٨ اذاً لماذا اتهام الاحصائية الكُردية بالمبالغة والتهويل اذا ادعوا بأن (١٨٢٠٠٠) مائة واثنين وثمانين ألفاً قد فقدوا في تلك الحملات.

ورد عدد المعدومين ممن ألقي عليهم القبض في المناطق المحرمة امنياً في هذه الوثيقة رقماً بينما ورد في وثيقة اخرى تتحدث ايضاً عن ضحايا مماثلة ولكن مع ذكر الاسماء هذه المرة هذه الوثيقة ايضاً صادرة من مديرية امن السليمانية على شكل كتاب موجه الى مديرية امن الحكم الذاتي يتضمن ايضاً احصائية ولكن من نوع آخر واليكم نص الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

رئاسة الجمهورية — العدد: ش ب/١٩٧٢٧
السكرتير — التاريخ: ١٩٨٩/٨/٢٤
مديرية امن السليمانية — ٢٣هـ محرم ١٤٠٩

الى/ مديرية امن الحكم الذاتي
م/ جرد

كتابكم سري وشخصي ويفتح بالذات ١٠٥٥١ في ١٩٨٩/٨/٢١ نرفق طياً قوائم تتضمن جرد باسماء المجرمين الذين تم تنفيذ حكم الشعب بحقهم للفترة من ١٩٨٩/١/٦ ولحد الان (يقصد تأريخ الكتاب الذي يصادف ١٩٨٩/٨/٢٤ المؤلف) مع بيان ملخص بالجريمة وتأريخ تنفيذ الحكم بحق كل واحد منهم راجين التفضل بالاطلاع.. مع التقدير.

التوقيع
مديرية امن السليمانية

المرفقات
- قوائم بالاسماء وتتضمن (٨٧) مجرماً

www.kurd.org

يهمني هنا التسلسلات من (١–٢٧) من القوائم وهم الذين اعدموا عقاباً على تواجدهم في المناطق المحرمة امنياً تنفيذاً لحكم الفقرة (٥) من البرقية (٤٠٠٨) واليكم التفاصيل كما وردت في تلك القوائم:

ت	الاسم الكامل للمجرم	تأريخ تنفيذ حكم الاعدام	موجز قضيته
١ ٢ ٣ ٤ ٥	اسماعيل حسين قادر حاجي عبدالله يعقوب صديق عبدالله يعقوب حاجي اسماعيل عبدالرحمن احمد بيروت عبدالله احمد	١٩٨٩/٢/١٢	تم القبض على المذكورين في المناطق المحرمة امنياً ولشمولهم بتوجيهات مكتب تنظيم الشمال المبلغة الينا بالبرقية المرقمة ٤٠٠٨ في ١٩٨٧/٦/٢٠ الفقرة (٥) منها فقد تم تنفيذ حكم الشعب بحقهم وهم موضوع بحث كتابنا ٣٩٥٦ في ١٩٨٩/٢/١٣
٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣	قادر صالح حميد محمد محمود احمد محمد آغا ويس كريم قادر خوارحم احمد محمود مولود رمضان محمد طالب محمد يارويس شاويس علي روستم روبيتان قادر عبيد محمد رشيد حسن رمضان محمد فرج احمد	١٩٨٩/٤/٧	تم القبض على المذكورين في مناطق محرمة امنياً ولشمولهم بتوجيهات مكتب تنظيم الشمال المبلغة الينا بالبرقية المرقمة ٤٠٠٨ في ١٩٨٧/٦/٢٠ الفقرة (٥) منها فقد تم تنفيذ حكم

بنكەی ژین
www.zheen.org

١٤	ابراهيم عزيز شاسوار		الشعب بحقهم وهم موضوع بحـــث كتابنـــا ٩٨٥٠ في ١٩٨٩/٤/٧
١٥	محمد قاضي فرج جلبي		
١٦	احمد محمد محمود صالح		
١٧	علي حمه امين رستم		
١٨	صديق محمدرشيد عبدالقادر		
١٩	محمد صالح حسن قادر		
٢٠	محمد ياررويس شاويس		
٢١	محمود ابراهيم احمد رستم		
٢٢	عمر كريم فرج احمد	كـذا	كـذا
٢٣	صالح محمود محمد صفر		
٢٤	عبد الله فرج جلبي		
٢٥	احمد قادر خوامراد		
٢٦	خليل احمد محمد بارام	كـذا	كـذا
٢٧	علي صالح قادر خليل	كـذا	كـذا

بنكەی ژین
www.zheen.org

اذن إن التعليمات الصادرة في كيفية التعامل مع المتواجدين في المناطق المحرمة لم تكن حبراً بارداً على الورق بل دماءاً ساخنة كانت تراق بسخاء على الارض الحرام: والآن من هم الذين كانوا يقتلون بالمئات ودون مساءلة في تلك المناطق؟ او كانوا يعدمون بعد ذلك في مجازر مديريات الامن ياترى؟ انهم كانوا فلاحين معدمين يدفعهم الفقر والفاقة الى المخاطرة بأرواحهم والدخول في تلك المناطق المهلكة لجلب كمية من الثمار او حمل من الحطب ليسدوا بأثمانها رمق اطفالهم الجائعة.. او كانوا من المهربين الذين كانوا يجتازون تلك المناطق الموحشة المخيفة لجلب مايحتاجها الناس من البضائع بعد ان ضاق بهم سبل العيش ولم يعودوا.

هذه الضربات الماحقة التي تلقتها المقاومة المسلحة الكُردية على يد صدام حسين جعلتها اضعف من ان تحدث اي تغيير في العراق. كانت هناك ايضاً مقاومة مسلحة في الجنوب والوسط وحصراً في مناطق الاهوار. كلمة (هور) وجمعها (اهوار) عبارة عن مسطحات مائية على شكل بحيرات واسعة اكبرها (هور الحمار) الذي يبلغ طوله (٩٢) كيلومتراً وعرضه عشرون كيلو متراً واهوار اخرى اقل منه اتساعاً. يختلف العمق في الهور الواحد من مكان الى آخر، فقد يبلغ العمق في بعض اماكنها اكثر من عشرين متراً وفي غيرها يمكن رؤية قاع الهور.

حول هذه الاهوار هناك مجمعات سكنية وايضاً في داخلها هناك مساحات يابسة تصلح لبناء دور عليها. بيوتهم مبنية حصراً من نبات الزور وعلى نمط جميل ومتميز. ويتجول الاهالي عن طريق زورق محلي يسمونه بـ(المشحوف) يحركها عصا طويلة يغرزونها في القاع، يعتمد اهالي الاهوار في معيشتهم على تربية الجاموس وهي نوع من الابقار الا انها اضخم منها يستهويها المياه وكذلك صيد الاسماك والطيور المائية ومنتوجات البردي التي يبيعونها خارج الاهوار والسؤال هنا هو: اي خطر يشكله الهور لنظام صدام حسين؟ عند تضييق السبل بكُردي فانه يلجأ الى الجبال لتحميه اما في الوسط والجنوب فكل معارض او ناقم او جندي هارب كان يلجأ الى الاهوار لانها كانت حصناً منيعاً.

فكر صدام حسين ان القتال التقليدي لاينفع مع طبيعة الاهوار لذا ابتكر طريقة جديدة وهي لماذا لايقوم بتجفيف الاهوار وبعد ان يتحول الى يابسة يمكنه شق الطرق فيها حتى تتحرك عليها آليات الجيش ودروعه ومدافعه وبذلك يقهر الهور ومن يتحصن فيه. اما كيف؟ فعن طريق بناء سدود تحول مجرى نهري دجلة والفرات الى اماكن اخرى. وبعد ان تم له ذلك قام بهجوم كاسح براً وجواً طهر ليس فقط المقاومة انما عشرات الالوف من الاهالي اصبحوا بلا مأوى وبلا دخل. اذهبوا فأرض الله واسعة. وهكذا قضى صدام حسين على نمط من الحياة يعود جذوره الى

اعماق سحيقة في القدم وعلى ملايين الاحياء المائية، وتسبب في تشريد عشرات الألوف من العوائل.

في (البرازيل) قد يؤدي خسارة فريقه الكروي الى سقوط وزارة او وقوع وزير في فضيحة اخلاقية او مالية كثيراً ما أدت الى سقوط حكومات في الدول الديموقراطية اما في العراق، فالحكومة باقية وكأنها قطعة من الدهر، فلو تهدم الوطن وتحول الى انقاض، فانهم يجلسون فوقها وكأنهم غربان مشؤومة. انهم باقون وكأنهم قدر العراقيين تحطم البلد ام لم يتحطم.

كلكم قرأتم احداث الانتفاضة الشعبانية وكيف سقطت من جرائها جميع المحافظات ومع ذلك استعادوها بقوة السلاح انهم غرباء عن آلام الشعب وآماله في ان يعيش بكرامة وكأنهم لايمتون الى تربة هذا الوطن تماماً كالغزاة الاوائل. وانا لصبي مشرد كان يفرض الاتاوات على اصحاب المطاعم والمقاهي في شبابه بدون قيم او مثل سامية او ثقافة قدر له كما في قصص ألف ليلة وليلة الخيالية ان يصبح بين عشية وضحاها رئيساً للجمهورية يتحكم بالمال والعباد رجل لم يفهم من فلسفة الحكم سوى عنفها ومغانمها الشخصية لذلك ليس من السهل ازاحة رجل بهذه المواصفات الرديئة والمتخلفة. قال صدام مرة في مناسبة حزبية سجلت على قرص مدمج (C.D) عرض في قضية الدجيل الذي اعدم بسببها ((في مقدوري ان اقتل عشرة آلاف واحد دون ان يرف لي جفن)).

لم ينكر صدام قوله هذا ولكن استفسر عن المناسبة التي قال فيها هذا الكلام ونحن نقول اهذا كلام رئيس دولة اياً كانت المناسبة. بقيت وسيلة اخرى من الممكن ان تقضي على صدام حسين ولكن ليس على نظامه، وهي ان تأتي عن طريق انقلاب عسكري وهذا ما لم اكن اتمناه اي كنت افضل صدام حسين على الرغم من كل مساوئه على انقلاب من هذا الطراز لان الذي كان يعقب صدام حسين كانت العسكرية البعثية، لان القبول في الكلية العسكرية بعد تقلد البعث الحكم في عام ١٩٦٨ كان حكراً

على الشباب البعثي، عندئذ تبدأ المحنة الحقيقية للشعب العراقي اذاً كان علينا – تخوفاً منا من هذا الاحتمال– ان ندعو لصدام بطول العمر.

من كان يأتي بعد صدام لو حصل انقلاب عسكري؟ يأتي الى الحكم علي حسن المجيد، وقد تحدثنا عن دمويته قليلاً، وهشام صباح الفخري الذي قصف المستشفى العام في مدينة العمارة وصابر الدوري الذي قال: بودي ان استعمل السلاح النووي ضد المحافظات التي سقطت وبارق عبد الله الذي كان يقذف بالمواطنين من مروحيته وهي محلقة في الجو.

هل تتذكرون الفقرة (٥) من برقية مكتب تنظيم الشمال لحزب البعث العربي الاشتراكي المرقم (٤٠٠٨) حسناً انني اجنبكم مشقة البحث عنها واذكر لكم نص ماورد فيها ((يحجز جميع من يلقى القبض عليه لتواجده ضمن قرى هذه المنطقة وتتحقق معه الاجهزة الامنية وينفذ حكم الاعدام بمن يتجاوز عمره (١٥) سنة داخل صعوداً الى عمر (٧٠) سنة داخل بعد الاستفادة من معلوماته)).

والآن تأملوا في هذه الوثيقة التي عرضت اثناء محاكمة الانفال الآنفة الذكر (ص٢٤٠ من القرار). هذه الوثيقة عبارة عن كتاب صادر من قيادة مكتب تنظيم الشمال مكتب السكرتارية بالعدد (٥٠٨٣) في ١٩٨٧/٧/٢٢ والمعنون الى قيادة الفيلق الاول موضوع الوثيقة اعدام مجرمين والمتضمنة كتابكم السري والشخصي (٣٥٢) في ١٩٨٧/٧/٨ علق الرفيق المناضل علي حسن المجيد مسؤول مكتب تنظيم الشمال على ماجاء بكتابكم اعلاه مايلي: ((ليس لدينا اعتراض على قطع رؤوس الخونة ولكن كان الافضل ارسالهم الى الامن للتحقيق معهم ايضاً لربما يجدون لديهم امور اخرى يستفاد منها قبل الإعدام)، وهذه الوثيقة موقعة من قبل المتهم (طاهر توفيق العاني)).

ماالذي فهمناه من هذا الكتاب؟ الذي فهمناه ان قيادة الفيلق الاول نفذت حكم الاعدام في مجموعة من القرويين لايعرف عددهم والمذكور في كتاب الفيلق المشار اليه والذي لم نعثر عليه تنفيذاً للفقرة (٥) المارة الذكر قبل ارسالهم الى الامن

للتحقيق معهم هل تعلمون من كان قائد الفيلق الاول؟ انه لم يكن سوى الفريق الاول (سلطان هاشم)، نعم انه كان متلهفاً لقتل الابرياء اكثر من علي حسن المجيد، يقول المثل: الويل للذي يقول له فرعون يا كافر فرعون يقول له كافر. هذا هو معدن الرجال الذين كانوا يأتون الى الحكم بعد صدام لو حدث انقلاب عسكري.

اذاً كيف التخلص من هذه الطاغية الذي استمر سفك دماء من لايكون بهيمة في مملكته؟! قد يقال بمعجزة ونقول ان زمن المعجزات قد ولى، إن لم تكن المعجزات نفسها اسطورة من اساطير الاولين. وهكذا اصاب اليأس والقنوط الشعب العراقي وسدت بوجهه جميع ابواب الخلاص ولكن القدر ذلك اللاعب الماهر على رقعة شطرنج الزمن قد اتى بنقلة يعجز عن الاتيان بها خيرة ابطال الشطرنج في العالم بحيث قلبت اللعبة رأساً على عقب وغير جميع المعادلات عندما قامت القاعدة بضرب برجي التجارة العالميتين في نيويورك، فكان في ذلك خلاصنا وقديماً قيل مصائب قوم عند قوم فوائد وهذه من المرات القليلة التي يخرج فيها الشعب العراقي محظوظاً في تأريخه الطويل المليء بالنحس وسوء الطالع. عندما قررت قوات التحالف شن حرب على الارهاب وحاضناته وكان العراق واحداً منها.

الوضع في العراق –كما رأينا– كان ارهاباً مقيماً لايقبله العقل .. استمر هذا الارهاب طيلة (٣٥) عاماً وكان من الممكن ان يستمر طيلة عمر صدام ومن بعده الى اولاده او الى العسكريين إلاّ ماشاء الله.

كان على هذا الوضع المأساوي ان يتغير وقد بينا لكم ان الشعب العراقي كان عاجزاً عن عمل اي شئ كان اعزلاً يواجه قوة غاشمة مسلحة لاترحمه. اذاً اين المفر؟ كان هذا العلاج يجب ان يأتي من الخارج.

لاأحد فيه ذرة من الوطنية يحب الاحتلال ولكن ماالعمل وقد اصبح الاحتلال خيار العراق الوحيد لحصول هذا التغيير وقد يكون نحو الاسوأ ولكن لنجرب ربما لايكون كذلك. لحسن حظ العراقيين كان المحتلون يجدون خلاصهم من الارهاب في اقامة نظام ديمقراطي في العراق، فأجرينا انتخابات حرة ونزيهة اختار فيها الشعب

دون خوف واختار نظاماً فدرالياً ديمقراطياً تعددياً لقد قيل الشئ الكثير عن هذه الانتخابات وكيف انه تم في ظل الاحتلال ولكن نقول لله وللتأريخ لم يكن للاحتلال اي تأثير على ارادة الناخب ولكن كان تمثيلنا البرلماني ناقصاً بسبب مقاطعة اخواننا السنة للانتخابات اما في الدورة الثانية للمجلس النيابي ٢٠١٠/٣/٧، فقد شاركوا هم ايضاً وحصلوا على نسبة كبيرة من الاصوات وشكلنا حكومة وفاق وطني ونعمنا نحن الاكراد بسلام في ظل هذا النظام الديمقراطي ولم يبق عندنا الغالب والمغلوب وقد اوفت قوات الاحتلال بوعودها في الانسحاب من العراق ولم تبق حالياً سوى قوة صغيرة نسبياً مهمتها تدريب وتأهيل القوات العراقية للقيام بمكافحة الارهاب وتأمين سلامة المواطنين وليس سحقهم كما كان الحال في زمن صدام حسين.

والآن هل تنصفون المعارضة العراقية ايها الفريق الثاني المحترمون؟ اتمنى ان يأتي جوابكم بنعم.

بنكەی ژین
www.zheen.org

بنکەی ژین
www.zheen.org

(١٩)

كلمة ختامية

أن اكتشاف القبر الجماعي في العراق اتخذ طابع (الظاهرة) ومن طبيعة الظاهرة التكرار والاستمرارية. ففي أي يوم هناك احتمال العثور على قبر جماعي جديد، لان اعداد المفقودين في فترة حكم البعث والتي دامت خمسة وثلاثين عاماً (تموز/١٩٦٨- شباط/٢٠٠٣) من الكثرة، بحيث يقدرها بعض المصادر بثلاثمائة الف مفقود، لايتناسب كلياً مع اعداد الرفات في القبور الجماعية المكتشفة الى الآن. اذاً هناك اعداد كثيرة اخرى من القبور الجماعية تنتظر ازاحة التراب عنها واجراء التنقيبات فيها. بحيث لايستبعد بعد مئات السنين من الآن، عندما يحفرون اساس بناية ما او مشروع من أي نوع كان، أن يجدوا أنفسهم أمام قبر جماعي. ولايعلم احد، الا الله، متى تنتهي هذه العروض اللعينة؟!.

عندما كنت اكتب هذه الاسطر نشر في عدد يوم ٢٠١١/٣/١٠ من جريدة "التآخي" خبر اكتشاف قبر جماعي او ربما عدة قبور في محافظة كركوك وبالتفصيل كالآتي:

قال وكيل وزارة البيشمركة في حكومة اقليم كوردستان "انور حاجي عثمان"، اثناء تمركز قوات من البيشمركة عند مشارف كركوك عثر ضابط من اللواء الاول لقوات الپيشمەرگە على مقبرة جماعية خلف معمل البيبسي، مقابل المنطقة الصناعية في كركوك. مضيفاً انه تم حفر هذه المقابر عن طريق الحفارات وبشكل خندقي، حيث يضم كل خندق رفات شخصين او ثلاثة والبعض الاخر اكثر من ذلك، وتظهر على اجسادهم اثار طلقات نارية، ويتوقع ان يكونوا جميعاً من الكورد وان يعود تاريخها الى عام ١٩٨٨، اي في فترة عمليات الانفال. كما كشف وكيل وزارة الپيشمەرگە ان هذه المقبرة كبيرة جداً ويتوقع ان تضم رفات اكثر من (٣٠٠٠) ضحية لذلك طالبنا من حكومة اقليم كوردستان تشكيل لجنة خاصة لفتح

هذه المقابر بشكل علمي. واضاف انور عثمان: لكي يخفي النظام السابق هذا المكان عمد الى جعله منطقة عسكرية، ووضعوا فيها قوات من الجيش، ولو لم تكن قوات الپيشمەرگه موجودة في كركوك الآن لما تم العثور على هذه المقبرة والعشرات من المقابر الاخرى.

لم تمض على اكتشاف القبر الجماعي الآنف الذكر سوى شهر وبضعة ايام حتى ظهر على صدر الصفحة الاولى من جريدة (البينة الجديدة) وبـ(المنشيت) الكبير الخبر الآتي:

وزارة حقوق الانسان تكشف عن مقبرة جماعية في الانبار تضم رفات (٨٠٠) مواطن معظمهم شيوعيون. واليكم تفاصيل هذا القبر كما ورد في العدد (١٢٧٣) من الجريدة المذكورة مؤرخ في ٢٠١١/٤/١٣:

عثرت فرق الخبراء في وزارة حقوق الانسان على مقبرة جماعية في صحراء الانبار تضم نحو (٨٠٠) شخص اعدموا على يد النظام السابق وقال مصدر في وزارة حقوق الانسان في تصريح صحفي ان معظم الضحايا ينتمون الى الحزب الشيوعي العراقي. مؤكداً وجود اشارات الخاصة بالشيوعيين التي تحمل شعار النجمة والمنجل. واضاف المصدر الى ان الخبراء اكدوا ان معظم الضحايا اعدموا في اعوام ٨٥ و٨٦ و٨٧ من القرن الماضي. مبيناً ان بعض الضحايا كانوا يحملون بطاقات تدل على أنهم طلبة كليات ولم يذكر المصدر الذي رفض الكشف عن اسمه مزيداً من التفاصيل رافضاً الكشف عن المحافظات التي ينتمي اليها الضحايا. واوضح ان عدداً قليلاً من الضحايا كانوا يحملون ادعية وصوراً للشهيد محمد باقر الصدر، مؤسس حزب الدعوة الاسلامية.

ان ظاهرة كهذه –أي التي لايمكن حصرها في اطار زمني محدد– تحتم على الباحث اختيار مقطع زمني معين او عينات من القبور الجماعية المكتشفة وأني اخترت الحل الاخير –أي العينات– اتباعاً للمثل القائل (حفنة تنبئك بما في المحل).

كما انني ادركت ايضاً ان التحدث عن القبر وحده، عاجز عن اعطاء فكرة وافية عن عمق المأساة ان لم اتحدث عن هوية المدفونيين في القبر وهل كانوا يستحقون هذه الميتة الشنيعة، لكي ادحض بذلك ابواق الدعاية الحكومية بأن هؤلاء كانوا عملاء وجواسيس وخونه وانهم لم يفعلوا غير ما تفعله كل الدول الاخرى لحماية أوطانهم من خطر هؤلاء.

واخيراً لكي اجعل من الصورة ثلاثية الابعاد اي اكثر وضوحاً وتجسيماً، فقد حدثتكم عن خالق هذا النوع من القبور، الذي لم يألفه العراقيون في كل العهود الا وهو صدام حسين، فمعرفة الخالق يساعدنا كثيراً في معرفة مخلوقاته! وكل ما ارجوه هو انني وفقت في تحقيق غرضي، الذي هو امنية كل مؤلف وباحث والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بنكەی ژین
www.zheen.org

بنکەی ژین
www.zheen.org

الملاحق

بنکەی ژین
www.zheen.org

بنکەی ژین
www.zheen.org

الملحق الاول

قبور غير هادئة

البحث عن المفقودين في كُردستان العراق شباط ١٩٩٢

تحت هذا العنوان نشرت منظمة مراقبة حقوق الانسان في الشرق الاوسط ومنظمة اطباء من اجل حقوق الانسان، تقريراً مصوراً بنتائج تحقيقاتها في القبور الفردية والجماعية واجراء المقابلات مع ذوي المفقودين. وقد ورد في مقدمة التقرير مايأتي:

في شهر كانون الاول من عام ١٩٩١ ارسلت كل من منظمة مراقبة حقوق الانسان في الشرق الاوسط ومنظمة اطباء من اجل حقوق الانسان بعثة الى شمال العراق، لمراقبة عمليات فتح القبور والتعرف على الضحايا وتحديد الاسباب والكيفية التي حصلت بموجبها وفاة افراد دفنوا في مقابر فردية وجماعية غير معلمة وضم الفريق كلايد كوليز سنو، وهو مختص بعلم الانثروبولوجيا الشرعي ومستشار لدى دوائر الفاحصين الطبيين في مدينة اوكلاهوما وكوك كاوتني وايلينوي. وضم الفريق ايضاً بيرني ماكلوركان، وهو عالم آثار لدى دائرة الطرق والمواصلات في ولاية اركنساس. وكارين بيرنز وهو مختص بعلم الانثروبولوجيا الشرعي في مركز علوم الاثار في جامعة جورجيا. واريك ستوفر وهو كاتب متخصص في الطب وحقوق الانسان ومستشار لدى منظمتي اطباء من اجل حقوق الانسان ومراقبة حقوق الانسان في الشرق الاوسط.

وقد انضم الى الفريق كل من سوزان مايسسلاس وهي مصورة حرة تعمل في نيويورك وريتشارد روجرز وهو صانع افلام واستاذ افلام في جامعة ولاية نيويورك وبيرجز كامبس وباميلا بلوتنر وهي رسامة واستاذة مادة الفن في جامعة ماري لاند وبيرنارد شميت وهو صحفي الماني.

سافر وفدنا في الفترة الواقعة مابين ٢٣ كانون الاول و٢٩ من الشهر نفسه من مدينة زاخو في اقصى شمال المنطقة الواقعة تحت السيطرة الكُردية، الى مدينتي اربيل والسليمانية الى الجنوب حيث اجرينا هناك مقابلات مع ذوي المفقودين والسجناء السياسيين السابقين والمحققين والقادة الاكراد. وسجلنا شهادات حضاري القبور الذين امروا في السابق من قبل الضباط العراقيين بدفن جثث السجناء السياسيين المعدومين وكذلك اجرينا مقابلة مع فتى في الخامسة عشرة من عمره وتشكل شهادته المفتاح لحل واحدة من الالغاز الكبرى في كُردستان العراق*.

وهو ماذا حصل لما لايقل عن (١٠٠٠٠٠) رجل وامرأة وطفل الذين يدعي الاكراد بأنهم اختفوا دونما اثر. يتحدث هذا التقرير عن الجهود المبذولة في كُردستان العراق للتحقيق في اختفاء وقتل عشرات الالاف من الاكراد على يد النظام العراقي. ويبحث كذلك في الوسائل والاجراءات التي يتبعها المحققون الاكراد لجمع وتوثيق وحفظ الادلة الشرعية. ويسرد التقرير ما تم اكتشافه مبنياً على الملاحظات الاولية والمقابلات وفتح العديد من القبور غير المعلمة. واخيراً فان التقرير يقترح سبلاً يمكن المجتمع الدولي من مساعدة المحققين الاكراد في مجال تحسين اساليب جمع الادلة.

www.zheen.org

تم التحقيق في قبور عمليات القتل التي جرت خارج اطار القانون؟ من وجهة النظر الانسانية، تتمكن العوائل من التوصل الى مصير اعزائها ودفنهم بصورة لائقة. وان التعرف على الضحية ومعرفة اسلوب وسبب الوفاة، ولو لعدد قليل من الذين اختفوا، قد يزود المجتمع الدولي بأدلة علمية وايجابية لفضح وادانة المسؤولين عن ارتكاب هذه الجرائم، وعلاوة على ذلك فأنه يمكن ومن خلال التوثيق الشرعي والنزاع اللاحق وتحميل الدول المسؤولية ردع افعال كهذه مستقبلاً في العراق وفي اماكن اخرى.

---

* يقصد (تيمور).

بهدف اغناء بحثي سوف اختار لكم من التقرير المذكور مايتعلق مباشرة بالقبور التي لم اتحدث عنها وقد اشرت قبلاً الى معسكر او قاعدة (سارداو) العسكرية التي وردت ذكرها في هذا التقرير ايضاً واليكم الآن نماذج اخرى من القبور الجماعية واحياناً فردية ايضاً من ضحايا ارهاب الدولة.

اولاً: تل دَباشان في السليمانية

يعتبر هذا التل من التلال القاحلة المحيطة بمدينة السليمانية وهي غير مسكونة ولاتنمو عليه الاشجار، تحول هذا التل في السابع من نيسان عام ١٩٩١، بعد يوم واحد من اعادة العراقيين السيطرة على السليمانية، الى مقبرة جماعية. ففي ذلك اليوم دعي احمد شريف، وهو سائق جرافة يبلغ الخمسين من عمره، الى صالة تشريح المدينة وامر من قبل ضابط عراقي بدفن (٢٥) جثة في مناطق مختلفة في المدينة، وقد خامر احمد شعوراً، بأنهم اما ان يكونوا قد قتلوا عندما قصف العراقيون المدينة او انهم قتلوا بعد ان احتل الجنود العراقيون المدينة او انهم قتلوا بعد ان احتل الجنود العراقيون المدينة وبعد ان قاموا باطلاق النار على المدنيين في اثناء هربهم[١٧].

يقول احمد شريف: انني لم اغادر المدينة حين هاجمها العراقيون. ان ما رأيته امر لايصدق، فقد قصفت الدبابات والطائرات العراقية ودون تمييز كل مكان، فأستبد بالناس الذعر وبدءوا بالهرب. وقامت الطوافات الحربية بمطاردة الناس واطلاق النيران عليهم. كان احمد شريف يصل الى صالة التشريح ولمدة يومين في وقت مبكر ونقل من ١٠-١٢ جثة الى تل دباشان بواسطة الجرافة، ويقول احمد بأن الجثث التي نقلها كانت تمثل عدداً قليلاً من الموتى ويضيف: اعلم ذلك لانني

[١٧] اطلع اخرون من سكان السليمانية وفدنا على حوادث محددة حيث فتح جنود عراقيون النار على مدنيين غير مسلحين من ضمنهم الاطفال اثناء هربهم من المدينة خلال الحصار المفروض على المدينة في مطلع نيسان.

رأيت وعلى طول الطريق المحيط بالمدينة الناس ممتدين على طول الارصفة بعضهم كانوا موتى واخرين كانوا يموتون متأثرين بجراحهم في ١٩٩١/١٢/٢٥، اخذ احمد شريف بعثتنا الى المنحدر الجنوبي لتل دباشان، وقد رافقنا اعضاء من الاتحاد الوطني الكُردستاني حيث قال احمد شريف بأنه تم دفن مالايقل عن ١٣ جثة هناك وانه تم كذلك دفن ١٢ جثة اخرى في الجانب الاخر من التل وذلك في قبر جماعي واحد. ازال احمد طبقة من التربة بسمك اربعة اقدام مستخدماً الجرافة فكشف بذلك عن جثة بحالة من التفسخ الشديد كانت الجثة تعود لامرأة كانت تحمل آثار اصابة شديدة على الجمجمة[١٨] حصلت قبل الوفاة، وقد تعرف سكان محليون على احدى قطع ملابسها وهي عبارة عن عباءة صلاة من النوع الذي تستخدمها النسوة المسنات.

ثانياً: مقبرة سيوان في السليمانية

اعتاد صادق عيسى لمدة ٣٠ سنة على حفر القبور على تلال مقبرة سيوان وهناك الان مقابر اخرى في المدينة ولكن مقبرة سيوان تعتبر كبرها وقد دفن فيها المئات من السجناء الذين تم اعدامهم خلال العقدين الماضيين. ويبلغ عيسى الآن ٦٣ سنة وهو لايقرأ ولايكتب ولكنه يتذكر وبوضوح وجوه العديد من الذين قام بدفنهم. يقول صادق: لقد قمت بدفن (٦٠٠) من الذين قتلوا على يد الامن بين عامي ١٩٨٥–١٩٨٩ كان البعض منهم من البيشمركة والبعض كانوا نساءاً واطفالاً وقد تم تعذيبهم في بعض الاحيان. هناك حفاروا قبور اخرين ولكنني واثق من انني دفنت معظمهم. وقد دعيت في بعض الاحيان الى المستشفى واحياناً اخرى الى قسم التشريح او الى مقر

[١٨] اجرى كلايد سنو فحصاً سريعاً للجثة حيث وجد على الجانب الايسر من الجمجمة فتحة شبه دائرية قطرها سنتمتر ونصف السنتمتر تبين مخرج جرح مائل خارجي. وان فقدان عظام الجانب الايمن يمنع تحديد مدخل جرح خارج ظروف المختبر بالنتيجة تبدو بانها قتلت اثر جرح نجم عن تلقي اطلاقة في الجانب الايمن من الجمجمة خارجة بشكل مستعرض من الجانب الايسر للجمجمة.

جهاز الامن مباشرة لجلب الجثث. وقد امرت مرات عدة بالاحتفاظ بسرية الامر. ولكنني لم افعل ذلك فاذا ما ظهر الاقارب لربما قلت لهم اذهبوا الى هناك او لربما سلمتهم الجثث سراً وفي حال معرفتي للمعدوم كنت اتوجه الى العائلة مباشرة لاخبارهم بالامر. اما الذين لم اعرفهم فقد دفنتهم بملابسهم ليكون التعرف عليهم سهلاً لاحقاً في احدى المرات، وكان ذلك في بداية عام ١٩٨٨ وبالتحديد الايام الاربعة الاولى من بداية ذلك العام قمت مع حفار اخر بدفن مابين ٧٥ و٨٠ جثة وعلى رؤوسهم اثار اطلاقات نارية وفي وقت اخر جلب العراقيون جثث ٢١ كُردياً قالوا بانها تعود لهاربين من الجيش العراقي وسمح لنا الجنود بالصعود الى الشاحنة مع الجثث وتوجهنا نحو معسكر سارداو حيث قمنا بدفنهم*.

قاد عيسى بعثتنا الى قسم من مقبرة سيوان ويدعى هذا القسم حالياً (كُردي شهيدان) اي تل الشهداء حيث قام بدفن معظم الجثث التي ارسلت اليه من قبل جهاز الامن وقد قمنا وبمساعدة من عيسى بفتح اربعة قبور غير معلمة (راجع ملحق ب).

قام الدكتور سنو وبيرنز بدراسة الهياكل العظمية في مستشفى السليمانية في اليوم التالي، وقد وجدا بان اثنين منها يحملان اثار اصابة عنيفة وكانا يعودان لذكرين ويحملان اثار جروح ناجمة عن تلقي اطلاقات نارية في الرأس. وقد تبين بان الهيكل العظمي الثالث لايعود لواحد من ضحايا الاعدام فتمت اعادة دفنه[١٩]. اما الهيكل العظمي الرابع وكان يعود لانثى في منتصف الى اواخر الثلاثينات من عمرها فلم يحمل اثار اصابة ظاهرة بل كان يحمل اثار تدل على هويتها اما الظروف المحيطة بوفاتها فقد بدأت بالظهور. وتذكر صادق عيسى بانه قام بدفنها على الرغم من عدم تذكره الشهر او السنة فقد تذكر بانها كانت جذابة وكانت تحمل اثار خدوش حول عنقها وكأنها خنقت.

وفي صالة التشريح زرنا انور علي محمد وهو مساعد طبيب المختص بعلم الامراض بدليل اخر فقد تمكن من التعرف على ملابس المرأة وقال بانها كانت

---

[١٩] ادرك الحفار بانه ارتكب خطأ حين تم الكشف عن الجثة بعد تجريده من الملابس.

تحمل اثار وثاق حول عنقها وبعد البحث في سجلات صالة التشريح وجد محمد علي محمد صفحة خاصة بامرأة تدعى كولة كريم سبق وان تم جلبها من قبل جندي عراقي في ١٩٨٩/١١/٢٤ وقد اكد تقرير الطب العدلي بانها شنقت بواسطة حبل كان انور علي محمد واثقاً من ان الهيكل العظمي يعود لكولة كريم احمد. وعلى الرغم من التعرف على الجثة فقد ارسلت الى المقبرة لدفنها بصفة مجهول. ولإتمام الفائدة انقل لكم الملحق (ب) المشار اليه عند التحدث عن مقبرة (سيوان).

ملحق (ب)

بقايا الهياكل العظمية البشرية المستخرجة

من مقبرة سيوان في السليمانية/ العراق ٢٧-١٩٩١/١٢/٢٨

الموقع: مقبرة سيوان، تل الشهداء

تاريخ الفحص: ١٩٩١/١٢/٢٨

الموقع: صالة تشريح مدينة السليمانية

الاشخاص المسؤولين عن اجراء عملية التنقيب والفحص:

كارين بيرنز

بيرني مكلوركان

كلايد سنو

باميلا بلوتنر

اريك ستوفر

نبذة مختصرة:

تم قضاء يوم ١٩٩١/١٢/٢٧ بكامله

مقبرة سيوان في منطقة تعرف بتل الشهداء، حيث تم دفن عدد من الاشخاص الذين لم يتم التعرف عليهم في هذا الجزء من المقبرة كان البعض منهم من ضحايا الاعدام والذين سلمت جثثهم الى عمال المقبرة لتدفن سراً.

www.zheen.org

قال حفار القبر: لتعيين مواقع بعض القبور بانه بذل مافي وسعه لدفن الضحايا بشكل لائق على الرغم من القيود المفروضة. فبدون مساعدة عوائلهم لم يتم نزع ملابسهم ولم يتم كذلك غسلهم ولم يكفنوا طبقاً للتقاليد على الرغم من ذلك فقد وضعت جثث الضحايا بالوضعية الصحيحة داخل الارض وعلمت القبور بوضع الحجارة عند القدم والرأس وصبغت العديد من الحجارة الموضوعة عند الرأس بصبغ ازرق لتشير الى ان الضحايا غير معروفة.

تم في السابع والعشرين من شهر كانون الاول فتح قبرين (القبر رقم -١- والقبر رقم -٢-) متجاورين. وقد تم نقل الهيكل العظمي الموجود في القبر الاقل عمقاً (رقم -٢-) وتم في نفس اليوم نقل الهيكل العظمي الموجود في قبر ثالث بعد فتحه. وتم في ٢٨ من الشهر عينه نقل الهيكل العظمي الموجود في القبر رقم -١- وكان هذا القبر أعمق من القبر رقم -٢- بمقدار متر واحد وتم ايضاً فتح القبر رقم -٤- واستخرج الهيكل العظمي الرابع الموجود فيه. وقد تم تنظيف الهياكل العظمية الاربعة في صالة تشريح مدينة السليمانية في الثامن والعشرين من شهر كانون الاول. وهي موصوفة في القسم الاتي من هذا التقرير.

بنكەی ژین
www.zheen.org

القبر رقم -١- مقبرة سيوان

مخلص كان هذا القبر اعمق من القبر المجاور له (رقم ٢) ويبدو انه قبر تقليدي لعدم وجود ملابس او خيوط وانه اقدم من بقية القبور بكثير لان العظام متفتتة بشكل ظاهر وقد تقرر بان هذا القبر لايعود لضحايا الاعدام وتم التوقف عن السير في اجراءات المعاينة.

اوصاف الهيكل العظمي: انفصال الطبقة الخارجية للعظام وتكسرها والعظام الصغيرة متفتتة وغير كاملة.

الاوصاف المتعلقة بالاسنان: لاتوجد

السلالة: قوقازي

الجنس: ذكر

العمر وقت الوفاة: مسن

القامة: لم تحدد

الاصابات: لم تلاحظ اية اصابة

القبر رقم –٢– مقبرة سيوان

مخلص:

الهيكل العظمي يعود لشاب مع وجود مدخل جرح ناجم عن تلقي اطلاقة نارية في الجهة الخلفية للجمجمة. مخرج الجرح يمر من خلال الجهة العليا للعنق. وجود تجمع للاسنان الامامية واثار كسر في الانف. الملابس موجودة.

الاوصاف المتعلقة بالهيكل العظمي: العظام خالية من الانسجة الرخوة وذات لون غامق مع عدم وجود تآكل في الطبقة الخارجية.

افضلية الحركة الارادية لليدين: هناك دليل يشير الى انه كان يستعمل يده اليمنى.

بنكەی ژین
www.zheen.org

الاوصاف المتعلقة بالاسنان: تحمل الاضراس الثالثة اثار تنقط، وجود نخر في الضرس السفلي الثاني، عدم تطابق الأسنان الامامية وان القاطعتين الجانبيتين العلويتين تتخطيان الحافات الجانبية للقواطع المركزية هناك انحراف لاحدى الاسنان القاطعة الوسطية السفلى نحو اللسان.

السلالة: قوقازي

الجنس: ذكر

العمر وقت الوفاة: شاب (١٧–٢٢ سنة) خطوط الاتصال بين عظام الجمجمة واضحة، الفقرة الحجزية الاولى والثانية غير ملتحمة، عظام الترقوة غير ملتحم وعظام الكُردوس في المراحل النهائية للالتئام.

القامة: ١٧٣ سنتمتر (من١٦٧,٥٣–١٧٩,٥٣ سنتمتر).

الامراض: الاصابات (قبل الوفاة) قصبة الانف بارزة ومنحرفة نحو اليسار، يدل على وجود كسر قديم اكتسب الشفاء في الانف. عدا ذلك فأن الهيكل العظمي خالٍ من الامراض العظمية التي قد تظهر في التاريخ الطبي للمتوفي.

اصابات مابعد الوفاة: مدخل جرح بيضوي على بعد ٤٠ ملمتر من الخط التاجي (خلف الخط التاجي) و ٣٥ ملمتر من الخط السهمي (بجانب الخط السهمي) عرضه -١١- ملمتراً وطوله -٩- ملمترات.

وهناك مخرج جرح في قاعدة الجمجمة وهو خلل شاذ طوله ١٦ ملمتر وعرضه ١١ ملمتر ويقع الى الجهة الخارجية لمنخفض عظم الفك السفلي الايسر هناك ضرر ناجم عن اصابة رافق الجرح الناجم عن الاطلاقة النارية وشمل السطيح التفصيلي العلوي الجانبي للفقرة المستعرضة الثانية والجدار الداخلي للفتحة المتعرضة للفقرة العنقية الثالثة.

القبر رقم -٣- مقبرة سيوان

مخلص: الهيكل العظمي يعود لامرأة شابة سبق وان انجبت اطفالاً. ليست هناك جروح ظاهرة على الهيكل العظمي. تم التعرف على ملابس هذه الشابة من قبل مساعد الطبيب المختص بعلم الامراض انور علي محمد. الاوصاف التي ذكرها انور وخاصة بالامرأة كانت مطابقة مع الاوصاف الهيكل العظمي الى حد كبير تم العثور على سجلات صالة التشريح العائد للمرأة من قبل انور وكان اسم المتوفية كولة كريم احمد وقد تم جلبها الى صالة التشريح من قبل جندي عراقي في ١٩٨٩/١١/٢٤ بعد ان تم شنقها بواسطة حبل- وقد ارسلت جثتها من صالة التشريح الى المقبرة لتدفن في قبر مجهول*.

* (گوله) اعدمت بسبب ابن لها يدعى (محمود)، وكان قبل اعدامه طالباً في كلية العلوم بجامعة الموصل، اتباعاً لقاعدة اعدام الوالدين مع المعدوم المار ذكرها. وقد عثر على قبر ابنها مع شاب اخر لم يتعرفوا عليه ليس ببعيد عن قبر والدته، هذا ما اسفر عنها تحقيقات (آران)، ص١٩٩-١٤٠ من كتاب (عالم الكُرد المرعب) للمؤلف.

اوصاف الهيكل العظمي:

العظام مكشوفة ولكنها ماتزال مكسوة بالجلد وانسجة العضلات، حالة القبر متوافقة مع التفسخ غير الهوائي (طبقة سميكة من التربة الرطبة مشبعة بماء يجري من نبع من فوق عظم القص ملئم والفقرة القطنية الخامسة ملتحمة مع عظم العجز. هناك سوفان ظاهر في مراحله الاولى في الفقرات. اثار مخاض. وثلم عميق قبل الاذن.

أفضلية الحركة الارادية لليدين: كانت تستخدم يها اليمنى.

اوصاف الاسنان: تآكل في الاسنان الدائمية ممتد الى عاج الاسنان مع وجود مرض منتشر في الاسنان.

السلالة: قوقازية

الجنس: انثى

العمر وقت الوفاة: بالغة (٣١-٣٩ سنة)

القوام: ١٥٧ سنتمتراً (من ١٥٠-١٦٤ سنتمتراً)

الشعر: بني داكن على شكل جدائل

الاصابات: ليست هناك اصابات ظاهرة

زين
www.zheen.org

القبر رقم -٤- مقبرة سيوان

مخلص: الهيكل العظمي يعود لرجل بالغ- هناك جرح ناجم عن اطلاقة نارية يمر من خلال الجمجمة يقع المدخل في الجانب الايسر من الجمجمة اما المخرج فيقع في الجانب الايمن ويبدو المدخل بانه مزدوج وقد يكون ناجماً عن استخدام سلاح اوتوماتيكي. وقد تم العثور على مقذوف شديد التآكل داخل الجمجمة. الملابس موجودة.

اوصاف الهيكل العظمي: العظام خالية من الانسجة الرخوة وذات لون غامق مع عدم وجود تآكل في الطبقة الخارجية. العمود الفقري في حالة طبيعية. الفقرة العجزية الاولى والثانية ملتئمة، الاضلاع في حالة طبيعية عظم القص مائل.

الكُردوس مابعد القحفي (الجمجمي) مغلق، لايوجد سوفان.

افضلية الحركة الارادية لليدين: كان الشخص يستخدم يده اليمنى.

اوصاف الاسنان: فقدان الاسنان ٣٢و١٦ قبل الوفاة، نخر شديد في السن ١٧.

السلالة: قوقازي

الجنس: ذكر

العمر وقت الوفاة: بالغ (٢٧–٣٨ سنة)

القوام: ١٦٠ سنتمتراً (من ١٦٠–١٧٢ سنتمتراً)

الاصابات: هناك مدخل جرح في الجزء المحرشف من عظم الصدغ الايسر فوق الناشزة الوجنية اليسرى مباشرة ارتفاعه (٥) ملمترات وعرضه ١٦ ملمتراً يشمل مخرج الجرح الفص الخلفي من الخط الحرشفي المسطح عرضه ٤٥ ملمتراً وارتفاعه ٢٠ ملمتراً.

وفي نهاية الملحق هذا هناك مخطط لثلاثة جماجم يرينا مدخل الطلقة ومخرجها في كل جمجمة.

ثالثاً: مقبرة كُردرش (التل الاسود) في اربيل

تقع مقبرة كُردرش اي التل الاسود على بعد سبعة اميال من مدينة اربيل وستة اميال من خطوط الجيش العراقي. توجد في اربيل ١٢ مقبرة ولكن مقبرة التل الاسود وعلى حد قول مخبرينا كانت تعتبر المقبرة الرئيسة التي كان العراقيون يدفنون فيها ضحاياهم في اواخر الثمانينات.

تسمى هذه المقبرة اليوم بـ "شهيدان" اي "مكان الشهداء" وتنتشر فيها الحفر المفتوحة واكوام من الملابس الممزقة وقد قام المحققون الاكراد في الاشهر الاخيرة بفتح العشرات من القبور هناك. فعلى سبيل المثال قاموا بفتح قبر جماعي كان يضم جثث ٢٣ قروياً من سكان شقلاوة تم اعتقالهم على حد قول القرية في ١٩٨٧/١٠/١٦ ولم يعرف عنهم شيء منذ ذلك الحين. تم التعرف على معظمهم فيما بعد من خلال اسنانهم واحذيتهم.

لايعرف احد عدد الذين دفنوا في هذه المقبرة من بين هؤلاء الذين قتلوا خلال العقدين الماضيين. لكن الحفارون يقولون بانهم قد دفنوا جثث المئات من السجناء الاكراد الذين قتلوا في الثمانينات هناك وقد تم التحقيق في العشرات من الجثث ولم يتم سوى التعرف على القليلين منهم. ويقوم الحفارون في هذه الحالة باعادة دفن الجثة وترك ماتبقى من الملابس على القبر على امل ان يتعرف عليها الاهل اذا ما مروا من هناك في يوم ما.

بينما كنا نمر بصفوف من القبور غير المعلمة روى لنا حمد سعيد احمد وهو حفار في البلدية كيف انه امر من قبل جهاز الامن العراقي وضباطه بدفن ضحاياهم. فقد عثر على جثة اخيه قبل اسبوعين بنفسه وتم التعرف عليه من خلال طقم اسنانه. وقد ارعبت قضية احمد اكثر من غيرها حيث قال:

كان ذلك في خريف عام ١٩٨٦. دعيت يومها الى صالة التشريح في المستشفى بعد محاولة اغتيال محافظ اربيل مباشرة وكانت هذه المحاولة في الحقيقة هي الرابعة من نوعها. حيث قابلني ضابط عراقي في مدخل الصالة واخذني الى عجلة جهاز الامن العراقي وكانت بداخلها جثث مايقارب ١٩ شاباً وقد مزقت اجسادهم بالرصاص وكانت ايديهم مربوطة الى ظهورهم وكانوا معصوبي الاعين. قال لي الضابط بان علي ان ادفن هذه (الكلاب) واخبرني العاملون في صالة التشريح بان هؤلاء كانوا طلاباً تم القاء القبض عليهم بصورة عشوائية وقتلوا من قبل فرقة اعدام قبل سويعات مضت ولم يكن ذلك سوى انتقاماً لمحاولة الاغتيال.

وتعتبر هذه وسيلة لتوجيه رسالة الى الاكراد ليس الا وهكذا توجهت بالجثث مع الضابط نحو المقبرة. واستناداً الى التقاليد فأننا نقوم بغسل المتوفي قبل دفنه ونلفه بقماش ابيض. ولكن الضابط لم يسمح لي بان اقوم بذلك وقال بانه يجب القيام بدفنهم على عجل. هكذا قمت بدفنهم مع ملابسهم بيد انني تمكنت من وضع الحجارة حول الجثث وتوجيه وجوههم نحو مكة.

قام اثنان من اعضاء بعثتنا وهما الدكتور سنو وكارين بيرنز بفتح احد القبور التي ذكره محمد سعيد احمد بأنها تضم جثث الطلبة المعدومين. وقاما بنقل احدى الجمجمتين وكانت تحمل مدخلي ومخرجي جرحين وتبدوا بانها ناجمة عن تلقي اطلاقات نارية وكانت الجمجمة تعود لشاب يبلغ من العمر ١٦-١٧ سنة وقد عصبت عيناه بمادة سميكة حمراء وكانت تشبه العمامة وقد شدت على تجويفي العينين وربطت عند قاعدة الجمجمة.

نكتفي بهذا القدر من المعلومات من تقرير البعثة اي القبور غير الهادئة.

الملحق الثاني

قرار رقم (٨)

باسم الشعب

مجلس الرئاسة

بناءاً على ما أقرته الجمعية الوطنية العراقية طبقاً للفقرتين (أ–ب) من المادة الثالثة والثلاثين من قانون ادارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية واستناداً الى المادة السابعة والثلاثين من قانون ادارة الدولة.

قرر مجلس الرئاسة بجلسته المنعقدة بتاريخ ٢٠٠٦/٣/١٢ اصدار القانون الآتي:

قانون رقم (٥) لسنة ٢٠٠٦

قانون حماية المقابر الجماعية

الفصل الاول

الاهداف والوسائل

بنكەی ژین
www.zheen.org

المادة –١–

اولاً: يهدف هذا القانون الى:

أ– حماية المقابر الجماعية من العبث والنبش العشوائي او فتحها دون موافقة رسمية من وزارة حقوق الانسان.

ب– تنظيم عملية فتح المقابر الجماعية وفقاً للاحكام الشرعية والقيم الانسانية بقصد التعرف على هويات الضحايا وما يتبع ذلك من آثار شرعية وقانونية في حدود احكام هذا القانون.

ج– حفظ وحماية الادلة التي يمكن الاستدلال بها على هوية الضحايا.

د– تحديد هويات الجناة والمساعدة في جمع الادلة ضدهم لثبات مسؤوليتهم الجنائية عن الجرائم المرتكبة ضد الضحايا وتقديمهم الى القضاء.

ثانياً: تتولى وزارة حقوق الانسان الدور الرئيس في عملية فتح المقابر الجماعية وحصر اعدادها وتوثيق محتوياتها.

المادة -٢-

يقصد بالتعابير التالية لاغراض هذا القانون المعاني المبينة ازاءها:

اولاً: الوزارة - وزارة حقوق الانسان.

ثانياً: مكتب الاستعلامات- مكتب استعلامات شؤون المقابر الجماعية.

ثالثاً: المقبرة الجماعية- الأرض او المكان الذي يضم رفات اكثر من شهيد تم دفنهم او اخفائهم على نحو ثابت دون اتباع الاحكام الشرعية والقيم الانسانية الواجب مراعاتها عند دفن الموتى وبطريقة يكون القصد منها اخفاء معالم جريمة ابادة جماعية يقوم بها فرد او جماعة او هيئة وتشكل انتهاكاً لحقوق الانسان.

رابعاً: الضحايا- مجموعة من رفات الشهداء التي يتم العثور عليها في المقابر الجماعية.

الفصل الثاني
التنقيب عن المقابر الجماعية

www.zheen.org

المادة -٣-

تقوم الوزارة بالتنسيق مع الجهات المختصة بالبحث والتحري والتنقيب عن المقابر الجماعية.

المادة -٤-

على مالك او شاغل المكان الذي ترى الوزارة وجود مقبرة جماعية فيه السماح لها وللجهات المختصة بدخوله لفحصه او رسم خريطته او تصويره او اتخاذ اي اجراء من الاجراءات الضرورية للبحث والتنقيب عن المقبرة الجماعية بعد تبليغه رسمياً بذلك، على ان لاتتجاوز مدة القيام بالاجراءات المذكورة (١٤) اربعة عشر يوماً من تاريخ التبليغ.

المادة –٥–

تضع الوزارة عند ثبوت وجود مقبرة جماعية في المكان الذي تم البحث والتنقيب فيه يدها عليه مدة لاتتجاوز (٩٠) تسعين يوماً من تاريخ وضع اليد مع مراعاة احكام القانون.

المادة –٦–

أولاً: تشكل الوزارة لغرض تنفيذ احكام هذا القانون لجنة في منطقة المقبرة الجماعية برئاسة ممثل عنها وعضوية:

أ – قاضٍ يسميه رئيس محكمة استئناف المنطقة.

ب– عضو ادعاء عام تسميه دائرة المدعي العام.

ج– ضابط شرطة تسميه وزارة الداخلية.

د– طبيب عدلي تسميه وزارة الداخلية.

هـ– ممثل عن المجلس البلدي يسميه المحافظ المختص.

ثانياً: تتولى اللجنة مايأتي:

أ– فتح المقبرة الجماعية واجراء الكشف عليها للتعرف هويات الرفات التي تضمنها وتنظيم محضر اصولي يتضمن معالم وتفاصيل المقبرة الجماعية موثقة بالافلام والاقراص المدمجة.

ب– تسليم الرفات لذوي الضحية واعادة دفن رفات الشهداء وفق مراسم تليق بهم وتتكفل الدولة النفقات المالية لهذا الغرض.

ج– اصدار وثيقة تحقيق هوية لكل رفات يتم العثور عليها في ضوء التحقيقات والفحوص الطبية والمختبرية اللازمة.

د– اصدار القرارات المقتضية لتنفيذ مهامها المنصوص عليها في هذا البند ورفعها الى الوزارة لاتخاذ الاجراءات القانونية.

ثالثاً: للجنة الاستعانة بخبراء من ذوي الاختصاصات ذات العلاقة دون ان يكون لهم حق التصويت.

بنكەی ژین www.zheen.org

المادة –٧–

أولاً: تعد وثيقة تحقيق الهوية الصادرة بموجب الفقرة (ج) من البند (ثانياً) من المادة (٦) من هذا القانون دليلاً كافياً على اثبات الوفاة وهوية الضحية قابلاً لاثبات العكس وفقاً للقانون.

ثانياً: لورثة الضحية حق الطعن في قرار اللجنة حول تحقيق هوية الضحية لدى محكمة الاحوال الشخصية التي يقع موقع المقبرة الجماعية ضمن اختصاصها المكاني خلال (١٠) عشرة ايام من تاريخ التبليغ بالقرار، يكون الحكم الصادر من المحكمة قابلاً للطعن فيه لدى محكمة المنطقة الاستئنافية بصفتها التمييزية خلال (١٥) خمسة عشر يوماً من تاريخ التبليغ به.

المادة –٨–

أولاً: تقوم اللجنة بتزويد مكتب الاستعلامات في الوزارة بنسخة من قرارها الخاص بتحقيق هوية الضحية مع الاوليات والوثائق المتعلقة بها وجميع ما تم العثور عليه من نقود واشياء تعود الى الضحية.

ثانياً: يتولى مكتب الاستعلامات ما يأتي:

أ– تزويد مكتب المفقودين في الوزارة وغيرها من الجهات المختصة بنسخة من قرارات تحقيق هوية الضحية وجميع المعلومات المطلوبة والوثائق الاخرى.

ب– تزويد ورثة الضحية بنسخة من الوثائق والمستندات المنصوص عليها في البند (اولاً) من هذه المادة والفقرة (أ) من هذا البند مع النقود والاشياء التي تعود الى الضحية.

ج– إرسال وثيقة تحقيق هوية الضحية وجميع المعلومات المطلوبة والوثائق الاخرى الى محكمة الاحوال الشخصية او محكمة المواد الشخصية حسب الاختصاص عند الطلب لغرض اصدار حجة وفاة للرفات التي تم العثور عليها في المقبرة الجماعية وفقاً للقانون.

د- اتخاذ الاجراءات اللازمة لغرض اصدار هوية الاحوال المدنية لورثة الضحايا.

المادة -٩-

على كل من يعلم بوجود مقبرة جماعية في أي مكان يعود له او لغيره الاخبار عنها لدى الجهات المختصة خلال مدة لاتزيد على (٣٠) ثلاثين يوماً من تاريخ نفاذ هذا القانون.

الفصل الثالث
احكـام جزائية

المادة -١٠-

يعاقب بالحبس مدة لاتزيد على (٣) ثلاث سنوات وبغرامة لاتقل عن (٥٠٠٠٠٠) خمسمائة الف دينار ولاتزيد على (١٠٠٠٠٠٠) مليون دينار كل من عبث بمقبرة جماعية او فتحها دون ترخيص من الوزارة او الجهات المختصة وتكون العقوبة السجن اذا ادى فعله الى ضياع ادلة التعرف على هوية الضحايا او الجناة او طمس معالم الجريمة.

بنكەی ژین
www.zheen.org

المادة -١١-

يعاقب بالحبس مدة لاتزيد على (٣) ثلاث سنوات وبغرامة لاتقل عن (١٥٠٠٠٠) مائة وخمسين الف دينار ولاتزيد على (٣٠٠٠٠٠) ثلاثمائة الف دينار او باحدى هاتين العقوبتين كل من عرقل عمل الجهات المختصة في اداء مهمتها في البحث والتنقيب عن المقابر الجماعية او امتنع من تمكينها من اداء مهمتها.

المادة -١٢-

يعاقب بالحبس مدة لاتزيد عن (٢) سنتين وبغرامة لاتقل عن (١٠٠٠٠٠) مائة الف دينار ولاتزيد على (٢٥٠٠٠٠) مائتين وخمسين الف دينار كل من خالف احكام المادة (٩) من هذا القانون.

المادة -١٣-

يعد عذراً قانونياً مخففاً اذا بادر احد الجناة الى ابلاغ الوزارة او الجهات المختصة عن مكان لمقبرة جماعية او ضحاياها او مرتكبي الجرائم ضد الضحايا.

.

الفصل الرابع
احكام عامة وختامية

المادة -١٤-

للوزارة الاستعانة بالجهات المختصة والمنظمات الوطنية والدولية التي لها علاقة بحقوق الانسان من اجل تحقيق اهداف هذا القانون وتوثيق الاجراءات المتخذة بموجبه ونتائجها على المستويين الوطني والدولي.

المادة -١٥-

يتمتع رئيس واعضاء اللجنة المنصوص عليها في البند (اولاً) من المادة (٦) من هذا القانون المخولة بالبحث والتنقيب عن المقابر الجماعية بالسلطات الممنوحة للمحقق المنصوص عليها في قانون اصول المحاكمات الجزائية رقم (٢٣) لسنة ١٩٧١ وذلك عند التحقيق في الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون.

www.zheen.org

المادة -١٦-

يتمتع حارس المقبرة الجماعية والمراقب المكلف بمراقبة ومتابعة حراس المقابر الجماعية لاغراض هذا القانون بسلطة الضبط القضائي المنصوص عليها في قانون اصول المحاكمات الجزائية.

المادة -١٧-

تطبق نصوص احكام الاتفاقيات والمعاهدات الدولية التي صادق عليها العراق فيما لم يرد نص خاص في هذا القانون.

المادة -١٨-

للوزير اصدار التعليمات والبيانات لتسهيل تنفيذ احكام هذا القانون.

المادة -١٩-

ينفذ هذا القانون من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية.

غازي عجيل الياور	**عادل عبد المهدي**	**جلال الطالباني**
نائب رئيس الجمهورية	**نائب رئيس الجمهورية**	**رئيس الجمهورية**

الاسباب الموجبة

لغرض تسهيل مهمة البحث عن المقابر الجماعية التي اقترف جرائمها النظام البائد ولغرض اعادة رفاتهم الى ذويهم وبمراسم تليق بتضحياتهم وتنظيم عملية فتحها وفقاً للاحكام الشرعية والقيم الانسانية وحمايتها من العبث والنبش والتنقيب العشوائي، ولغرض التعرف على هويات الضحايا المدفونين فيها والمحافظة على الأدلة الجرمية وتقديمها الى القضاء لتسهيل مهمته في اثبات مسؤولية الجناة عن جرائم الابادة الجماعية والدفن غير الشرعي وغيرها من الجرائم المرتكبة ضد الضحايا.

شرع هذا القانون

بنكەی ژین
www.zheen.org

الملحق الثالث

مقبرة جماعية ام قبر جماعي، أيهما أصح؟

هناك مصطلح شاع استعماله في العراق مؤخراً بعد سقوط النظام البعثي، وظهور هذا الكم الهائل المرعب من القبور الجماعية، واعني بذلك مصطلح (القبر الجماعي) وجمعه (القبور الجماعية).

الا ان الاعلام العراقي وحتى بعض الكتاب المهتمين بهذه الظاهرة، قد اخطأوا في استعمال هذا المصطلح حيث ابدلوه بالمقبرة الجماعية وجمعها المقابر الجماعية. ووصل الامر بهذا الخطأ الشائع حداً بحيث دخل حتى في القانون الذي ينظم بموجبه التعامل مع هذا النوع من القبور، واقصد قانون حماية المقابر الجماعية رقم (٥) لسنة ٢٠٠٦ والمنشور في جريدة الوقائع العراقية بعدد (٤٠٢١) وتاريخ ١٦/نيسان/٢٠٠٦ (السنة السابعة والاربعون).

ولكي أدلل على صواب ماذهبت اليه اقول: المقبرة بواقعها وطبيعتها جماعية قاطبة دون استثناء، حيث لايمكن نعت موقع، بمقبرة ان لم تحتو على اكثر من قبر، والاسمي بالقبر وليست بمقبرة. ومن الطرف الآخر ان قبور المقابر الاعتيادية عندنا نحن المسلمون وعلى حد علمي الأديان السماوية الاخرى وحتى غير السماوية منذ قتل قابيل وهابيل لايحتوي الا على جثة واحدة لايشاركها فيه غيرها.

أما القبر الذي نحن بصدده، فأنه خلافاً للاعراف المتبعة، تحتوي على اكثر من جثة، قلتْ او كثُرتْ. اذاً إن تسمية مثل هذا القبر بالمقبرة، لن تسعف هذا النوع من القبور الجديدة، فالوصف المنطبق عليه هو (قبر جماعي) وجمعه قبور جماعية اذا كانت اكثر من قبر جماعي واحد، وليست مقابر جماعية للاسباب التي بينتها انفاً. على سبيل المثال اطفال معتقل (دبس) بمحافظة كركوك الذي آوى المؤنفلين الكُرد ردحاً من الزمن قبل ارسالهم الى فيافي البادية الجنوبية ليدفنوا هناك في قبور جماعية.

مات عشرات الاطفال في هذا المعتقل جراء الظروف القاسية وخاصة نقص التغذية، وكان القائمون على ادارة المعتقل يسلمون الاطفال الموتى الى مختار القصبة وبعد ذلك يسارع اهل الخير من سكان القصبة الى دفن هؤلاء الاطفال في مقبرة خاصة حسب التعاليم الاسلامية. هذه المقبرة مهما كثر عدد ضحاياها، لاتعتبر قبراً جماعياً لسبب بسيط لأن كل ضحية انفردت بقبر مستقل فيها.

نكتفي بهذا القدر للتدليل بأن القبر الجماعي هو ليس بمقبرة وان القانون رقم (٢٠٠٦/٥) لم يسن لمعالجة قضايا المقابر وانما سن للقبور الجماعية، هذا النوع الغريب والاجرامي للقبور التي اتحفنا بها حملة الرسالة الخالدة!.

والان لنلقي نظرة فاحصة على القانون نفسه ونبين مالنا من مآخذ عليه:

أولاً: كان من الاصوب ان تتصدر المادة الثانية مواد هذا القانون طالما تتعلق بالتعابير ومايقصد بها لاغراض هذا القانون ومن ثم يأتي اهداف القانون التي ورت في المادة الاولى.

ثانياً: ورد في المادة (٢) الفقرة (ثالثاً) تعريفاً للمقبرة الجماعية، وكما اسلفت انه قبر جماعي وليست مقبرة جماعية. ومما ورد في هذا التعريف: الارض او المكان الذي يضم رفاة اكثر من شهيد وتم دفنهم او اخفائهم على نحو ثابت دون اتباع الاحكام الشرعية والقيم الانسانية الواجب مراعاتها عند دفن الموتى وبطريقة يكون القصد منها اخفاء معالم جريمة ابادة جماعية يقوم بها فرد او جماعة او هيئة وتشكل انتهاكاً لحقوق الانسان.

لنا الملاحظات التالية على هذا التعريف:

١. جاء في التعريف اعلاه (الارض او المكان) الكلمتان ليستا مترادفتين فالمكان اعم من الارض اي ليس بالضرورة ان يكون المكان ارضاً فقد تكون طائرة او سفينة او غيرهما بينما أمكنة القبور الجماعية هي الارض حصراً. اغلب الظن ان واضعي هذا القانون كانوا يقصدون (مكان على الارض) اذا كان الامر كذلك فخير تعبير هو (بقعة ارض) التي يضم رفات اكثر من شهيد تم دفنهم او اخفاؤهم ان عبارة – والكلام لي–

دفنهم او اخفاءهم وكأن الدفن والاخفاء شيئان منفصلان بينما الدفن هو الاخفاء في آن واحد. هذا عدا ان الاخفاء قد يأتي بالنسبة للاحياء ايضاً كان يخفي شخص ما اخر في السرداب وهو حي. وقد يكون خطاءاً مطبعياً حيث ورد (او) بدلاً عن حرف العطف (و).

لنستمر في سرد التعريف: (على نحو ثابت دون اتباع الاحكام الشرعية والقيم الانسانية الواجب مراعاتها عند دفن الموتى وبطريقة القصد منها اخفاء معالم جريمة ابادة جماعية يقوم بها فرد او جماعة اوهيئة وتشكل انتهاكاً لحقو الانسان). لي وقفة على الابادة الجماعية حيث ورد على سبيل الحصر وماذا بشأن جرائم الحرب التي ارتكبتها الحكومة البعثية عند معاركها مع البيشمرگه والمقاومة الشيعية في الاهوار وما ارتكبتها الحكومة خلالها من جرائم الحرب وجرائمها ضد الانسانية كما في الانتفاضة الشعبانية وحتى الجرائم التي لاتندرج تحت اوصاف الجرائم الثلاثة المذكورة والذين دفن معظمهم في القبور الجماعية. اذاً علينا ايضاً ذكر هذين النوعين من الجرائم التي لانذكرها جميعاً ونكتفي بكلمة جريمة فقط.

واخيراً عبارة (يقوم بها فرد او جماعة او هيئة) الفرد والجماعة كلمتان مفهومتان اما الهيئة فهي على شئ من الغموض فلو اضيفت اليها كلمة رسمية اي بمعنى السلطة وهنا السلطة البعثية دون غيرها لزال بذلك هذا الغموض وقد يعترض على البعض على هذا التخصيص والقوانين كما نعلم تعالج قضايا شمولية فقد يظهر في المستقبل قبوراً جماعية من صنع جماعات غير البعث. انا مع هؤلاء البعض ولكن ما العمل والاسباب الموجبة لهذا القانون، قد حصرته بالنظام البعثي والذي تنعته –اي الاسباب الموجبة– بالنظام البائد! والذي تنص: لغرض تسهيل مهمة البحث عن المقابر الجماعية التي اقترف جرائمها النظام البائد. شرع هذا القانون.

لو كلفت انا بصياغة هذا التعريف لصغتها كالاتي: بقعة من الارض غير معلمة تضم رفات اكثر من شهيد من ضحايا نظام البعث بقصد اخفاء جريمته بحق المدفونين في القبر دون اتباع المراسيم الشرعية والاجتماعية التي تليق بانسانيتهم.

وذكر النظام البعثي مهم لسببين الاول لان اية حكومة منذ تأسيس الدولة العراقية في عشرينيات القرن الماضي لم ترتكب مثل هذه الموبقة سوى النظام البعثي، والثاني لان القانون قد الصق حصراً هذه الجريمة بالنظام البعثي.

ثالثاً: يضاف العبارات الاتية حيثما تنهى المادة (٩) وخلال نفس المدة اذا علم بذلك بعد نفاذ هذا القانون.

ان اضافة هذه الفقرة ضروري جداً لان علينا توقع ظهور قبور جماعية جديدة بعد نفاذ هذا القانون ولعشرات السنين ومن القبور مالايظهر الى السطح الى ان ينفخ اسرافيل في صوره معلناً قيام الساعة لأنها غير معلمة كقبر، كما بينا في التعريف المقترح.

رابعاً: اضافة هذه العبارات الى المادة (١٠) بعد عبارة وتكون العقوبة السجن اذا (جرى ذلك بنية سيئة) او ادى فعله الى نهاية المادة.

اذ علينا التفريق بين اسرة مفجوعة يبحث افرادها عن رفاة عزيز لهم، وبين مجرم لايرمي من وراء فعله الا الاساءة لقدسية هذه القبور او طمس معالمها.

خامساً: يستشف من نص المادتين (٤ و٥) ان ارض القبر الجماعي بعد انتهاء اجراءات التنقيب فيها تعاد الى صاحبها الاصلي كي يتصرف فيها كيفما يشاء. ولو أنني لااشك في حسن نية المشرع الا ان هذه الاعادة تعتبر اساءة بالغة الى تاريخ هذا البلد ومصير شعبه. اما لماذا؟ فاليكم اسبابها:

ان الشعوب التي تتعرض الى غزو خارجي كاجتياح النازيين لدول اوربا الشرقية والاتحاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية او ابتلاءهم بحكام ديكتاتوريين قساة امثال صدام حسين وزبانيته. اقول: ان هذه الشعوب بعد ان يتخلصوا من شرور هؤلاء، لايتركون جرائمهم حتى تنسدل عليها ستار النسيان بمرور الزمن، وانما يخلدونها بمختلف الوسائل كاقامة النصب للشهداء وانشاء متاحف تحتوي على أنشطتهم الاجرامية من اسماء وادوات تعذيب وصور

فوتوغرافية واسلحة[٢٠] ويؤلفون كتباً ونشراتاً تتحدث عن اثامهم كما يدخلونها في مناهجهم الدراسية للطلبة. واخيراً وليس اخراً هذه القبور التي قل نظيرها ليس في العراق بل حتى في العالم والتي يجب ان تبقى شاهداً على ماتعرض له هذه الشعب من كوارث وويلات على ايدي تلك الطغمة الطاغية.

ويمكن معالجة هذا النقص في القانون، الذي اجده كبيراً، وذلك بتعديله وباعطاء صلاحية لوزارة حقوق الانسان التي لها الدور الرئيس في عملية فتح القبور الجماعية وفق الفقرة (ثانياً) من المادة (١) بنزع ملكية ارض المقبرة من مالكيها او استملاكها حسب الأصول مقابل تعويض عادل، بعد ذلك تكون الوزارة مكلفة، بحسب التعديل المقترح، ان لاتترك الارض بائرة –بعد ان تخصص لها ميزانية سخية طبعاً– انما عليها تسييجها اولاً ومن ثم انشاء قبور رمزية بنسق وتصميم جميلين بحسب عدد الشهداء في القبر ومن ثم زرعها بمختلف الاشجار والزهور يتوسطه مسلة ينقش عليها اسماء الشهداء وتاريخ اعدامهم واسباب ذلك ومعلومات اخرى. وباختصار علينا تحويل القبر الى متنزه ومزار يؤمها الناس والسياح الاجانب باعتباره معلمة قومية وانسانية... كما تفعل حكومة اقليم كُردستان العراق في الاحوال المماثلة.

وبعكس ذلك، اي اذا اعيدت هذه الاراضي الى اصحابها، فهو طمس (غير متعمد طبعاً) لتلك الجرائم ونكون بذلك قد خدمنا من حيث لاندري هؤلاء الطغاة خدمة لاتقدر بثمن.. لأن هذه الجرائم ان لم نخلدها وكأنها لم ترتكب بحقنا اصلاً، فتخليدها يجعل من العراقيين وكذلك البشرية ان تلعن هؤلاء

---

[٢٠] حدثني صديق عن متحف غير مألوف في بلغاريا، هذا المتحف لم يكن للمخلفات الاثرية القديمة ولاللصور الزيتية او الفوتوغرافية ولا لأي شيء اخر، الا لعظام البشرية وتحديداً عظام ضحايا الاحتلال النازي لبلادهم في الحرب العالمية الثانية والتي استخرجت –كما استخرجناها نحن ايضاً– من القبور الجماعية. ان جدران هذا المتحف واقواسها واعمدتها– وهنا وجه الغرابة كلها مزينة بالعظام والجماجم بنسق تثير الاعجاب والحزن معاً لكي تبقى ذكرى للاجيال القادمة.

الطغاة وتصب جام غضبها على رؤوسهم النتنه الى يوم الدين. وبهذا نردع غيرهم من التفكير بأن يكونوا طغاة خوفاً من لعنة التاريخ الأبدية، ومن الطرف الاخر نكون قد منعنا تكرر ظاهرة صدام حسين مرة اخرى، ليس في العراق وحدها وانما في الوطن العربي ايضاً وربما في العالم على وجه من الوجوه.

وبهذا نكون قد ساهمنا في القضاء على ارهاب الدولة ووضعنا لبنة في صرح الانسانية حتى لاتتعذب اكثر مما تعذب، وذلك بتجنيبها ويلات طغاة قد تظهر في المستقبل.

بنکەی ژین
www.zheen.org

الملحق الرابع

قائمة بالمقابر الجماعية التي تم كشفها او استحداثها الى الآن

قائمة باماكن المقابر الجماعية التي تم كشفها او استحداثها لغاية عام ١٩٩٤ والتي قام برصدها المركز الوثائقي لحقوق الانسان في العراق من مصادر مختلفة، مع استنفاذ الوسع في التدقيق. وسنوافيكم بقوائم اخرى لاحقاً ان شاء الله.

١- محافظة اربيل/ ضواحي اربيل، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٢- محافظة اربيل/ حفريات اربيل، خلال تشرين الاول ١٩٩١.

٣- محافظة اربيل/ قضاء مخمور، آب ١٩٩١.

٤- محافظة اربيل/ ضواحي اربيل (مقبرتان) ١٩٩٢/٨/٢٤.

٥- محافظة اربيل/ قرية جانا ميرا (مقبرتان) اواخر ١٩٩١.

٦- محافظة اربيل/ مصيف شقلاوة ١٩٩٢/٣/٤.

٧- محافظة اربيل/ المستشفى العسكري ١٩٩٣/٢/٢٥.

٨- محافظة اربيل/ القاعدة العسكرية ١٩٩٣/٣/٣١.

٩- محافظة اربيل/ قرب مدينة اربيل ١٩٩٣/٤/١٦.

١٠- محافظة اربيل/ مخمور، كوير ١٩٩٤/١/١٤.

١١- محافظة الانبار/ قرب الحدود العراقية السعودية، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

١٢- محافظة الانبار/ قضاء عانة ١٩٩٢/٩/٢٧.

١٣- محافظة بابل/ المحاويل، معمل الطابوق، اواخر عام ١٩٩١.

١٤- محافظة بابل/ المحاويل، معسكر المحاويل، اواخر عام ١٩٩١.

١٥- محافظة بابل/ مقبرة قديمة على طريق بغداد، حلة ١٩٧٨/٥/٢٠.

١٦- محافظة بابل/ باب بغداد، لم يذكر المصدر تاريخ الكشف او الاستحداث.

www.zheen.org

١٧- محافظة بابل/ باب الطويريج، لم يذكر المصدر تاريخ الكشف او الاستحداث.

١٨- محافظة بابل/ الشوملي ١٩٩٢/٣/٢٦.

١٩- محافظة بابل/ ناحية الكفل ١٩٩١/١٢/١٥.

٢٠- محافظة البصرة/ منطقة الطويلة، اواخر عام ١٩٩١.

٢١- محافظة البصرة/ العباسية، مقر الحزب الحاكم، اواخر عام ١٩٩١.

٢٢- محافظة البصرة/ مبنى دائرة الصحة الوقائية، اواخر عام ١٩٩١.

٢٣- محافظة البصرة/ ساحة سعد، اواخر عام ١٩٩١.

٢٤- محافظة البصرة/ طريق الزبير، صفوان، اواخر عام ١٩٩١.

٢٥- محافظة البصرة/ قرب مركز السعودية، اواخر عام ١٩٩١.

٢٦- محافظة البصرة/ امام سياج كلية التربية الرياضية، اواخر عام ١٩٩١.

٢٧- محافظة البصرة/ قضاء صفوان ١٩٩٢/١/٢٩.

٢٨- محافظة البصرة/ قضاء الزبير ١٩٩٢/٥/١١.

٢٩- محافظة البصرة/ طريق البصرة، العمارة ١٩٩٢/٧/١.

٣٠- محافظة البصرة/ كرمة علي ١٩٩٣/٤/٢٦.

٣١- محافظة البصرة/ جبل سرم ١٩٩٤/٨/٢٢.

٣٢- محافظة بغداد/ بسماية على طريق بغداد-الكوت تعود لعام ١٩٨٣ تم اكتشافها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٣٣- محافظة بغداد/ معتقل الرضوانية ١٩٩١/١٠/١٦.

٣٤- محافظة بغداد/ مديرية الامن العامة ١٩٩٢/١/١٧.

٣٥- محافظة بغداد/ مديرية الامن العامة ١٩٩٢/٣/١٩.

٣٦- محافظة بغداد/ منطقة النهروان ١٩٩٣/٨/٢٨.

٣٧- محافظة التأميم/ قرب مدينة كركوك، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٣٨- محافظة التأميم/ طريق تازة، كركوك، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٣٩- محافظة التأميم/ جنوب مدينة كركوك ١٩٩٢/٢/١٩.

٤٠- محافظة التأميم/ مدينة كركوك ١٩٩٢/٣/٦.

٤١- محافظة التأميم/ مركز تدريب كركوك١٩٩٢/٣/١٧.

٤٢- محافظة التأميم/ مقبرة الشيخ محي الدين ١٩٩٣/٤/٢٨.

٤٣- محافظة التأميم/ مقبرة الشورجة ١٩٩٤/٢/١٩.

٤٤- محافظة دهوك/ دائرة امن زاخو ١٩٩٢/٩/١٩.

٤٥- محافظة ديالى/ قضاء خانقين ١٩٩٢/١/٦.

٤٦- محافظة ديالى/ تلال حمرين (منصورية الجبل) ١٩٩٢/٦/٢٧.

٤٧- محافظة ديالى/ تلال حمرين، مندلي ١٩٩٢/٩/٢٥.

٤٨- محافظة ديالى/ قضاء خانقين ١٩٩٢/١٢/٧.

٤٩- محافظة ديالى/ قضاء مندلي، كومه سنك ١٩٩٣/٥/١.

٥٠- محافظة ذي قار/ نهاية جسر الفهود، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٥١- محافظة ذي قار/ ناحية الفهود ١٩٩١/١٠/١٣.

٥٢- محافظة السليمانية/ قرية كاني توما ١٩٩١/١١/١٢.

٥٣- محافظة السليمانية/ مدينة حلبجة لضحايا الاسلحة الكيمياوية لعام ١٩٨٨ تم اكتشافها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٥٤- محافظة السليمانية/ منطقة سيروان (مقبرتان) تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٥٥- محافظة السليمانية/ دائرة امن السليمانية (مقبرتان) تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٥٦- محافظة السليمانية/ مدينة السليمانية ١٩٩٢/٨/٢٧.

٥٧- محافظة السليمانية/ طريق اربيل-السليمانية ١٩٩٣/٥/١٥.

٥٨- محافظة صلاح الدين/ مدينة تكريت، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٥٩- محافظة صلاح الدين/ مدينة تكريت ١٩٩٤/١٠/٤.

٦٠- محافظة القادسية/ مدينة الديوانية، مديرية الامن ١٩٩٢/٣/٦.

٦١- محافظة القادسية/ قضاء عفك ١٩٩٢/١٢/١١.

٦٢- محافظة كربلاء المقدسة/ حي العباسية، مطلع تشرين الثاني ١٩٩١.

٦٣- محافظة كربلاء المقدسة/ منطقة الرزازة، منتصف تموز ١٩٩١.

٦٤- محافظة كربلاء المقدسة/ منطقة المخيم، اواخر عام ١٩٩١.

٦٥- محافظة كربلاء المقدسة/ فندق كربلاء السياحي، اواخر ١٩٩١.

٦٦- محافظة كربلاء المقدسة/ فندق السلام ١٩٩٢/٣/٢١.

٦٧- محافظة المثنى/ مدينة السماوة، قرب مستشفى الامراض الصدرية، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٦٨- محافظة ميسان/ جنوب مدينة العمارة، لم يذكر المصدر تاريخ الكشف او الاستحداث.

٦٩- محافظة ميسان/ دائرة اسالة قلعة صالح ١٩٩١/٣/١٠.

٧٠- محافظة ميسان/ منطقة المشرح ١٩٩١/٣/٨.

٧١- محافظة ميسان/ مقر الفيلق السادس، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٧٢- محافظة ميسان/ العمارة، الماجدية، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٧٣- محافظة ميسان/ العمارة، مرقد سيد علي، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٧٤- محافظة ميسان/ العمارة، مفرق عبد العال، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٧٥- محافظة ميسان/ العمارة مقر الفيلق الرابع، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٧٦- محافظة ميسان/ معمل قصب السكر، اواخر شباط ١٩٩٢.

٧٧- محافظة ميسان/ مقر الفيلق الرابع ١٩٩٣/٣/١٦.

www.zheen.org

٧٨- محافظة ميسان/ هور العمارة ١٩٩٣/٤/١٤.

٧٩- محافظة ميسان/ مقر الفيلق الرابع ١٩٩٣/٤/٢٧.

٨٠- محافظة ميسان/ منطقة الجدول، خلال شهر آب ١٩٩٣.

٨١- محافظة ميسان/ قضاء المشرح ١٩٩٣/٩/٦.

٨٢- محافظة ميسان/ قضاء الميمونة ١٩٩٤/٩/٢٠.

٨٣- محافظة النجف الاشرف/ مدينة النجف، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٨٤- محافظة النجف الاشرف/ مدينة النجف، منطقة المطحنة، انتفاضة، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٨٥- محافظة النجف الاشرف/ النجف، الحي العسكري، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٨٦- محافظة النجف الاشرف/ طريق كربلاء، نجف، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٨٧- محافظة النجف الاشرف/ مدينة النجف، منطقة واكصة ١٩٩٢/٦/٦.

٨٨- محافظة النجف الاشرف/ ضواحي مدينة النجف ١٩٩٣/٩/٢٥.

٨٩- محافظة النجف الاشرف/ خان الربع ١٩٩٣/٣/١٥.

٩٠- محافظة المثنى/ مدينة السماوة، قرب مستشفى الامراض الصدرية، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٩١- محافظة نينوى/ طريق الموصل- دهوك، تم استحداثها خلال انتفاضة اذار ١٩٩١.

٩٢- محافظة نينوى/ مدينة الموصل ١٩٩٤/٤/١٨.

٩٣- محافظة واسط/ طريق الكوت- الناصرية ١٩٩٣/٣/١٥.

www.zheen.org

قائمة

بمواقع القبور الجماعية لضحايا النظام السابق لغاية اذار ٢٠٠٥

المحافظة	القضاء	العدد	المجموع	المحافظة	القضاء	العدد	المجموع
البصرة	البصرة	٦	١٩	بغداد	محمودية	٣	١٦
	القرنة	٤			الرشيد	٣	
	ابو الخصيب	٢			ابو غريب	٢	
	الزبير	٧			مدائن	٢	
المثنى	السلمان	٩	١٨		سبعة نيسان	٣	
	السماوة	٥			الصدر	٣	
	الخضر	٤		التأميم	كركوك	١٤	١٤
ذي قار	الناصرية	٢	٤	القادسية	ديوانية	٢	٣
	سوق الشيوخ	٢			عفك	١	
ميسان	العمارة	٣	٥	نينوى	الحمدانية	٣	٧
	الميمونة	٢			الحضر	٤	
كربلاء	كربلاء	٢	٢٠	بابل	الحلة	١	١٤
	الهندية	٢			المحاويل	١٢	
	عين التمر	١٦			المسيب	١	

بنکەی زین
www.zheen.org

صلاح الدين	سامراء	١	٥	ديالى	جلولاء	٣	٥
	بلد	١			بلدروز	١	
	تكريت	٣			المقدادية	١	
الانبار	الرمادي	٥	٦	اربيل	مخمور	٣	٤
	الرطبة	١			سوران	١	
النجف	نجف	٧	٧	واسط	بدرة	١	١
المجموع		٨٤	٨٤	المجموع		٦٤	٦٤
المجموع الكلي ١٤٨ موقع مقبرة جماعية							

بنكەی ژین
www.zheen.org

احصائية

باعداد وانواع المقابر الجماعية المسجلة

في عدد من محافظات العراق لغاية ٢٠١٠/٨/٢٠

ت	المحافظة	عدد المقابر	مؤكدة	غير مؤكدة	منبوشة	المفتوحة	العدد المتبقي
١	واسط	٣	٢	–	١	–	٣
٢	ميسان	٤	٤	–	–	–	٤
٣	البصرة	١٠	٣	٦	١	–	١٠
٤	ذي قار	٣	١	١	١	١	٢
٥	المثنى	٧	٢	٣	٢	–	٧
٦	القادسية	٧	٤	٣	–	–	٧
٧	بابل	٣	٢	–	١	٣	٠
٨	كربلاء	٨	٣	٢	٣	٢	٦
٩	النجف	٩	–	٣	٤	٢	٧
١٠	كركوك	٣	٣	–	–	٣	٠
١١	صلاح‌الدين	١	١	–	–	–	١
المجموع	١١ محافظة	٥٨	٢٦	١٨	١٣	١١	٤٧

بنكەی ژین www.zheen.org

بنکەی ژین
www.zheen.org